دراسات اعلامية 2

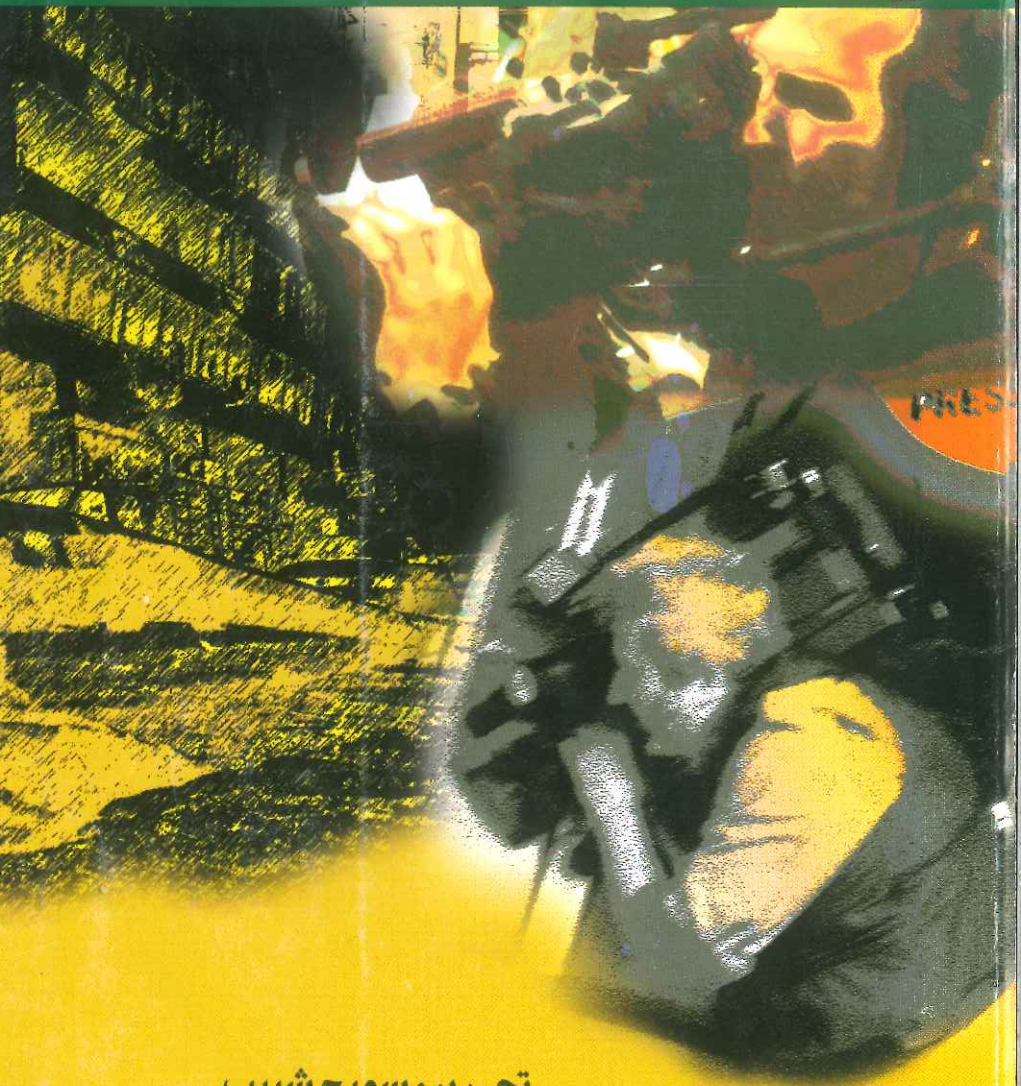

تحـرير: سميح شبيب

إعـداد:

رمزي الطويل

سلام كيالي

داوود عبد الكريم داوود

دراســات إعــلامية ٢

تحرير:
د. سميح شبيب

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
رام الله، ٢٠٠٥

Studies in the Media 2
Edited by: Dr. Sameeh Shbeeb

© Copyright: MUWATIN - The Palestinian
Institute for the Study of Democracy
P.O.Box: 1845 Ramallah, Palestine
2005
ISBN 9950-312-19-1

This book is published as part of an agreement
of cooperation with Heinrich Boel Foundation - Germany

جميع الحقوق محفوظة
مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
ص.ب ١٨٤٥، رام الله، فلسطين
هاتف: ٢٩٥١١٠٨ ٢ ٩٧٠، فاكس: ٢٩٦٠٢٨٥

يصدر هذا الكتاب ضمن اتفاقية تعاون مع هينيرخ بل – ألمانيا

التدقيق اللغوي: عبد الرحمن أبو شمالة

تصميم وتنفيذ مؤسسة نادياً للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
رام الله – هاتف ٠٩١٩ ٢٩٦ – ٠٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وأفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس بالضرورة موقف مواطن ـ المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

المحتويات

مقدمة ٥

تمهيد ٧

الفصل الأول: ٩

تاريخ الكاريكاتير الفلسطيني

إعداد: رمزي الطويل

الفصل الثاني: ١٠١

دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة في قطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية – دراسة ميدانية

إعداد: داود عبد الكريم داود

الفصل الثالث: ١٦٣

قضايا الشباب في الصحافة العربية المكتوبة ...
"الحياة" ... نموذجاً

إعداد: سلام ماجد كيالي

تمهيد

لاقى كتاب دراسات إعلامية، ترحيباً خاصاً من دوائر ومعاهد الإعلام؛ ذلك أنه أتاح الفرصة لأول مره، للاطلاع المباشر والواسع على بعض الدراسات الإعلامية التي يقوم بها طلبة فلسطينيون؛ ولا أغالي قولاً، أن آراء المختصين؛ تقاطعت حول جودة تلك الأبحاث ومستواها، وفوائد ما احتوته من معلومات واستخلاصات ونتائج.

حاولنا عند الإعداد للإصدار الثاني من دراسات إعلامية؛ توسيع دائرة النشر، لتشمل أبحاثاً مختارة من دوائر ومعاهد الإعلام الفلسطيني كافة، ومن أجل ذلك قمنا بتوجيه رسائل خاصة، لرؤساء دوائر الإعلام في الجامعات الفلسطينية، ولم يصلنا سوى بحث واحد من الجامعة الإسلامية في غزة، للطالب عبد الكريم داود، وهو بعنوان: "دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة في قطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية"، كما وصلنا بحث آخر من جامعة منوبة في تونس، للطالب سلام كيالي، وهو بعنوان: "قضايا الشباب في الصحافة العربية المكتوبة- الحياة نموذجاً". أما البحث الثالث، فقد وصلنا من دائرة الإعلام في جامعة بيرزيت. وما زلنا نأمل في أن يتضمن الإصدار الثالث تنويعاً أوسع من الأبحاث، ليشمل أبحاثاً من دوائر الإعلام في الجامعات الفلسطينية كافة.

يتضمن هذا الكتاب ثلاثة أبحاث، تمت الإشارة إلى اثنين منها، أما الأخير فهو: تاريخ الكاريكاتور الفلسطيني إعداد: رمزي الطويل.

يسعدني بمناسبة الإصدار الثاني لدراسات إعلامية أن أتقدم بشكر خاص لدائرة الإعلام في جامعة بيرزيت، ولرئيسة الدائرة إنعام العبيدي، لتفضلها

بمراجعة مخطوطة هذا الكتاب، وإبداء الملاحظات المنهجية حولها، وكذلك كتابة مقدمته. كما أتقدم بشكر جميع الطلبة الذين وافونا بأبحاثهم لنشرها، ولا يفوتني بالطبع أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان، إلى **مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية**، ولمديرها الدكتور جورج جقمان، لتبنيها هذا المشروع التربوي، لما فيه من فوائد جمة، لتعزيز مسيرة الدراسات الإعلامية، وتشجيع الباحثين الناشئين.

وفي الختام آمل أن يشكل هذا الكتاب لبنة جديدة، في بناء الدراسات الإعلامية المعاصرة.

سميح شبيب

مقدمة

لمتابعة آثار ما تقوم به الوتيرة المحمومة المتسارعة في المجال التقني لوسائل الإعلام ومرسلاتها على مدار الساعة، تزداد أهمية البحث العلمي في مواضيع الإعلام المختلفة، ولأن الإعلام يتقاطع مع العديد من العلوم الإنسانية، فإن الدراسات الإعلامية ستساعد كل المعنيين بالدراسات السوسيولوجية والإنسانية والنفسية والسياسية والاقتصادية.

فما بين الازدياد المتنامي لمحطات الإعلام المرئي والمسموع، وما بين استخدام التقنيات الرقمية، بات من الملح متابعة ما يخلفه كل هذا في بيئة الإعلام بشكل عام، وبخاصة أثر المضامين التي تحملها تلك المرسلات المتدفقة على مدار الدقيقة من مصادر عدة إلى الفئات الجماهيرية المختلفة.

وعلى الرغم من التطور الهائل الجاري في المجال التقني الذي أدى إلى التواصل الرقمي والفوري، وبجهد وتكلفة معقولين، فإن القدرات الذاتية للبشر العاملين خلف هذه التقنيات هي التي تميز مادة عن أخرى، وبخاصة لدى مستقبلها وكيفية تعامله معها.

ومن هنا تكون مشاريع التخرج البحثية لطلبة الإعلام هي المقياس لمعرفة قدراتهم ومهاراتهم الذاتية التي اكتسبوها خلال دراستهم في الملاحظة، والإطلاع، والاستنتاج، والاستقراء، والتحليل، للوصول إلى صياغة متماسكة، لتفسير نتائج بحثه وتوصياته المهنية، والدفاع عنها على أسس علمية مثبتة بالأرقام والحقائق.

كذلك، فإن وقفة طالب الإعلام قبل تخرجه لتفحص الوسائل الإعلامية ومضامينها وجمهورها وما رأي ذلك الجمهور بتلك الوسيلة أو المادة الإعلامية التي يقبل

عليها أو يحجم عنها، مع الاطلاع على الأدبيات ذات العلاقة بموضوعه، لا بد أن تعزز أداءه الحرفي المستقبلي بعد تخرجه ليساهم بالنهوض بالوسيلة التي سيعمل بها.

لقد كان من اللافت في هذا الجزء من الدراسات الإعلامية أن معظم الأبحاث المختارة تتناول موضوع الشباب والإعلام. فهنا بحث تناول موضوع الصحافة المكتوبة وقضايا الشباب في العالم العربي وملحق «الشباب» الأسبوعي الصادر عن الحياة اللندنية، لطالب في جامعة تونسية، ما يعتبر إضافة نوعية في هذه المجلة المتخصصة.

وبحث ثانٍ يتناول الإذاعات الخاصة المحلية في قطاع غزة ومدى مساهمتها في التثقيف السياسي.

أما البحث الثالث والمتميز في موضوعه فكان لطالب رسام كاريكاتور، متناولاً تاريخ ونشأة الكاريكاتور الفلسطيني وارتباطه بالظرف السياسي بعلاقة متلازمة.

ولأن حق المعرفة والنشر وتبادل الخبرات هي وسيلة الإنسانية منذ الأزل لمراكمة الخبرات وإغناء حضاراتها، فإن نشر بحوث الطلبة خارج نطاق مكتبة دائرة الإعلام في الجامعة، يلقى ترحيباً كبيراً لدى زملائي في دائرة الإعلام في جامعة بيرزيت. لذا، فإنني أشكر لمؤسسة **مواطن** وللدكتور سميح شبيب صاحب ومشرف تنفيذ فكرة إيجاد مجلة الدراسات الإعلامية، متمنية لنا جميعا استمرار التقدم والتوفيق في مهماتنا التعليمية والتثقيفية لتطوير فهم إعلامي أفضل لاستغلال إمكانياتنا المتاحة بطريقة تلبي احتياجاتنا.

أنعام العبيدي

رئيسة دائرة الإعلام في جامعة بيرزيت

الفصل الأول

تاريخ الكاريكاتور الفلسطيني

تاريخ الكاريكاتور الفلسطيني

رمزي الطويل*

مقدمة

على طول التاريخ الذي تلا العام ١٩٤٨ وتشتت الشعب الفلسطيني، قامت بعض الدول العربية المجاورة – التي استضافت اللاجئين– بإذابة الشخصية الفلسطينية داخل مجتمعاتها، ومنعت أي عملية نهوض أو إظهار لتميز الشخصية الفلسطينية داخل أراضيها. ومن جهة أخرى، وعلى الخط نفسه، كان لقمع السلطات الإسرائيلية للمواطنين الفلسطينيين الذين بقوا في مناطقهم بعد العام ١٩٤٨، والضغط الكبير، والإرهاب النفسي والجسدي بحقهم، وقمع حرياتهم، وتقييدهم، والتحكم بمواد التعليم، وبخاصة التاريخ، ما حول المواطن الفلسطيني إلى مواطن من الدرجة ثانية – أن أدت، مجتمعةً، إلى انقطاع بالوعي الزمني ما بين فلسطين ما قبل١٩٤٨ وفلسطين ما بعد ١٩٤٨.

وسواء أكانت هذه العملية مدروسة أم بمحض الصدفة، فإن إحدى نتائجها كان نسيان–أو بالأحرى– تجهيل الفلسطينيين، بما كانت عليه فلسطين قبل النكبة، وهذا الجهل هو جهل عام لعموم الشعب الفلسطيني، فقد نمت أجيال عدة خارج فلسطين، أجيال لا تربطها بالأرض سوى حكايات الكبار، مندمجين – رغم أنوفهم– في مسار الحياة اليومية للبلد المضيف، ويتم التعامل معهم كمواطنين

من الدرجة الثانية. وللأسف، فقد نجحت هذه العملية بدرجة كبيرة، فكم من الفلسطينيين يعرف ما كانت عليه الصحافة، أو الثقافة، أو الاقتصاد الفلسطيني ما قبل العام ١٩٤٨؟!

في هذا البحث سوف نلقي الضوء على إحدى إضاءات الحياة الفلسطينية لما قبل الشتات، ألا وهي فن الكاريكاتور، أحد الفنون الصحافية التي وجدت في فلسطين منذ البدايات الصحافية، هذا الفن الذي لم يظهر في صحفنا كطفرة أو كجمالية للصفحات، بقدر ما هو فن ذو شخصية مستقلة، وذو رسالة واضحة بحد ذاته. وفي هذا البحث، سنحاول أن نرسم صورة للتطور التاريخي لهذا الفن الذي رافق الحياة السياسية الفلسطينية في الوطن والشتات، ليصل إلى القمة في عصر الثورة الفلسطينية مطلع الستينيات، وتحول بعض شخوصها الكاريكاتورية وأصحابها إلى رموز ثورية وفكرية، تعبر بحد ذاتها عن الوعي الجماعي الفلسطيني.

سينقسم البحث إلى خمسة أجزاء. الجزء الأول يتناول التطور التاريخي للكاريكاتور الفلسطيني، وسيضطر الباحث إلى تقسيم هذا التطور إلى تطور داخلي وخارجي، ويقصد بالتطور الداخلي: "تطور الحركة الكاريكاتورية داخل حدود فلسطين التاريخية"، أما التطور الخارجي، فهو :"تطور الحركة الكاريكاتورية خارج حدود فلسطين التاريخية". والجزء الثاني سيتناول خصائص الكاريكاتور الفلسطيني في كل مرحلة، فيما يتحدث الجزء الثالث عن الكاريكاتور ودوره في النضال الوطني الفلسطيني، بينما يتحدث الجزء الرابع عن أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الدراسة، وفي الجزء الخامس يستعرض الباحث ملحقاً يحتوي عدد من الكاريكاتورات التي تعطي فكرة عامة عن تطور الكاريكاتور الفلسطيني.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع مراحل فن الكاريكاتور الفلسطيني، وتحديد خصائص كل مرحلة مر بها.

مشكلة الدراسة ومنهج البحث:

يحاول الكاتب في هذا البحث دراسة تاريخ حركة الفن الكاريكاتوري في فلسطين منذ بداياتها حتى الوقت الحاضر، ومحاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما هي المراحل التي مرت بها حركة فن الكاريكاتور في الصحافة الفلسطينية؟

٢- ما هي أهم خصائص الكاريكاتور الفلسطيني؟

٣- ما مقدار إسهام الكاريكاتور في الثورة الفلسطينية؟

٤- استنتاجات عامة عن تاريخ الكاريكاتور الفلسطيني.

اعتمد الباحث في دراسته،[١] على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، واستخدم ضمن البحث الوصفي أداة تحليل المضمون، وذلك لدراسة خصائص الكاريكاتور الفلسطيني، وقد تم تطبيق البحث على ١١٧ عينة تم اختيارها حسب توفرها (عينة عمدية)، موزعة ما بين مجموعتين، تضم الأولى ٤٧ كاريكاتوراً من مجموع ٦ صحف ومجلتين، صدرت داخل فلسطين، وما قبل الشتات، و٧٠ كاريكاتوراً من أعمال فنانين فلسطينيين في الشتات، أو عملوا في الشتات، مفترضاً أن هذه العينات قادرة على أن تمثل خصائص الكاريكاتور الفلسطيني.

ولتطبيق أداة تحليل المضمون، اعتمد الباحث الفئات التالية للكاريكاتور الفلسطيني:

١- موقع الكاريكاتور: أهمية الكاريكاتور يمكن تمييزها بمكان موقعها على صفحات الجرائد والمجلات، وتكون الأهمية كما يلي:

أ- على الصفحة الأولى للمجلة أو الصحيفة.

ب- على الصفحة الأخيرة، وهي في العصر الحالي تعتبر في المرتبة الثانية من حيث الأهمية.

ج- الصفحات الداخلية.

٢- موضوع الكاريكاتور: وفيه سيحاول الباحث معرفة أهم المواضيع التي اعتمدها الكاريكاتور الفلسطيني، وتقسم هذه الفئة إلى أربعة أقسام:

أ- بورتريه: وتعني رسم وجوه الشخصيات السياسية أو الاجتماعية المهمة.

ب- اجتماعي: رسم يعنى فقط بالأوضاع الاجتماعية كمشكلة البطالة أو العادات والتقاليد أو الطبقية.

ج- سياسي: أي رسم يتعرض للحكومة، أو للقضايا السياسية بتوجه صريح أو غير مباشر.

د- أخرى: أي رسومات لا تندرج تحت مسميات أخرى كـ(الإعلانات، والصور التوضيحية، واللوحات التعبيرية، واللوحات الفنية، وما يقصد منها فقط هو لفت النظر لموضوع أو خبر.

٣- مصدر الرسم: وفيه سنحاول أن نعرف مقدار اعتماد الصحف الفلسطينية على الكاريكاتور المحلي، وتقسم هذه الفئة إلى:

أ- كاريكاتور محلي.

ب- كاريكاتور أجنبي (منقول عن صحيفة من خارج فلسطين، أو رسام غير فلسطيني).

٤- الشخصيات الكرتونية: وتعني نوع الشخصيات، أو رموز الشخصيات التي دخلت في شكل الكاريكاتور، وهذه الشخصيات تقسم إلى:

أ- شخصيات فلسطينية.

ب- شخصيات عربية.

ج- شخصيات إسرائيلية.

د- شخصيات عالمية: ومن بينها الرؤساء والزعماء والسياسيون الأجانب من خارج حدود فلسطين التاريخية مثال (كيسينجر، أو غاندي، أو جيمس بيكر ... الخ)

هـ- أخرى: وهي الشخصيات الرمزية أو أي رسم ليس فيه هيئة بشرية.

مستوى الرسم: على الرغم من أن المستوى قد يكون تعريفاً غير قابل للتحديد، ولكن اعتمد الباحث على ملاحظة أساسيات الرسم الأكاديمي لتحديد المستوى:

١- تشريح.

٢- خطوط.

٣- ألوان ومنظور.

وهذه الأمور لا يمكن إدراكها بدون الممارسة العملية لمهنة الفن بشكل مبتدئ على أقل تقدير، وكون الباحث هو نفسه عمل في مجال الرسم والكارتون في وزارة تطوير المناهج التابعة لوزارة التربية والتعليم، وكونه حاصلاً على دورات متقدمة في الرسم والتلوين، بالإضافة إلى جوائز تقديرية في مجال الرسم، كجائزة الصحافيين الشباب للعام ٢٠٠٣/في فئة فن الكاريكاتور، فقد افترض الباحث أن تطبيقه العملي لما يزيد على خمس سنوات في مجال فن الرسم والكارتون، يسمح له بتقييم مستوى الكاريكاتور الداخل في أداة تحليل المضمون، وتقسم هذه الفئة إلى:

أ- مستوى ضعيف: تكون فيه الرسوم ضعيفة في هيكلية البناء والفكرة.

ب- مستوى وسط: تظهر فيه قدرة الفنان في إحدى النقطتين (الرسم) أو (الفكرة).

ج- مستوى عالٍ: وتظهر فيه قدرة الرسام من حيث بناء الكاريكاتور ككل، ومن حيث الفكرة.

٥- عناصر الإبراز المستخدمة في الكاريكاتور: وأهم هذه العوامل هي: (اللون، والشكل، والإطار، والنص، والفكرة).

حدود الدراسة:

بالنسبة لحدود الدراسة البسيطة:٢ ستقتصر حدود الدراسة البسيطة على فلسطين التاريخية بشكل أساسي، وسيتم الاعتماد على المصادر والمراجع المتوفرة لدى مكتبة بيرزيت، وعلى إنتاجات رسامي الكاريكاتور الفلسطينيين

التي صدرت من صحف ومجلات الدول التالية: الأردن، ولبنان، والكويت. أما سبب اختيار هذه الأماكن كحدود للدراسة، فيكمن في:

(١) فلسطين التاريخية: ستغطي هذه الدراسة الكاريكاتورات التي ظهرت في الصحف الفلسطينية الصادرة داخل حدود فلسطين التاريخية، ولكن بدون تقسيمات الدراسة الشاملة، وبدون وجود الكاريكاتور وصحافة قطاع غزة.

(٢) ما صدر من كاريكاتورات لرسامين فلسطينيين خارج حدود فلسطين التاريخية: ويمكن حصر حدود الدراسة على الإنترنت، التي صدرت ونشرت خارج فلسطين في البلدان التالية: الأردن، ولبنان، الكويت.

يعتمد البحث بشكل خاص على عنصر الزمن، وستكون طول الفترة الزمنية التي يغطيها البحث ما بين العام ١٩١١، حتى العام ٢٠٠٣، وقد ارتأى الباحث تقسيم هذه الفترة الزمنية إلى أجزاء أساسية، وهي:

(١) الكاريكاتور ما بين ١٩١١ حتى ١٩٤٨ (ما قبل ١٩٤٨).

(٢) كاريكاتور ما بعد العام ١٩٤٨ حتى بدايات ١٩٦٧.

(٣) كاريكاتور صحافة الاحتلال منذ العام ١٩٦٧ حتى أوسلو.

(٤) كاريكاتور ما بعد أوسلو حتى انتفاضة الأقصى.

ويفترض الباحث هذا التقسيم للاعتبارات التالية:

(١) مرحلة ما قبل العام ١٩٤٨: وهي المرحلة الممتدة ما بين العام ١٩١١ حتى العام ١٩٤٨، والسبب هو عدم توفر مراجع لما قبل هذا العام، وبخاصة العام ١٩٠٩، وعدم توفر أية نسخ لمجلة (الأخبار) الكاريكاتورية (حسب تصنيف الأستاذ أحمد خليل العقاد)، التي اعتمدها الباحث على أنها أقدم صحيفة ظهر فيها كاريكاتور فلسطيني في حدود الدراسة الشاملة، حيث سيكون الاعتماد على أقدم مرجع صحافي متوفر، ألا وهي صحيفة فلسطين التي صدرت كصحيفة يومية سنة ١٩١١.

(٢) مرحلة ما بعد العام ١٩٤٨ -١٩٦٧: سيتم الاعتماد على الصحف التي صدرت أو استمرت بالصدور لما بعد العام ١٩٤٨، بالإضافة إلى الصحف التي صدرت ما بعد العام ١٩٦٧، وما تخلل هذه الفترة من أحداث برز فيها نضج الكاريكاتور الفلسطيني في الخارج.

(٣) مرحلة الاحتلال: وتضم المرحلة ما بين العام ١٩٦٤ حتى بداية تطبيق اتفاق أوسلو ودخول السلطة الوطنية لأرض فلسطين سنة ١٩٩٣. وأهم ما يميز هذه الفترة، هو:

أ- دخول فلسطين التاريخية كاملة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وظهور صحافة ما تحت الاحتلال (داخل فلسطين التاريخية).

ب- ظهور الكاريكاتور الفلسطيني بقوة على الساحة الإعلامية، والوصول إلى مرحلة النضج الفني.

(٤) فترة ما بعد أوسلو: تضم الفترة الزمنية ما بين العام ١٩٩١ والعام ٢٠٠٣.

جمهور (الصحف) وعينتها:

سنعتمد في دراستنا على الصحف والمجلات الفلسطينية التي يفترض الباحث أنها تعطي صورة جيدة عن تطور الكاريكاتور الفلسطيني، في صحف ما قبل العام ١٩٤٨، وسيعتمد الباحث على ثلاث صحف متوفرة أساسية، وهي صحف: الدفاع، وفلسطين، وباليستاين بولتن (Palestine Bulletin)، وصحف متفرقة لكل من النفير، والمستقبل ، والرأي العام)، بينما سيعتمد الباحث ما بعد العام ١٩٤٨، على صحف (الدفاع، وفلسطين، والقدس، والاتحاد)، ولصحف ما بعد العام ١٩٧٦، فسيعتمد (القدس، والميثاق، والفجر، والنهار، بالإضافة إلى مجلة البيادر السياسي، ومجلة الأسبوع)، ولصحف مرحلة أوسلو حتى الانتفاضة الثانية أي حتى العام ٢٠٠٠، فسيعتمد الباحث على صحف (القدس، والأيام، الحياة الجديدة)، بالإضافة إلى بعض الصحف الحزبية، كصحيفة الاستقلال. وفيما ما يلي نبذة بسيطة عن كل صحيفة دخلت في سياق هذا البحث.

الصحف التي اعتمد عليها الباحث في دراسته:

١- **فلسطين**: تأسست في مدينة يافا سنة ١٩١١، وقام بإصدارها الأستاذ المرحوم عيسى العيسى بالاشتراك مع الأستاذ المرحوم يوسف العيسى، كانت تصدر مرتين في الأسبوع، ثم يومية قبل الحرب العالمية الأولى، حتى أغلقتها الحكومة العثمانية، وعادت للصدور سنة ١٩٢١. وتعتبر جريدة فلسطين من أمهات الصحف الفلسطينية حتى النكبة لتتوقف عن الصدور ثم تنتقل إلى القدس حتى سنة ١٩٦٧، حيث احتجبت عن الصدور.

٢- **الدفاع**: صدرت في يافا سنة ١٩٣٦، وقام بتأسيسها الأستاذ إبراهيم الشنطي، وتعتبر من أقوى الجرائد التي ظهرت في فلسطين، بسبب أحداث العام ١٩٤٨. انتقلت للصدور في مصر، ثم الأردن حتى توقفت سنة ١٩٦٧.

٣- **باليستاين بوست**: ظهرت العام ١٩٢٥، وهي جريدة ناطقة للسان الجالية اليهودية في فلسطين، وقد تم اعتماد الأعداد ما بين ١٩٢٥ - ١٩٣٦ فقط، حيث أن معالم الانفصال ووضوح غاية الصهيونية بدا واضحاً بشكل خاص ما بعد ثورة ١٩٣٦، ما يعني انفصال الصحيفة التام عن كونها صحيفة جالية لتتحول إلى صحيفة احتلال.

٤- **القدس**: ظهرت العام ١٩٥١، وتعد الصحيفة الفلسطينية الوحيدة التي وجدت داخل فلسطين ما بعد ١٩٥٠ حتى العام ١٩٧٢، وعودتها بعد حرب ١٩٦٧ حتى الآن.

٥- **الاتحاد**: من صحف الداخل القديمة، وتتبع الحزب الشيوعي الفلسطيني.

٦- **الفجر**: صحيفة فلسطينية ظهرت في العام ١٩٧٢، عرفت بتوجهاتها الوطنية.

٧- **الشعب**: صحيفة فلسطينية ظهرت في السبعينيات، وتتبع حركة الأخوان المسلمين في فلسطين الداخل.

٨- **النهار**: من الصحف الفلسطينية التي ظهرت في السبعينيات.[٣]

٩- **الميثاق:** صحيفة تابعة للحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر.

١٠- **البيادر السياسي:** مجلة أسبوعية سياسية ظهرت العام ١٩١٨، وكانت من أهم المجلات السياسية في فلسطين التاريخية.

١١- **الأيام:** صدرت العام ١٩٩٥، وهي صحيفة مستقلة.

١٢- **الحياة الجديدة:** يومية سياسية شاملة، ظهرت العام ١٩٩٥.

١٣- **الرسالة:** مطبوعة صحافية أسبوعية، صدرت في العام ١٩٩٧، عن حزب الخلاص الإسلامي، في قطاع غزة.

الإطار النظري للبحث:

يفترض الباحث أن الكاريكاتور الفلسطيني لم يكن طفرة فنية أو تقليداً سطحياً لصحافة الغرب، أو صحافة الدول المجاورة، بل كان جزءاً أساسياً في عملية التطور التاريخي للصحافة الفلسطينية، ظهرت من خلالها بذور الرسالة القومية وملامح الوجه الفلسطيني السياسي. وعلى الرغم من النكبة التي حلت بالصحافة الفلسطينية، ظل إرث الكاريكاتور ينتقل معها حتى أصبحت مهنة الكاريكاتور في الوطن العربي مرتبطة باسم فلسطين، أكان بسبب ظهور جيل الرسامين الفلسطينيين، وظهور مدارس إبداعية كاريكاتورية فلسطينية على الساحة الإعلامية العربية، أم بسبب ارتباط وحاجة الكاريكاتور إلى قضية عادلة، قادرة على صبغه بصفة شعبية، وعلى هذا الافتراض، فإن فن الكاريكاتور في الوطن العربي هو فن ذو صبغة فلسطينية.

ماهية الكاريكاتور

لم يكن من السهل أبداً إعطاء تفسير واضح وشامل لفن الكاريكاتور الحديث، ولا حتى تحديد وظيفته، أهي وظيفة فنية أم وظيفة صحافية، وهذه هي أهم إشكاليات تفسير الكاريكاتور، وهي أن الكاريكاتور عبارة عن فن هجين، ما بين الفن التشكيلي ومهنة الصحافة، فكل منهما يتبناه ويعتبره جزءاً منه.

لقد قاوم فنانو الكاريكاتور الانحياز إلى أي من الفريقين، وقد رد الشهيد "ناجي العلي" على القول بأن الكاريكاتور عبارة عن فن تشكيلي، بأنه – أي الفن

التشكيلي- ليس فناً شعبياً، ويرد ذلك إلى صعوبة الظروف التي كانت تلزم الفنان القيام بدور فاعل ومؤثر، وهو ما ليس في قدرة الفنان التشكيلي، وذلك فقط بالنظر لطبيعة فنه،[٤] على عكس فنان الكاريكاتور الذي هو فنان شعبي أولاً وأخيراً... ، أما بالنسبة للصحافة، فعلى الرغم من أن الصحف كانت حاضنة فن الكاريكاتور، فإن هذا الفن لا يحوي أي تعريف أو قالب صحافي سوى أنه أحد فروع فن الصحافة، وعليه نكون قد وضحنا إشكاليات تعريف أو تحديد مفهوم فن الكاريكاتور.

وبالنسبة لتعريفات مصطلح الكاريكاتور الشائعة، فقد أورد الباحث أهم هذه التعريفات في محاولة لإعطاء فكرة عن التوجهات العامة لتعريف مصطلح "الكاريكاتور":

١- الكاريكاتور كما عرفه اللغويون هو: "فن الإضحاك بالتضخيم، أو المسخ، لصورة شخص ما، أو قضية ما، بهدف الانتقاد والسخرية". ... ويلاحظ من هذا التعريف عدم شموليته، كون الكاريكاتور يحمل في طياته الصور التراجيدية أيضاً، وليس لمجرد الإضحاك فقط، ولكن، وبسبب ارتباط الكاريكاتور على طول التاريخ برسوم هي أقرب إلى الإضحاك والسخرية منها إلى التراجيديا، ما ألصق صفة الضحك على هذا الفن.[٥]

٢- وحسب رأي الأستاذ سليمان منصور في كتاب إسماعيل شموط الفن التشكيلي في فلسطين، فقد صنف فن الكاريكاتور بأنه أحد مظاهر الفن التشكيلي، على أساس أن رسامي الكاريكاتور في كثير من بلدان العالم أعضاء اتحادات الفنانين التشكيليين، وهنا إشكالية تظهر واضحة في تعريف ماهية الفن التشكيلي نفسه، وهو ما سيذكر لاحقاً.[٦]

٣- فن، يعتمد على رسوم تبالغ في تحريف الملامح الطبيعية، أو خصائص ومميزات شخص أو حيوان أو جسم ما. وغالباً ما يكون التحريف في الملامح الرئيسية للشخص، أو يتم الاستعاضة عن الملامح بأشكال الحيوانات، والطيور، أو عقد مقارنة بأفعال الحيوانات. ونرى في هذا التعريف سطحية ساذجة، وغير قادرة على الإحاطة بماهية الكاريكاتور، حيث لم تذكر الفكرة أو الرموز التي تعد أحد أهم عناصر الكاريكاتور.

ولكن، ولكي نقدم تصوراً واضحاً عن ماهية الكاريكاتور، يعتقد الباحث أن الكاريكاتور، هو فن من فنون الرسم أولاً، التي أصبحت حركة منفصلة وواضحة المعالم تختلف عن باقي حركات الفن التشكيلي، وهي حركة فنية تعتمد على وسائل الإعلام بشكل خاص لنشر أفكارها ومضامينها الموجهة للشعب بغض النظر عن الطبقات أو المستويات الاجتماعية أو الاقتصادية، وتعتمد على التضخيم والمبالغة في نقل رسالتها، ومن هذا التعريف نخرج بصفات فن الكاريكاتور الواضحة:

أ- فن من فنون الرسم التي تعتمد على المبالغة في التفاصيل الفنية أو المضمون الفكري للوحة ككل.

ب- فن موجه لجميع طبقات المجتمع بدون تمييز ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي، ما يعطيه صفة (الشعبية)، على العكس من الفن التشكيلي المحصور في فئة معينة من الشعب ذات توجهات ثقافية محدودة الهوية والتوزيع.

ت- على الرغم من وجود اللمسة الشخصانية لفكر الرسام ، فإن الكاريكاتور هو فن ذو مضامين وأفكار تعنى بالوعي الكلي للمجتمع، لا كما في الفن التشكيلي من خصوصية مفرطة لأحاسيس وأفكار الرسام التشكيلي نفسه.

ث- فن يعتمد على وسائل الإعلام المطبوعة والمرئية لينتشر، وهو ما أثبتته وقائع التاريخ، لما كان من اختراع الطباعة والصحف من أثر في انتشار وظهور الفن الكاريكاتوري.

تاريخ فن الكاريكاتور

يعتقد بعضهم أن كلمة كاريكاتور اسم مشتق من الكلمة الإيطالية "كاريكير" (Caricare)، التي تعني "يبالغ، أو يحمّل ما لا يطيق (Overload)"، والتي كان موسيني (Mosini) أول من استخدمها سنة ١٦٤٦. وفي القرن السابع عشر، كان جيان لورينزو برنيني (Gian Lorenzo Bernini) وهو فنان ورسام كاريكاتوري ، وأول من قدمها إلى المجتمع الفرنسي، حين ذهب إلى فرنسا العام ١٦٦٥.

وبالنسبة للبدايات القديمة، ففن الكاريكاتور كان معروفاً عند المصريين القدماء، والآشوريين، واليونانيين. فأقدم صور ومشاهد كاريكاتورية، حفظها التاريخ، تلك التي وجدت في (تل العمارنة) على قطع من الفخار والأحجار الصلبة، وتشمل رسوماً لحيوانات مختلفة، أُبرزت بشكل ساخر، واضطلع برسمها العاملون في تشييد مقابر وادي الملوك، بدير المدينة، في عصور الرعامسة، ويرجع تاريخها إلى العام ١٢٥٠ قبل الميلاد. ولا نُعرف الغاية التي توخاها الفنان من هذه الرسومات؛ فلعلها كانت إشارة غير صريحة، إلى العلاقة غير المتوازنة، بين الحاكم والمحكوم، التي كانت سائدة في تلك الفترة، جسّدها النحاتون في أسلوب ساخر، خفي المعنى. وجديرٌ بالذكر، أن فن الكاريكاتور، كان شائعاً عند اليونانيين، الذين ذكروا أن مصوراً يونانياً يدعى بوزون، صوّر بعض المشهورين من أهل زمانه، في شكل يدعو إلى السخرية، الأمر الذي أدى إلى عقابه غير مرة، من دون أن يرتدع. وذكر بلنيوس المؤرخ أن بوبالوس وأتنيس، وهما من أشهر مثّالي اليونان، صنعا تمثالاً للشاعر الدميم ايبوناكس، وكان التمثال أشد دمامة، إلى درجة أنه كان يثير ضحك كل من كان ينظر إليه؛ فاغتاظ الشاعر منهما، وهجاهما بقصيدة لاذعة، لم يحتملاها، فانتحرا

وقد ازدهر فن الكاريكاتور في إيطاليا، فأبدع الفنانون الإيطاليون كثيراً من الأعمال الفنية. ومن أشهرهم تيتيانوس (١٤٧٧– ١٥٧٦) الذي عمد إلى مسخ بعض الصور القديمة المشهورة، بإعادة تصويرها بأشكال مضحكة

شكل ١: جزء من بردية، يرجع تاريخها إلى العام ١١٥٠ قبل الميلاد يُرى في البردية: قطة، ترعى سرباً من الإوز؛ وثعلب يعنى بقطيع من الماعز.

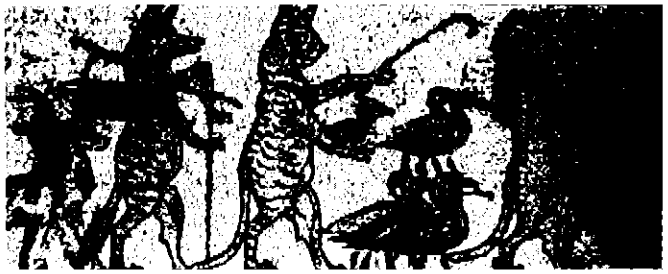

شكل ٢: قطعة من الفخار، من دير المدينة يرجع تاريخها إلى العام ١١٥٠ قبل الميلاد. يُرى في القطعة قطة تؤدي دور خادمة، تروّح عن سيدتها، المرسومة على هيئة فأر، ممسكة بزهرة اللوتس

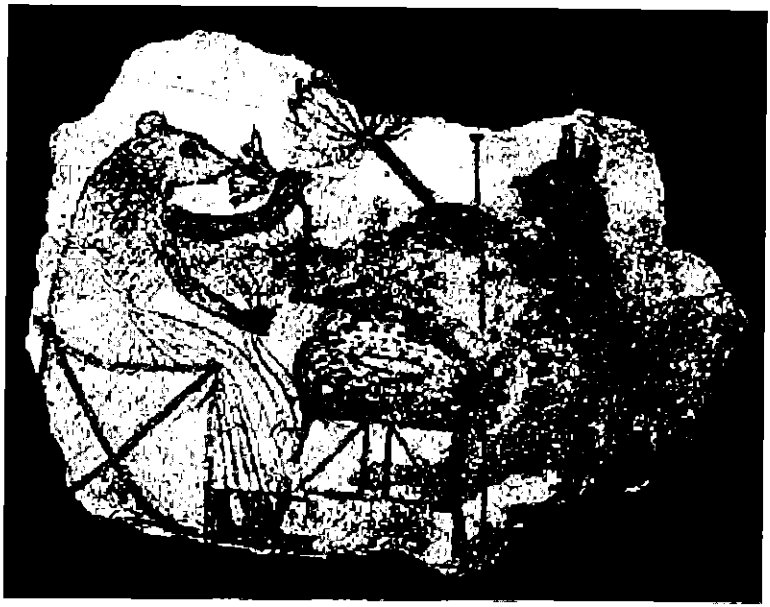

شكل ٣: جزء من بردية، من دير المدينة، ترجع إلى عصر الرعامسة. يبدو في البردية أسد منهمك في مباراة مع غزال. ويبدو تعبير الانتصار على وجه الأسد. كما يبدو أن الأمور تسير إلى الأسوأ، بالنسبة إلى الغزال.

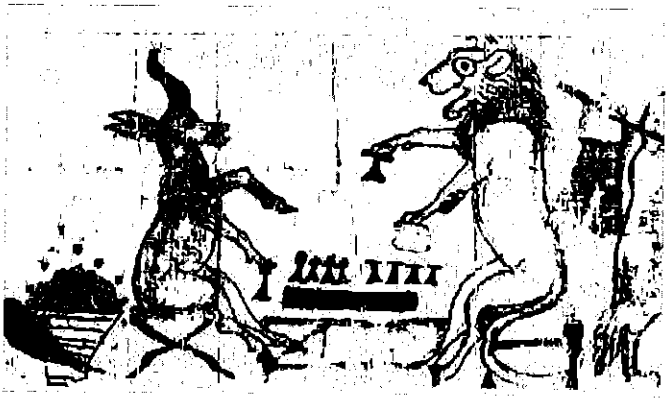

شكل ٤: جزء من بردية، ترجع إلى عصر الرعامسة. البردية تصور منظراً هزلياً، ترى فيه قطة تضطلع بدور مربية لفأر طفل، ملفوف بحمالة، تحتضنه بحنان.

على أن فن الكاريكاتور الحديث، لم ينشأ إلا في نهاية القرن السادس عشر، على أيدي الأخوة كاراتشي (Carracci)، في مدينة بولونيا، الذين وضعوا أساساً لأسلوب من التصوير، عرف باسمهم، وكثيراً ما كانوا يصورون أصدقاءهم صوراً تدعو إلى الضحك. وخلال القرن السادس عشر، لم يكن لهذا الفن أية صبغة سياسية، بل كان معظم فناني الكاريكاتور يهاجمون البروتستانت، أو الرومان الكاثوليك، خلال الثورة الدينية، التي عرفت بحركة الإصلاح الديني.

وباستثناء الصور الموجودة في المعابد المصرية، لا يوجد ما يثبت أن فن الكاريكاتور السياسي كان معروفاً قبل أواخر القرن الثامن عشر. ويبدو أن أول من صور صورة كاريكاتورية سياسية، بالمعنى الصحيح، هو الإنجليزي جورج تونزند، الذي عكف على تصوير الأشخاص البارزين في ميادين السياسة. وشاع الكاريكاتور السياسي، بعد ذلك، ولاسيما بين الهولنديين، ولعل أول ملك كان هدفاً لهم، هو لويس الرابع عشر، ملك فرنسا.

والكاريكاتور في إنجلترا له تاريخ طويل كذلك. فيوجد في المتحف البريطاني بلندن فهرس للصور الكاريكاتورية جمعها رجل يدعى ستيفنس. وقد ذُكر في هذا الفهرس جميع الصور التي كانت معروفة حتى يومه (العام ١٧٧٠). ويُفهم من بيانات هذا الفهرس أن الأسْرة المالكة في إنجلترا ظلت بعيدة عن ريشة المصورين الهزليين، إلى إن جاءت أسرة هانوفر، وبدأ الهجوم على الملوك بالرسوم الهزلية؛ وفي مقدمة الذين هوجموا جورج الأول، مؤسس الأسْرة، الذي كان الهزليون يصورونه صوراً غاية في السخرية، وفعلوا أكثر من ذلك بخَلَفِه، جورج الثاني. ولما ارتقى جورج الثالث العرش، كان التصوير الهزلي، قد أصبح فناً معترفاً به. ونبغ، يومئذ، مصور ماهر، هو جورج تونزند الذي اتخذ منحى جديداً، هو التصوير على البطاقات وورق اللعب، وقد وصفه ستيفنس بأنه مبتكر فن الرسم الهزلي الحديث. إلا أن هذا الوصف فيه شئ من المبالغة، فإن فضل تونزند ينحصر في إتقانه للفن. والفضل في بعض الصور، التي أشتهر بها، يرجع إلى حماسته السياسية. وفي العقد السابع من القرن الثامن عشر، بدأت الجرائد الإنجليزية تنشر الصور والرسوم الهزلية، في موضوعات سياسية واجتماعية. وكانت هذه الصور تتناول أشخاصاً معروفين (من ملوك وساسة)، أو أشخاصاً خياليين؛ وفي الواقع، لم تنشر الجرائد صوراً هزلية، قبل العام ١٧٦١، حيث اشتدت الخصومات السياسية على إثر انتشارها.

وفي نهاية القرن الثامن عشر، وبدايات القرن التاسع عشر، ظهر عدد من رسامي الكاريكاتور البارزين، فقد تألق جورج كروك شانك، وجيمس جيليري، وتوماس رولاندسون في كثيرٍ من الرسوم الكاريكاتورية اللاذعة، حول الأمور السياسية والحكومة في إنجلترا.

شكل ٥: رسم كاريكاتوري لتوماس رولاندوسن تصور مآسي الحياة التي عاشها مواطنو إنجلترا الفقراء[٧]

ولم يكن المصورون الهزليون في فرنسا على قدر من الحرية التي أتيحت لأقرانهم في إنجلترا. وكان القانون شديد الوطأة على الذين يصورون الأشخاص تصويراً يجعلهم سخرية. ولذلك، قلما وُجد في فرنسا أثر للصور الهزلية في أوائل القرن الثامن عشر، إلا ما كان منها سياسياً يتناول أشخاصاً خياليين. على أن هذا التشديد لم يحل دون نبوغ طائفة كبيرة من المصورين الذين كثرت أعمالهم الهزلية السياسية، ولاسيما أثناء الثورة الفرنسية، وحروب نابليون. وكانت الحكومة الفرنسية تشجعهم على تصوير أعدائها تصويراً يدعو إلى تحقيرهم والحط من شأنهم.

يذكر شانفلوري في كتابه **تاريخ التصوير الهزلي الحديث**، أن هذا الفن اتخذ في فرنسا، على أثر ثورتها، شكلاً أكثر انطباقاً على آداب السياسة والاجتماع، من الشكل الذي كان عليه أثناء تلك الثورة وحروبها. وكان دوميه (Daumier) في مقدمة مصوري هذا العهد، وقد بلغ بالفن أرقى مستوى. ولم يسلم الملك من ريشته، فقد كان يرمز إليه بصورة حبة كمثرى، لا يراها الناظر إلا ويدرك أنها رأس الملك. وقد اهتم دوميه، بصفة خاصة، بالطبقة الوسطى الصاعدة في فرنسا، فانتقد أزياءها وذوقها الفني. وأتى بعده شارل فيليبون، وكان من رجال الصحافة، ومن أعظم المصورين في عصره. وقد أنشأ جريدة أطلق عليها

"الكاريكاتور"، لم يسلم أحد من عظماء ذلك العصر من سهامها اللاذعة. وكانت السبب برفع مئات من الدعاوى عليه. ولا شك أن مجموعة الصور الهزلية التي نشرتها هذه الجريدة، هي أثمن ما كان في نوعها من الوجهة الفنية.

شكل ٦: لوحة من لوحات دوميه، وهي بعنوان (اجتماع الدائرة الانتخابية)[٨]

شكل ٧: الملك لويس يقول: هل أبدو رجلاً كفاية الآن. ترد عليه السيدة: لا ينقصك سوى ميدالية عسكرية.

كما وضع أساس فن الكاريكاتور في الولايات المتحدة الأمريكية، رجل من أصل إسكتلندي، يدعى ويليم تشارلس، أُرغم على مغادرة وطنه،والنزوح إلى أمريكا في أوائل القرن التاسع عشر. وكان أكثر أعماله طعناً في بريطانيا العظمى، وتشهيراً بجون بول. وفي عصر الرئيس جاكسون، نبغت طائفة من المصورين الهزليين، ابتدعت أسلوباً جديداً، وهو وضع الكلام المراد النطق به، ضمن دائرة بشكل عقدة الأنشوطة، أو بشكل آخر متصل بفم الشخص المصوَّر.

شكل ٨: لوحة كاريكاتورية تمثل استيلاء القائد الأمريكي الجنوبي (جون بول) على مدينة الاسكندية التابعة لقوات الشمال، أيام الحرب الأهلية الأمريكية.[٩]

الكاريكاتور العربي القديم:

في أغلب الدراسات السابقة أو المقالات العربية التي وصلت إلى يد الباحث، وجد أن أغلب الباحثين العرب اعتمدوا على تصوير الكاريكاتور كفن وأصول غربية بحتة، ولذلك وجد الكاتب ضرورة وجوب إضافة عنصر المساواة والإنصاف في ذكر التاريخ القديم للكاريكاتور، وأن يؤكد على ما يلي: لم يكن هذا الفن أصلاً معروفاً باسم كاريكاتور عند العرب، وإن وجد، أو حتى مصنفاً ضمن نوع معين من الفنون، ويمكن أن نطلق على كل رسم لا يعتمد على تصوير

الحقيقة أو يعتمد على اختلاق صورة غير موجودة، فناً كاريكاتورياً. عندئذ، ستسمح هذه الصفة بإدخال فن التصوير العربي إلى حيز دراسة تاريخ الكاريكاتور، وفي هذه الحالة لا يوجد أفضل من كتاب مقامات الحريري، لإثبات صحة أن الكاريكاتور أيضاً من ظواهر الحضارة العربية، ولو لم يكن يعرف باسمه أو بصفاته التي ظهرت لاحقاً، وكما هو مبين في الرسم أدناه، وهي صورة من "مقامات الحريري" للمصور العربي جهجا بن محمد الواسطي/بغداد سنة ١٢٧٣م، وهذه الرسوم هي تصوير لقصص الأديب العربي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، التي تقوم على قصص وطرائف من وقع خيال الكاتب، هنا قام المصور الواسطي برسم هذه الرسوم للتعبير عن جو القصة، وفي هذه الحالة، فإن بإمكاننا اعتبار هذه الرسوم، رسوماً كاريكاتورية، كونها تصور واقعة خيالية (مختلقة) تعبر بداخلها عن مضمون اجتماعي، وموجهة للناس كافة، وليس لطبقة من الطبقات، أوليس هذا يعتبر فناً كاريكاتوراً إسلامياً؟

شكل ٩: صورة من كتاب المقامات للرسام الواسطي العام ١٢٧٣[١٠]

أما بالنسبة للكاريكاتور العربي الحديث، فقد ظهر ما بعد حملة نابليون إلى مصر، حيث ظهرت في مصر المطبعة الأولى، وكان أول من رسم وكتب تعليقات كاريكاتورية هو الصحافي يعقوب صنوع،[11] وأصدر جريدة هزيلة تسمى "أبو نضارة" (١٩٧٦). ولكن يُعتبَر الفنان محمد عبد المنعم رخا الأب الحقيقي لفن الكاريكاتور العربي ... فقد ابتكر رخا عدداً من الشخصيات التي نالت شهرة كبيرة مثل "ابن البلد، ورفيعة هانم، والمصري أفندي"، ومن خلالها استطاع تجسيد معاناة وأحلام المواطنين، وانتقادها للأوضاع الاجتماعية والسياسية بروح لاذعة وخطوط جريئة، ومثل الرسام دوميه، دخل رخا السجن لمدة أربع سنوات بسبب رسم كاريكاتوري بتهمة "العيب في الذات الملكية"!!

ثم توالى ظهور رسامي وفناني الكاريكاتور منذ ذلك الحين، وأسسوا فناً عربياً قائماً على بنية ثقافية واجتماعية عربية وأبدعوا في مجالهم. وفي ذلك الوقت نفسه، عاش في القاهرة الرسام الألماني الكبير سانتين، ورفقي التركي، وصاروخان الأرمني، وهؤلاء سادت أعمالهم على نبرة السخرية من الأوضاع الاجتماعية، وظهر لدينا أيضاً، صلاح جاهين، وجورج البهجوري، ورباح الصفتي، وبهجت عثمان، وكان هؤلاء هم الدفعة التي غيرت وجه الكاريكاتور العربي في أوائل الخمسينيات، فقد نجحوا في ابتكار شخصيات عبروا من خلالها عن همومهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية، وجعلوها دعوة للتغير والتحرر من سيطرة الاحتلال للوطن.

الكاريكاتور الفلسطيني

نبذة عن الصحافة الفلسطينية ما قبل ١٩٤٨

قبل الدخول في موضوع الكاريكاتور الفلسطيني، يجب أن نفهم صورة تاريخ الصحافة الشامية وطبيعته في تلك الفترة، وذلك بسبب ارتباط الكاريكاتور بتطور الصحافة نفسها.

يعتقد الباحث أن الصحافة الفلسطينية محظوظة نوعاً ما بالنسبة لباقي الصحف العربية الأولى، ليس لأنها من إحدى البدايات الصحافية[١٢] في الوطن العربي فحسب، بل بسبب الظروف السياسية التي كان لها دور في ظهور الحركة الصحافية الشامية ونموها بشكل عام، والصحافة الفلسطينية بشكل خاص، بسبب ضعف القيود التركية على مناطق فلسطين، ولبنان، على فترات طويلة نسبياً، قياساً بالمناطق الأخرى التي كانت واقعة تحت الاحتلال التركي، حيث أن حكم العثمانيين المباشر، لم يكن مستقراً في المنطقة، وذلك بسبب ظهور الإمارات شبه المستقلة[١٣] في مناطق الساحل الشرقي للبحر المتوسط، التي استطاعت أن تتواصل ثقافياً وتجارياً مع دويلات أوروبا الغنية بدون العودة للموافقة العثمانية في غالب الأحيان. لقد أطلقت هذه المنطقة عدداً من المثقفين الذين قادوا الصحافة العربية حتى وصلت إلى النور، فلا أحد يستطيع نكران أن الفضل الأول لظهور الصحافة المصرية يعود للأخوين سليم وبشارة تقلا الشاميين في تأسيس جريدة "الأهرام" وصدور عددها الأول في ٥ آب ١٨٧٦، ويعتبر الكثير من المؤرخين، أن الصحافة العربية الحقيقية قد نشأت بنشوء صحيفة "حديقة الأخبار" العام ١٨٥٨، وأن خليل الخوري هو أول صحافي عربي يصدر جريدة شعبية باسمه في العالم العربي، وأنّ كل ما صدر قبل جريدته ليس من الصحافة في شيء، على اعتبار أنها كانت إما جرائد رسمية لنشر القرارات والأوامر الحكومية، وإما لأنها لم تكن عربية المكان ولا الطابع ولا الناشر.[١٤]

أما الانطلاقة الحقيقة للصحافة في بلاد الشام، فقد بدأت العام ١٩٠٨، بعد إعلان الدستور العثماني، الذي أعطى إشارة البدء للانطلاقة الحقيقية للصحافة. فقد صدرت المئات من الدوريات في زمن وجيز، مستفيدةً من توفر جو من الحرية النسبية يغذيه تنافس فكري سياسي واسع. وقد تراجعت الرقابة في

ذلك العهد من دون أن تغيب تماماً. لكن نقد السلطة الاتحادية كان يدين القسم الأكبر من الصحف، وبخاصة الصحافة الساخرة التي رأت النور في تلك المرحلة. وكان القضاء هو الفاصل إذا ما خرقت الصحافة قانون المطبوعات، أي أن الرقابة الزجرية تراجعت إلى حدٍ ما، بينما بقيت الرقابة الوقائية محددة بالقانون. غير أن هذا الجو من التسامح لم يعش طويلاً، إذ تشدد التعصّب الطوراني حتى بلغ ذروته مع إعدام الوطنيين العرب، ومنهم عدد كبير من الصحافيين في يوم ٦ أيار ١٩١٦.[١٥]

لقد كانت بلاد الشام بشكل عام مهيأة لاستقبال هذه التطورات البشرية، وبخاصة الكتابة والصحافة بسبب إرثها الثقافي والتجاري المزدهر مع دويلات أوروبا الغنية في نهايات القرن التاسع عشر. ومن الإرث الذي ساهم في نشوء الصحافة الشامية، كانت الإرساليات والمدارس التبشيرية الأوروبية، التي دخلت فلسطين ولبنان في فترة حكم الأمراء شبه المستقلين عن الدولة العثمانية، وأهمها الدولة الشهابية والدولة المعنية في لبنان ودولة الظاهر عمر(١٦) في فلسطين، حيث كانت العلاقات والانفتاح التجاري ما بين هذه الدويلات ودول أوروبا الغربية والغنية ثقافياً واقتصادياً، ما ساعد على انتقال أدوات الحضارة الأوروبية إليها، التي كانت المطابع أهمها، هذه التقنية التي سبق ظهورها في لبنان وفلسطين عنها في مصر، كما يظن البعض، فقد دلت كتب ومطبوعات للكتاب المقدس وكتب استشراقية موجودة حالياً في أحد متاحف باريس على أقدمية المطبوعات في سواحل شرق المتوسط عنها في مصر نابليون، وقد حظي الكاتب شخصياً برؤية هذه الكتب خلال زيارة ثقافية لأحد متاحف باريس وبرفقة الكاتب والرسام العربي، الأستاذ محي الدين اللباد.[١٧]

أما بالنسبة للصحافة الفلسطينية بشكل خاص، فعلى الرغم من أن بدايات الصحافة ظهرت فيها، فإنها لم تجد ذلك الصدى الواسع كما في مصر أو لبنان. ففي كتاب **الصحافة العربية في فلسطين** للأستاذ أحمد خليل العقاد، يقر فيه العقاد بأن الصحافة الفلسطينية لم تكن ذات أهمية كبيرة للمجتمع الفلسطيني حتى العام ١٩١٧، حيث كانت صحافة ما قبل ١٩١٧ ذات حجم صغير ومادة قليلة، ولكن وبسبب الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧، اتجه الناس

لقراءة الصحف ومتابعة الأخبار، بسبب ما حمله هذا الاحتلال إليهم من حوادث ذات صلة بمستقبلهم ومصيرهم.[١٨]

وبدأت أهمية الصحافة تنمو شيئاً فشيئاً، حتى وصلت إلى مرحلة يمكننا القول فيها إنها مرحلة النضوج، ومما يؤكد هذه الفرضية هو ما ذكره الباحث يهوشع في كتابه **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في عهد الانتداب العثماني ١٨٧٦ - ١٩١٨**، فقد ذكر الكاتب أن صحيفة فلسطين كانت توزع مجاناً لكل مختار قرية كانت تصلها الصحيفة، وهذا إن كان يدل على شيء، فإنه يدل على مقدار الوعي والمسؤولية الوطنية التي وصل إليها القائمون على تلك الصحيفة.[١٩]

للأسف، فإن كتاب الأستاذ أحمد خليل العقاد، وكتاب الباحث يهوشع بن نون هما المصدران الوحيدان لصحف فلسطين ما بين العام ١٨٧٦ والعام ١٩٤٨، وهذه المراجع الشحيحة جعلت من دراسة تاريخ الصحافة الفلسطينية أمراً شاقاً على الباحثين.

المراحل التي مرت بها حركة فن الكاريكاتور في الصحافة الفلسطينية

مر الكاريكاتور الفلسطيني بمراحل عدة قبل ظهوره على الساحة الفلسطينية والعربية كفن معترف فيه صحافياً وجماهيرياً، وقد قسم الباحث هذه المراحل إلى أربعة أقسام، هي:

١- ما قبل الشتات.

٢- ما بعد الشتات/مرحلة الثورة الفلسطينية.

٣- كاريكاتور فلسطين الداخل (فلسطين التاريخية).

٤- مرحلة ما بعد أوسلو.

١- الكاريكاتور الفلسطيني ما قبل الشتات (١٩٠٩ - ١٩٤٨)

وتنقسم هذه المرحلة إلى أربعة فترات، هي:

أ - ما بين العام ١٩٠٩ حتى العام ١٩١٦ (العهد العثماني).

ب- الفترة ما بين العام ١٩٢٣ حتى العام ١٩٣٦.

ج - الثورة الفلسطينية الأولى سنة ١٩٣٦.

هـ- ما بعد الثورة الأولى حتى العام ١٩٥٠.

أ - ما بين العام ١٩٠٩ حتى العام ١٩١٦ (العهد العثماني):

على الرغم من أن فن الكاريكاتور ظهر في مرحلة مبكرة من تاريخ الصحافة الفلسطينية وبالتحديد في العام ١٩٠٩، حيث صدرت مجلة (الأخبار) الكاريكاتورية، فإن نقص المصادر من صحف ومجلات فلسطين لما قبل العام ١٩١٧، جعل من تلك الفترة "مجهولة المعالم"، فقد ظهرت العديد من المجلات الأسبوعية التي صنفت على أنها فكاهية، وعلى الرغم من عدم شمول تعريفها على كلمة (كاريكاتورية) كما هو حال مجلة (الأخبار) ، فإن ذلك لا يعني استبعاد وجود إمكانية بأن يكون الكاريكاتور قد نشر على صفحاتها، لقد ظهرت أغلب هذه الصحف في العام ١٩٠٨ التي عنيت بالفكاهة بشكل خاص، وهي:[٢٠]

١ - الإنصاف/١٩٠٨ سياسية أدبية فكاهي.

٢ - البلبل/١٩٠٨، وصنفت بأنها فكاهية.

٣ - الجراب الكردي/١٩٠٨، وصنفت بأنها سياسية هزلية.

٤ - الحرية/١٩٠٨ أدبية اجتماعية فكاهية قصصية.

٥ - الحمارة/١٩٠٩، وصنفت بأنها مجلة هزلية.

٦ - الحمارة القاهرة/١٩١١، وصنفت بأنها فكاهية أدبية مستقلة.

وللأمانة العلمية، فقد قرر الباحث استبعاد هذه المجلات بسبب ضعف تأكيد المصادر التي توفرت للباحث من أن هذه المجلات حملت الطابع الكاريكاتوري الواضح في صفحاتها.

إن التاريخ الوحيد والموثّق عن أقدم مطبوعة عنيت بالكاريكاتور في فلسطين هي مجلة (الأخبار)،[٢١] لقد صنف الأستاذ يوسف خوري في كتاب **الببليوغرافيا تاريخ الصحافة العربية في فلسطين**، مطبوعة (الأخبار) بأنها جريدة تبحث في الشؤون السياسية والفكاهية والكاريكاتورية، لصاحبها السيد بندلي حنا غرابي، غير منتظمة الصدور، وهي صحيفة تأسست العام ٢٩ حزيران ١٩٠٩.[٢٢]

وللأسف، لم نستطع الحصول على نسخة من هذه الجريدة أو أحد كاريكاتوراتها، ولكن تاريخ صدور هذه المجلة مهم بحد ذاته، كونه يؤكد أن الكاريكاتور في فلسطين بدأ في وقت مبكر جداً، على صعيد تاريخ الصحافة الفلسطينية نفسها أو الصحافة العربية.

وعلى الرغم مما ذكرنا بأن الكاريكاتور ظهر سنة ١٩٠٩، فإن فكرة الرسوم الكاريكاتورية كانت أحدث من أن يتقبلها الجمهور الفلسطيني، فقد تغير توجه المجلة العام فيما تقدم لتتحول إلى مجلة سياسية أدبية فقط، فاقدة بذلك طابعها المميز عن باقي المطبوعات الفلسطينية. ويعتقد الباحث أن هذه المجلة كانت في بداياتها، عبارة عن محاولة لتقليد فنون الصحافة الأوروبية أو المصرية، بما فيها فن الكاريكاتور، ولكن تم الاستغناء عن ذلك الفن فيما تقدم، ربما بسبب عدم تهيؤ الجمهور الفلسطيني لفن الكاريكاتور.

وما بين الأعوام ١٩١١ حتى ١٩١٦، عاد التشديد والحظر على عدد كبير من المجلات الفلسطينية بقرارات تركية، وذلك قبل الحرب النهائية والخروج من فلسطين، والتي تعني بدورها أيضا انتكاسة لفن الكاريكاتور، الذي كان مهيئاً للظهور إلى الجمهور الفلسطيني، بسبب عدد المجلات الهزلية السياسية التي ظهرت في المنطقة كلبنان، ومصر، والتي كانت لها سوق في فلسطين، كما مجلة (الحمارة) اللبنانية، التي كان لها جمهورها في فلسطين.

سمات كاريكاتور هذه الفترة

لم يستطع الباحث تأكيد المصادر بدليل مادي على وجود الكاريكاتور في تلك الفترة، ولكن تبقى إمكانية ظهورها موجودة بسبب انتشار الصحف الهزلية في الدولة العثمانية، هذا بالإضافة لأن الصحف اللبنانية والمصرية كانت تصل إلى فلسطين، وهذا بحد ذاته يعطينا إمكانية لظهور الكاريكاتور ولو لم يكن فلسطيني الأصل.

ب - الفترة ما بين العام ١٩٢٣ حتى العام ١٩٣٦:

بدأ الكاريكاتور عمليا يظهر في هذه الفترة بالذات، وظهر نوعان من الكاريكاتور على الصحف الفلسطينية، وهما ١- الكاريكاتور الإعلاني. ٢- الكاريكاتور الصحافي.

١- الكاريكاتور الإعلاني

لقد سبق ظهور الكاريكاتور السياسي في الصحف الفلسطينية، وهو ما يسميه الكاتب (الكاريكاتور الدعائي).

وعلى الرغم من غرابة الموضوع، فإن الباحث وجد بعد المعاينة والتدقيق بما توفر له من صحف فلسطينية الحلقة الناقصة (الوصلة) ما بين الرسم الكاريكاتوري التقليدي وظهور فن الكاريكاتور الحديث، والتي سيعتمد عليها الباحث لافتراض نظرية جديدة في مهنة الكاريكاتور ... القائمة على النص التالي:

يفترض الباحث أن الكاريكاتور الحديث، ما هو سوى وليد التزاوج ما بين فن الدعاية البدائية في بدايات الصحافة وفن الرسم الكاريكاتوري القديم، وما يلي توضيح لحيثيات هذه النظرية:

لم يكن الكاريكاتور القديم، على الرغم مما يعتقده البعض، فناً معروفاً للناس كافة، وبخاصة في عصور الرومان والفينيقيين، بل وحتى الفراعنة المصريين، فما وجد من رسومات ونقوش على الجدران، ما هي سوى مقتنيات محتكرة لفئة من الناس، كالملوك، والرهبان، والأغنياء في ذلك الزمان، حيث يفترض الباحث بمنطق التاريخ عدم إمكانية نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية بشكل جماهيري فيما سبق عصر الطباعة أو الصحافة، لاستحالة نسخها أو نشرها بشكل واسع، وإن وجدت ستكون تكلفتها أغلى مما يقدر عليه الرسامون القدماء. إذاً، فإن فن الكاريكاتور القديم، هو فن غير جماهيري بسبب محدودية توزيعه وجمهوره، وهذه الخاصية من أهم خواص الكاريكاتور الحديث.

بالنسبة للإعلانات البدائية في عصر ما بعد الطباعة، فقد كانت الصحف هي المجال الأفضل للإعلانات، التي بدورها كانت وسيلة جيدة للتجار لنشر منتجاتهم

وتعريفها الناس، وكون نظام الطباعة البدائي كان يخلو من إمكانية إدخال الصور الملتقطة من الكاميرا إلى الصحيفة، ما اضطر التجار إلى استخدام الرسامين لرسم منتوجاتهم، وتصميم إعلاناتهم، ومن هنا تبدأ نقطة انطلاق الرسم الكاريكاتوري الحديث، حيث يفترض الباحث أن شد انتباه القارئ إلى الإعلان كان من أوليات التصميم والرسوم، فتارة كان إتقان رسم الوجوه والتفاصيل عاملاً مساعداً للإعلانات وبخاصة في تصميمات إعلانات السيارات، ولكن، أيضاً، اعتمد عدد لا بأس به من التجار على استخدام الإعلانات الطريفة، التي هي أقرب إلى الكاريكاتور أو الكارتون منها إلى إعلان تجاري.

شكل ١٠: إعلان من إعلانات صحيفة فلسطين في بدايات العشرينيات

شكل ١١: إعلان من إعلانات صحيفة فلسطين في بدايات العشرينيات

شكل ١٢: إعلان من إعلانات صحيفة فلسطين في بدايات العشرينيات

شكل ١٣: إعلان من إعلانات صحيفة فلسطين في بدايات العشرينيات

وهذه الحالة كانت ظاهرة بشكل أفضل من الأمثلة السابقة، وبخاصة في المثالين شكل ١١ وشكل رقم ١٢، تظهر فيهما الصفات الكاريكاتورية التي أهمها، الخيال، والمبالغة، والظُرف، وصورة ذات فكرة. لقد طغت هذه الإعلانات المرسومة يدوياً على الصحف في بداياتها، وتعطينا تصوراً واضحاً عن موضوع لم يبحث من قبل وهو علاقة فن الرسم بالإعلانات التجارية. لقد كان للرسامين والخطاطين موقع مميز في بدايات الصحافة، حيث استطاعوا أن يوجهوا قدراتهم الفنية، ويشحذوها برسومات لا يمكن اعتبارها فناً تابعاً لفنون الرسم الكلاسيكي، وعليه يفترض الباحث أن النهضة الإعلانية في الصحف الفلسطينية ساعدت على تقبل الجمهور لرسوم الكاريكاتور، وبخاصة الكاريكاتور السياسي، حيث أثبتت الرسوم قدرتها على تبسيط الأفكار والأحداث السياسية على الشعب، وهو ما سيظهر -فيما سيتقدم- عند الحديث عن دور الكاريكاتور في ثورة العام ١٩٣٦.

٢- الكاريكاتور والكارتون الصحافي

بقي الكاريكاتور مختفياً عن أنظار جمهور صحيفة فلسطين في هذه الفترة، ما عدا بعض الحالات النادرة، التي كان أهمها كارتون سنة ١٩٢٣، أي بعد عودة صدور جريدة فلسطين اليومية، حيث ظهرت في تاريخ ٢٠/نيسان/١٩٢٣، صورة كارتونية لبطل مصارعة فلسطيني في تشيلي (انظر شكل ١٤). إن ما يميز هذه الرسمة، هي الحرفية العالية في فن الكارتون، وفي تلك الفترة لم تذكر أي من المصادر وجود رسام كارتون فلسطيني، وبتلك الحرفية، ما يدفع الباحث للاعتقاد أن هذا الرسم مستورد، وكان هذا أقدم رسم كارتوني ظهر على جريدة (فلسطين)، إلا أن حجم الكارتون على الصفحة زاد من أهمية الخبر، وصور العضلات المفتولة أيضاً أعطت إثارة وتشويق لقراءة الخبر. وعلى الرغم من هذه الأهمية التي أعطيت للكارتون بمنحه مساحة كبيرة من الصفحة، فإن هذا النوع أيضاً اختفى حتى العام ١٩٣٤، حين صدرت صحيفة الدفاع الشهيرة، التي كان عنصر الكاريكاتور والكارتون من أهم عناصر إخراجها ومواضيعها، وكان الدافع هو المنافسة أو التقليد، ما دفع جريدة الدفاع فور ظهورها إلى استعمال الكاريكاتور على صفحاتها، ودفع، أيضاً، جريدة فلسطين اليومية إلى جعل الكاريكاتور من أحد عناصر صفحاتها، واستمر ظهور الرسوم الكاريكاتورية على أهم الصحف اليومية باطراد واضح، ولكن، على الرغم من

هذه الأهمية الزائدة للكاريكاتور، فإن الكاريكاتورات كافة كانت تعنى بالوضع العالمي، وعن صحف عالمية، ولم يكن هنالك أي كاريكاتور، يعنى بالأوضاع الفلسطينية الداخلية سوى كاريكاتور واحد ظهر على صحيفة (Palestine bulletin) الناطقة باسم الجالية اليهودية العام ١٩٢٩ (انظر شكل ١٥). إلا أن هذا الكاريكاتور حمل بين طياته كل ملامح العنصرية واللاسامية الإسرائيلية اتجاه العرب، فقد عمد الرسام إلى رسم حركة المقاطعة للمنتجات الإسرائيلية وكأنها سلبية على اليهود والعرب أنفسهم، في حين أن المسبب لهذه الأزمة هو شيخ الجامع، والأسوأ والأدهى من ذلك كله، هو رسم العرب وكأنهم حفاة متخلفون، وفي الأخير، يساوي الرسام بين الرجلين بأن يجعل اسميهما إبراهيم وإبراهيم، للدلالة على المساواة ... ، فأين هي المساواة؟! وعلى الرغم مما ذكر سابقاً من قلة الأعمال الكاريكاتورية، فإن الباحث يؤكد على أن المصادر التي توفرت بين يديه، قادته إلى هذه النتيجة، وللأمانة العلمية، وجب القول إن هناك الكثير من المطبوعات في تلك الفترة اختفت أو لم تتوفر، التي بدورها قد تحمل بين أوراقها الحقيقة الكاملة عن هذا الفن في تلك المرحلة.

شكل ١٤: صحيفة فلسطين، ٩ تشرين الثاني ١٩٢٨

MACROFILM (6) ,Dec1928.July1928

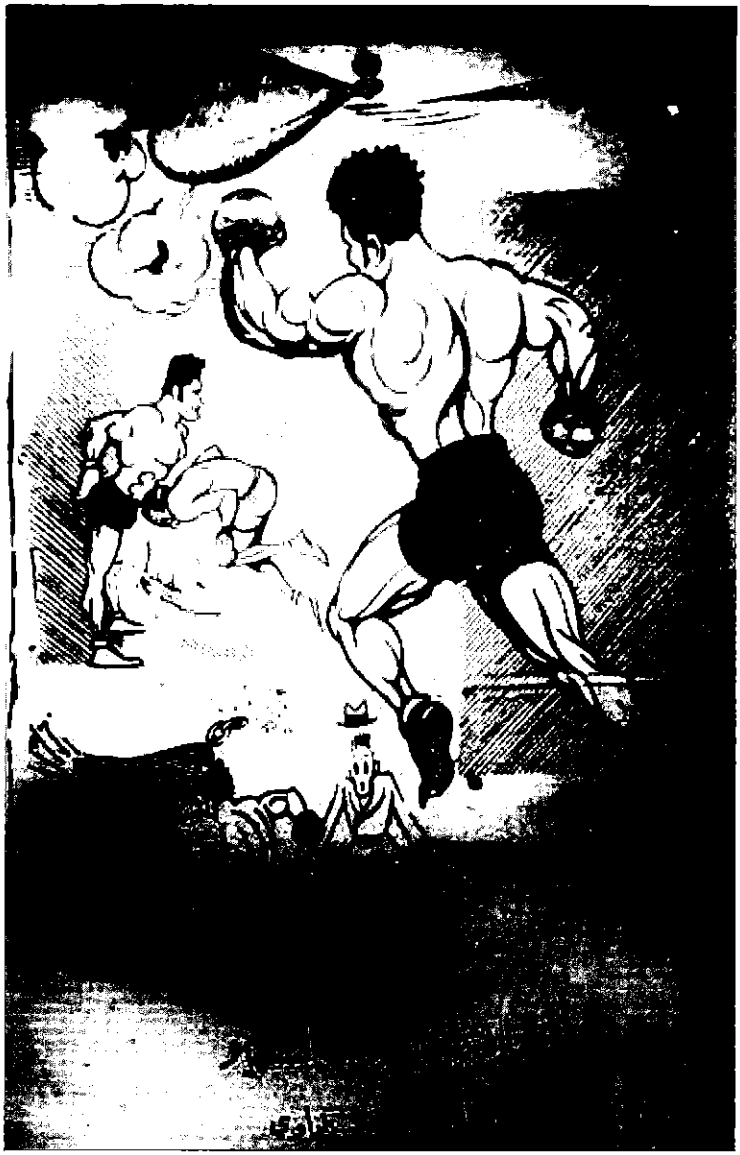

شكل ١٥: صحيفة الجيروسالم بوست ١٩٢٧

MACROFILM (10) , July - Dec1927

قلنا إن العام ١٩٣٤ كان عام البداية للانطلاقة الحقيقية للكاريكاتور الفلسطيني، وذلك لاعتبارات عدة، أهمها ظهور جريدة الدفاع، التي قامت باستخدام كثيف للكاريكاتورات العالمية في بداية انطلاقها، واستمرار صحيفة الدفاع باستعمال الكاريكاتور على الصفحات الأولى، ما جعل الكاريكاتور متقبلاً لدى الجمهور الفلسطيني، وهذه النتيجة لم تظهر سوى في العام ١٩٣٦ بشكل واضح المعالم، وعلى صفحات جريدة فلسطين، التي لم يتوقع الكاتب بأن يحتل الكاريكاتور تلك الأهمية الكبيرة، وغير المتكررة على مدى التاريخ الصحافي الفلسطيني، وذلك بعد فترة قصيرة من بدايات إدخال الكاريكاتور إلى صفحاتها.

سمات كاريكاتور الفترة:

بقي الكاريكاتور ضعيف الظهور طوال هذه الفترة، ولكن ظهرت الإعلانات بشكل متزايد، التي حملت بين ثناياها صفات الرسوم الكاريكاتورية، وأهمها صفات الطرافة أو التضخيم.

ج - الثورة الفلسطينية الأولى سنة ١٩٣٦

إن أهم ما يميز كاريكاتور الصحف الفلسطينية في هذا العام بالذات ما يلي:

١- ظهور كاريكاتور فلسطيني الجنسية.

٢- ظهور الكاريكاتورات المعنية بقضية فلسطين والصراع الفلسطيني الصهيوني.

٣- المساحة الكبيرة التي استحوذ عليها الكاريكاتور على صفحات الجرائد.

٤- ارتباط الكاريكاتور بالمانشيت العريض لأخبار الصفحة الأولى.

على طول الفترة التي سبقت العام ١٩٣٦، كانت الكاريكاتورات تأخذ من مصادر خارجية، وكانت موضوعات الكاريكاتورات السابقة فقط عن الحرب العالمية، أو المشاكل الأوروبية، ولم تظهر على أغلبها أية إشارة للمشكلة الفلسطينية، إلا أن البداية الحقيقة قد تكون في ٢/أيار/١٩٣٦، حين ظهر على الصفحة الأولى كاريكاتور للرسام المصري صاروخان الأرمني، وكان بعنوان (مبكى العرب)، الذي يمكن اعتباره، أول رسم كاريكاتوري يمس الشعور الوطني والقضية الوطنية، وعلى الرغم من أن صاروخان لم يكن فلسطينياً، فقد كان رسمه أول رسم تحدث عن الصراع الفلسطيني - الصهيوني.

شكل ١٦: MACROFILM (24), April - June (May - 2 -1936)

أما أقدم رسم كاريكاتوري توفر للباحث ولشخص فلسطيني فكان لرسام اسمه (عادل بشارات) (انظر شكل ١٧)، وهذا الرسم يمكن اعتباره البداية الحقيقة للرسم الكاريكاتوري الفلسطيني، كونه صدر على صفحات جريدة يومية مهمة كصحيفة فلسطين. وعلى الرغم من عدم ظهور رسوم أخرى للرسام، فإنه عند التمعن بعدد من الكاريكاتورات التي ظهرت على صحيفة فلسطين بعد رسمة عادل بشارات، يلاحظ أن عدداً منها، ما هو إلا عبارة عن رسوم مدموجة ومركبة من مصادر عدة، وهذا ما يجعل الباحث يفترض بأن الصحيفة قامت بعمل كاريكاتور من رسومات متعددة لتدخل الصبغة الفلسطينية على

موضوعاتها، وتكون صالحة للنشر للجمهور الفلسطيني، وللتأكيد على هذا الموضوع، لاحظ الشكلين التاليتين:

شكل ١٧: عادل بشارات MACROFILM (24), April - June (May - 18 - 1936)

شكل ١٨: رسم كبير بحجم نصف صفحة على الأولى، ظهر العام

MACROFILM (24), April - June (June -1936)

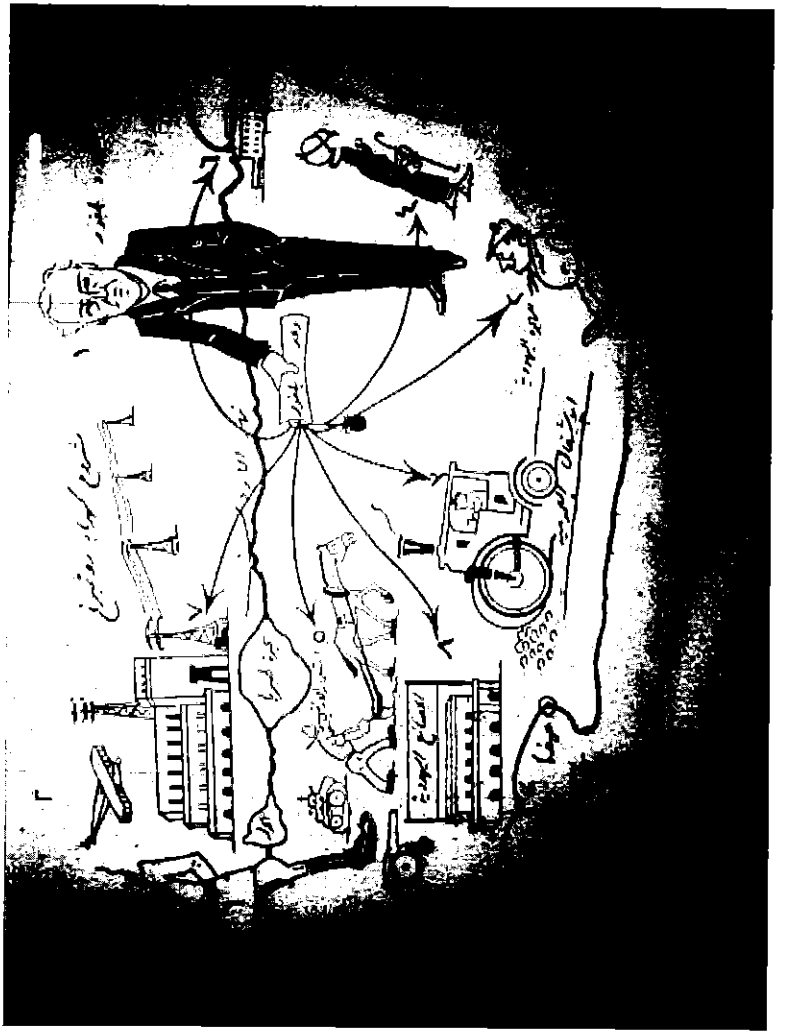

لاحظ كيف أن اللوحة تحتوي بداخلها على أكثر من طبيعة رسم، ما يدل على أنها ليست لرسام واحد، وبمعنى آخر، أن هذه اللوحة قد تم تجميعها يدوياً.

شكل ١٩: MACROFILM (24), April - June (June - 18 - 1936)

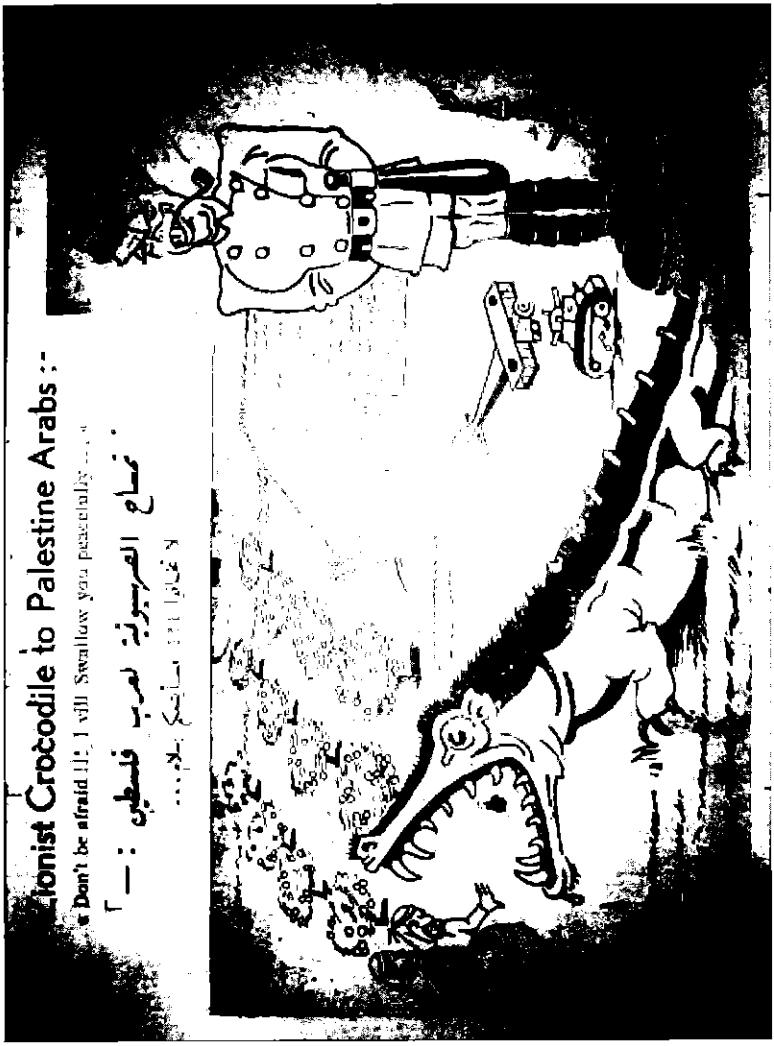

في اللوحة الأولى لاحظ اختلاف طبيعة وطريقة الرسم ما بين صورة بلفور، وصورة المستوطنين، والعرب والجنود. وعليه، فهذا الكاريكاتور هو كاريكاتور مركب من رسومات عدة، قامت الصحيفة بتجميعها وعمل كاريكاتور يعد من

أقوى وأبسط الكاريكاتورات التي تتناول عن وعد بلفور، ولكن؟ هل حقاً كان لهذا الكاريكاتور دور في إثارة الشعب،؟ حيث أن الرسم أبسط من أن يحتاج إلى شرح.

في اللوحة الثانية أيضاً، قامت الصحيفة بعمل كاريكاتور مركب من رسومات عدة، تتحدث عن سلب الأراضي الزراعية، لاحظ الجندي، وهي صورة تحمل ملامح كاريكاتورية لوجه ياباني، وليس صهيونياً كما هو معرّف في الصورة، إلا أن المعنى يبقى بسيطاً وواضحاً.

وفي محاولة لتمعن الكاريكاتور التالي الذي ظهر في جريدة الدفاع في العام ١٩٣٦، سنجد فيه رموزاً فلسطينية لا تزال مستخدمة ليومنا هذا، وهي رمز اليد القوية، وهنا يؤكد الباحث، أن الفن التعبيري الفلسطيني، وعلى طول سنوات الكفاح ضد الاستعمار وما تلاه من احتلال صهيوني لفلسطين، استخدم رمز اليد، في شعاراته ورسوماته. ويرجع الباحث هذا السبب لشح الرسامين الفلسطينيين الذين درسوا الفن أكاديمياً، أكان قبل الشتات، أم حتى بعده، وهذا ما يؤكد عليه الأستاذ إسماعيل شموط في كتابه،[٢٣] الذي أكد فيه أن أول مجموعة فلسطينية درست الفن أكاديمياً، كانت ما بين الأعوام ١٩٥٤-١٩٦٥، ولم تتعدَ الـ ١٠٠ رسام، ما يؤكد فرضية الباحث بأن رسم أجزاء من الإنسان وليس الكل، لتكون أجزاء أساسية في الكاريكاتورات، كاليد التي تمثل النصر، والعين الدامعة وسط خريطة فلسطين، واليد التي تحمل السلاح في شعار العاصفة، كل هذه مفادها أن الحركة الفنية الفلسطينية بشكل عام تأثرت بشح رسامي الكاريكاتور أو ضعف الأداء الفني، ما جعل استخدام الأجزاء وليس الكل، أساساً في المشهد الكاريكاتوري لكثير من رسوم الثورة الفلسطينية (نتذكر أول رسمة لناجي العلي، التي تمثل خيمة تخرج من رأسها يد بعلامة نصر).[٢٤]

شكل ٢٠: صحيفة الدفاع (1936) (7) Al Deffaa - MACROFILM

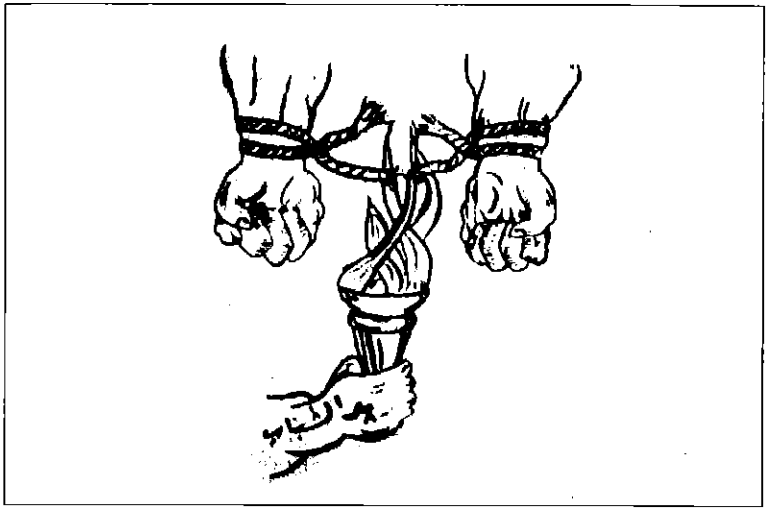

لقد وصلت أحجام الكاريكاتورات، وبخاصة في شهر حزيران، إلى أحجام مهولة وصلت إلى نصف صفحة، وهذه نسبة غير تقليدية بالنسبة لرسم كاريكاتوري، ولم يسبق للباحث أن شاهد مساحة كبيرة مخصصة لكاريكاتور كما كان في صحيفة فلسطين، فهل كان لوقع الثورة أثر في دفع الكاريكاتور للوصول إلى هذه المرتبة أم العكس؟

شكل ٢١: صورة كاريكاتور روح كمال باشا السفاح تناجي السير واكهوب، وتشكره لأنه جعل الفلسطينيين يترحمون عليه.

سمات كاريكاتور الفترة:

- أهم سمة في هذه المرحلة هي ظهور الكاريكاتور الفلسطيني، ولو بشكل مؤقت، أو برسوم رمزية ثورية ارتبطت بالثورة الفلسطينية كرسمة (اليد القوية)، أو عن طريق تجميع ولصق كاريكاتورات عالمية عدة لإنتاج لوحة واحدة.
- استخدام الكاريكاتور لأول مرة لمحاولة تفسير الأحداث الاجتماعية والسياسية الفلسطينية، وأهمها وعد بلفور ومشكلة الصهيونية.
- ظهور الكاريكاتور بشكل شبه يومي على الصحف الفلسطينية، وبخاصة الكاريكاتورات التي اهتمت بالحرب العالمية.
- ظهور نوع من التنافس بين الصحف على استخدام الكاريكاتور.
- استحواذ الكاريكاتور على مساحات جيدة، وأحياناً كبيرة وصلت لنصف صفحة على صفحات الجرائد.

د- الكاريكاتور ما بعد الثورة الأولى حتى العام ١٩٥٠

من الملاحظ أن الكاريكاتور قد أصبح من أساسيات الصحف الفلسطينية في الأعوام التي تلت الثورة، ووصلت إلى مرحلة النضج المهني والتقبل الشعبي لتصدر مجلة كاريكاتورية بشكل رسمي في العام ١٩٤٥، وهي مجلة (الرأي العام) الكاريكاتورية، للأستاذ أحمد خليل العقاد،[٢٥] وظهور الكاريكاتور في مجلات وصحف فلسطينية عدة، منها مجلة المستقبل،[٢٦] الرأي العام،[٢٧] النفير،[٢٨] وهذه هي المجلات التي توفر فيها دليل مادي على وجود الكاريكاتور في موادها.

شكل ٢٢: العقاد، تاريخ الصحافة العربية في فلسطين.

شكل ٢٣: العقاد، تاريخ الصحافة العربية في فلسطين

إلا أن هذا التقدم لم يكتمل، أو لم يكتب له النجاح، وذلك بسبب حدثين أساسيين:

أ- أحداث النكبة وما نتج عنها من توقف صدور الكثير من المطبوعات، التي كانت مراكزها مدن الساحل بشكل عام، ومدينتي يافا وحيفا بشكل خاص. لقد كان للكنبة الأثر الأكبر في اختفاء معظم المصادر والمراجع أيضاً، التي أصبح مصيرها الآن على أفلام الميكروفيلم في الجامعات والمكاتبات العبرية.

ب- صدور قوانين المطبوعات الأردنية، وبخاصة العام ١٩٥٠، قرار بإلغاء امتياز عدد من الصحف والمجلات. وما تبعه من قوانين في العام ١٩٦٧ التي أدت إلى دمج بعض الصحف واختفاء أخرى، كصحيفة الدفاع التي دمجت مع صحيفة الجهاد، لتصدر عنها صحيفة الرأي الأردنية، وتوقف فلسطين عن الصدور واختفاء الرأي العام. لقد كان لهذه القوانين أن تقتل ما تبقى من الصحف الفلسطينية التي كانت تصدر في حدود فلسطين التاريخية، وعليه كان حال الكاريكاتور في فلسطين، الذي تأثر بدوره بسبب ارتباطه الوثيق مع الصحافة الفلسطينية.

إن من الملاحظ هو فقدان الكاريكاتور أهميته الصحافية ما بعد العام ١٩٥٠، وعلى الرغم من احتواء صحيفتي فلسطين والدفاع على الكاريكاتور بشكل يومي، فإن الكاريكاتور الذي ظهر، لم يكن له أي بعد سياسي أو اجتماعي فلسطيني، وللأسف لم تكن له علاقة بما يجري على أرض الواقع، فقد كان الكاريكاتور المنتشر على صفحات الجرائد اليومية، عبارة عن كارتون ترفيهي لنكتة أو طرفة لرسامين أوروبيين، أو رسوم أطفال كما مسلسل دبدوب الذي كان يشغل مساحة رسمية في صحيفة فلسطين، وأيضاً، كاريكاتور فردينالد، وهو كارتون لا يتعدى الترفيه، ومن سخرية القدر، أن كارتون فردينالد، وجد أيضاً على صفحات صحيفة جيروسالم بوست الإسرائيلية، لنتساءل! على ماذا يدل ذلك؟

شكل ٢٤: كاريكاتور ظهر العام ١٩٥٥ في صحيفة فلسطين، وهذا الرسام له أيضاً مساحة مخصصة على الجيروسالم بوست منذ العام ١٩٣٦.

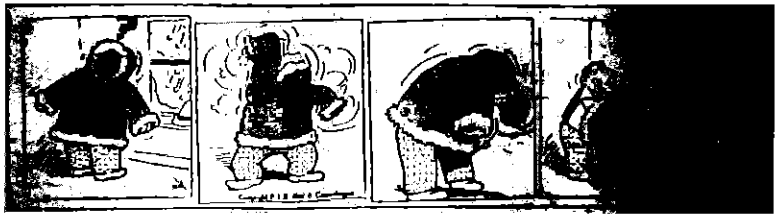

شكل ٢٥: من الكاريكاتورات التي ظهرت على الصحف الفلسطينية ١٩٥٥.

سمات كاريكاتور الفترة:

- وصول الكاريكاتور إلى مرحلة مستقرة، من حيث الوجود على الساحة الإعلامية الفلسطينية، أو من حيث النشر والمجلات المعنوية في الكاريكاتور.
- ظهور الكاريكاتور الفلسطيني ذي المضامين الاجتماعية، وعدم اقتصار الكاريكاتور على السياسة.
- ما بعد ١٩٥٠، حدث أن توقفت أغلب الصحف الفلسطينية بسبب عملية الاتحاد مع الأردن، وعودة اختفاء الكاريكاتور الفلسطيني.

٢- الكاريكاتور الفلسطيني ما بعد الشتات

أ- كاريكاتور المهجر والشتات

لقد كان للاجتياح الصهيوني الأثر الكبير على الحركة الصحافية الفلسطينية، فقد تم سلب جميع المؤسسات الإنتاجية في فلسطين، بما في ذلك المطبوعات والصحف، إلا القلة القليلة التي صمدت واستمرت في الصدور مثل "الاتحاد" الحيفاوية، وذلك لقربها من الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وكونهما تحت مظلة الحركة الشيوعية العالمية بقيادة روسيا، ولكن ما حدث للبقية كان أكثر من كارثة. وفيما يقول الأستاذ صالح عبد الجواد،[٢٩] في دراسة بعنوان (قتل المجتمع/Soci Suicide)، ذكر فيها كيف أن القوات الإسرائيلية نهبت جميع مدونات الشعب الفلسطيني التي وقعت تحت أيديهم، وهذه المدونات، تضم الجرائد بشكل خاص أيضاً، لقد تم سلب كل ما كانت تحتويه المؤسسات الفلسطينية من أوراق ومطبوعات، وأرسلت لتحفظ في أرشيف المكتبات الإسرائيلية، ولا تنم هذه العملية، سوى عن سرقة لتاريخ شعب بكامله، وتركه دون أي دليل على وجوده.

وفي الفترة نفسها، تحولت باقي المطبوعات الفلسطينية إلى مطبوعات لاجئة في الدول المضيفة، وهذا ما أدى إلى قصم ظهر الصحافة الفلسطينية الوطنية، فقد عانت هذه الصحف من قوانين المطبوعات في الدول المضيفة، ما بين قوانين وسياسات مصر وسوريا والأردن خاصة، ليتم القضاء كلياً على الصحف الفلسطينية، أكان بسبب اضطرار هذه الصحف للمسير بنفس نسق السياسة للنظام الحاكم، أم بسبب ضعف الإمكانيات، لتنتهي فيها المعركة بخسارة الفلسطينيين لأهم صحيفتين وطنيتين هما (فلسطين)، و(الدفاع) وسط معمعة قانون الاندماج الأردني الصادر في ٢١ شباط العام ١٩٦٧، هذا القانون الذي لم يطل فقط الصحف الفلسطينية، بل كل رموز التميز والحضور الوطني الفلسطيني، فحتى كرة القدم لم تسلم من هذا القانون، ليتغير إثم أهم فريق وطني فلسطيني من اسم الوحدات إلى الضفتين، وكل ذلك لنشر سياسة الاندماج الأردني الفلسطيني.

وعلى ما تم ذكره فيما سبق، لم تكن الحركة الكاريكاتورية الفلسطينية بمنأى عن هذه التغيرات، فمهنة الكاريكاتور تعتبر مهنة حساسة وسريعة التأثر لأي تغير سياسي للدولة، وهذا ما كان حال الكاريكاتور الفلسطيني، الذي ارتبط بالصحف الفلسطينية، بشكل عام، وعلى الرغم من ذلك استطاع اثنان من الفنانين الكاريكاتوريين الفلسطينيين البقاء والظهور في هذه الظروف الصحافية الصعبة، وهما الفنان رباح الصغّير وزكي شقفة.[٣٠]

على الرغم من أنه لا يمكننا قطع التاريخ بسكين، ونحدد، بأن عند تلك النقطة بدأ كذا وكذا، ولكن، يمكننا القول إن للعام ١٩٦٤ دوراً أساسياً في تقسيم الزمن، ففي تلك السنة ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية التي ارتبطت باسم الثورة والقضية الفلسطينية، وبداية العمل السياسي الفلسطيني، الذي تجلى بظهور صحف حزبية مختلفة وصلت إلى ٢٣٢ مطبوعة صحافية فلسطينية في الداخل والشتات. وعلى الرغم من أن أغلب هذه الإصدارات كانت غير منتظمة أو لم تعمر طويلاً، فإن عدداً لا باس بها اهتم بموضوع الكاريكاتور، ولو بشكل ثانوي في بعض منها.[٣١]

إن ما يميز الكاريكاتور الفلسطيني ما بعد العام ١٩٥٠، هو ظهور الكاريكاتور الفلسطيني الجنسية مرة أخرى وبشكل أوضح وأقوى، ولكن خارج نطاق حدود فلسطين التاريخية، فقد ظهرت رسوم الرسام الفلسطيني الأول رباح الصغّير على صفحات الصحف الأردنية في منتصف الخمسينيات، بالإضافة إلى الرسام زكي شقفة. وفي بدايات الستينيات، وتحديداً ١٩٦٢، ظهرت رسوم الرسام بهاء الدين البخاري في الصحف الكويتية، لتلحقها رسوم الشهيد ناجي العلي على الصحف الكويتية أيضاً، وبعد اختفاء كاريكاتورات رباح الصغير عن الصحف الأردنية، كانت رسوم الرسام جلال الرفاعي قادرة على ملء الفراغ الفني، بل الوصول إلى مرحلة متميزة، والتربع على عرش الكاريكاتور في صحف الأردن اليومية، حتى سطوع نجم الرسام الفلسطيني عماد حجاج، في بدايات التسعينيات.

شكل ٢٦: من رسوم الفنان رباح الصغير.

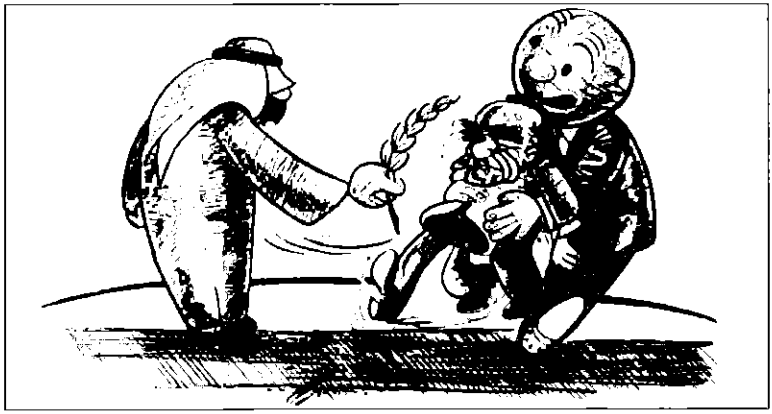

شكل ٢٧: من رسوم الفنان رباح الصغير.

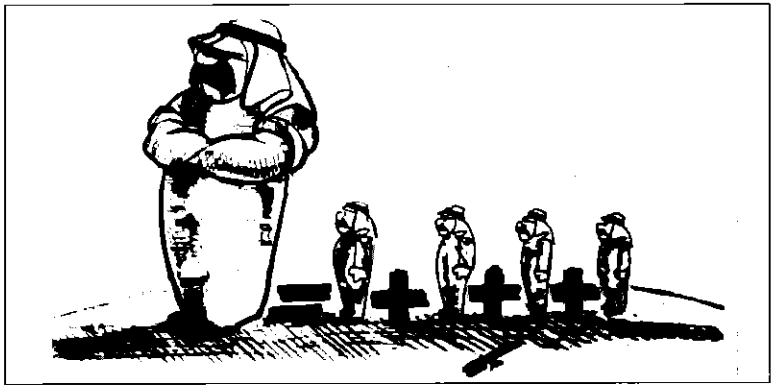

وما ذكرت من أسماء سابقة هي أسماء رسامين كاريكاتور ظهرت أسماؤهم على الصحف الرسمية العربية، أما رسوم صحف الفصائل الفلسطينية، فلم تكن كاريكاتورات رسمية لرسامين كاريكاتور، بل إن بعضها كان أقرب إلى رسم تعبيري منها إلى رسم كاريكاتوري، كما يظهر في الصورتين التاليتين لصحف فلسطينية في بدايات مرحلة الثورة المسلحة.

شكل ٢٨: الرسام مجهول.

العاصفة - العدد الأول ١٩٦٥/٥/١٥

صدرت عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"

شكل ٢٨: من رسوم الفنان جمال شموط.

ب-الصحافة الكويتية، والكاريكاتور الفلسطيني

لقد كان للصحافة الكويتية دور مهم وأساسي في ظهور الكاريكاتور الفلسطيني، وذلك بسبب عاملين:

١- التساهل الحكومي مع حرية الصحافة الكويتية التي كان لها الدور الأكبر في توفير البيئة الملائمة للرسامين الفلسطينيين، (بهاء الدين البخاري، والشهيد الرسام ناجي العلي، وجمال شموط).[٣٢] وعلى الرغم من هذه الحرية الظاهرة، فإنها لم تصل إلى المستوى المرجو منها، حيث يقول الأستاذ بهاء الدين البخاري، إن جريدة (الرسالة) الكويتية في العام ١٩٦٢ قد تم إغلاقها بعد ثلاثة أعداد، وبسبب رسومه الكاريكاتورية، وأيضاً تعرض كل من البخاري وناجي العلي إلى الكثير من الضغوطات من الدولة، فقد كاد الإبعاد يصيب بهاء البخاري، بعد اعتراضات واحتجاجات مصرية على رسوم كاريكاتورية لبهاء البخاري مسّت بشخص رئيس دولة مصر "أنور السادات"، ولكن زيارة السادات لإسرائيل أوقفت إجراءات الإبعاد قبل يومين فقط من التنفيذ. وتم إبعاد ناجي العلي عن الكويت العام ١٩٨٥، بسبب ضغوط دولية وإقليمية على الكويت.

٢- تحول الصحف الكويتية إلى منارة صحافية عربية، بسبب الحرب الأهلية اللبنانية، وما نتج عنها من هجرة الصحافيين اللامعين اللبنانيين والفلسطينيين للعمل في صحفها اليومية، ذات الإمكانيات المادية، والتي سمحت بنشر الكاريكاتور الفلسطيني على المستوى العربي الإقليمي والعالم، وهذه نقطة تسجل لصالح الصحافة الكويتية.

لقد اهتمت الصحف الكويتية بالكاريكاتور بشكل عام، وكانت كاريكاتورات بهاء البخاري، هي بداية انطلاق الحركة الفنية الكاريكاتورية في الصحافة الخليجية، لتتبعها أعمال ناجي العلي، ثم رسامين الكاريكاتور العرب، وبخاصة المصريين، أمثال ناجي المصري، وأحمد حسن، ومحمد أمين، وعلى الرغم من تفوق عدد الرسامين العرب، بقي موقع الرسامين الفلسطينيين مهماً، بسبب كونهما الأقرب إلى معضلة القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير، وفي الوقت نفسه كان لرسامي الكاريكاتور الفلسطينيين دور أساسي ومهم في ظهور الكاريكاتور الخليجي،

بالإضافة لمجلات الأطفال الخليجية، التي اعتمدت التصوير والكاريكاتور في رسومها، وأول مجلة عنت بهذه هي مجلة "سعد"، التي نشأت بمساعدة الفنان بهاء البخاري.

ج- اغتيال ناجي العلي ... ٢٢/تموز/١٩٨٧

يعد اغتيال ناجي العلي إحدى أهم المراحل التي مرت بها الحركة الكاريكاتورية الفلسطينية والعربية، بل العالمية أيضاً، حيث أنه ولأول مرة في العصر الحديث، يتم اغتيال رسام كاريكاتور، فهذه المهنة التي ارتبط اسمها بالهزل والسخرية الضاحكة كصفة الغالبة عند الجمهور، تحولت من مجرد رسوم ذات رسالة هادفة، إلى رموز وطنية، وأدوات قتال سياسية، عكرت تناسق التخبط السياسي العربي في السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم، ولم تكن الجبهة الداخلية للفلسطينيين أيضاً بمنأى عن انتقادات ناجي العلي. ومهما كانت الدوافع وراء اغتياله ومن كان وراءها، فقد كان لمقتله الدور الكبير في تحويل مهنة الكاريكاتور في العالم العربي إلى مهنة غير عادية، ومقبولة، بل ومرحب بها اجتماعياً.

هذا وقد كان لاستشهاد ناجي العلي دور لا يمكن التغاضي عنه في إظهار دور الكاريكاتور الفلسطيني الجنسية على مستوى الوطن العربي والعالمي. فقد تحول ناجي العلي وشخصيته الكاريكاتورية، حنظلة، إلى رموز نضال وطنية فلسطينية، بل إن استشهاده دفع العديد من الفلسطينيين لمحاولة خوض غمار الكاريكاتور، بتقليد أعماله في بعض الأحيان.[٢٣]

لقد أثر ناجي العلي على الكثيرين من رسامي الكاريكاتور، وعلى الرغم من أنه لا يمكننا الجزم بوجود مدرسة فنية كاريكاتورية تعتمد على قواعد ناجي العلي الفنية، فإن تحول شخصية حنظلة إلى رسمة شعبية فلسطينية، وتحول كاريكاتورات ناجي العلي إلى مقياس الحكم على الكاريكاتور بشكل عام عند الجمهور الفلسطيني يجعل ناجي العلي مدرسة فنية ذات قوانين عرفية "غير مدونة"، فرضها الجمهور على الرسامين الحديثين.

شكل ٢٩: لوحة من لوحات الفنان ناجي العلي، التي أعتقد أنها السبب وراء استشهاده.[٣٤]

لقد صادف الباحث عدداً من الرسومات لرسامين فلسطينيين، قاموا إما بإعادة رسم أفكار ناجي العلي، وإما بتقليد أعماله وتحويرها، منها ما هو مبين أدناه:

التأشيرات
تأشيرة دخول
كاريكاتير
السياسة الاردنية اليوم
يسمح لحاملة بدخول
كافة الاقطار ماعدى
العربية
الاسم: ابو احمد
مكان الولادة: فلسطين

شكل ٣٠: كاريكاتور الفنان بهاء الدين البخاري.

د- الكاريكاتور الفلسطيني في الصحف الأردنية

بالنسبة للكاريكاتور الفلسطيني في الأردن، فقد كانت سنوات الثمانينيات وبدايات التسعينيات هي سنوات جلال الرفاعي، الذي قاد الحركة الكاريكاتورية الأردنية طوال تلك السنين، استحوذ فيها على إعجاب الجمهور، حتى أن جريدة الدستور في العام ١٩٩١، فردت صفحة خاصة كل يوم جمعة، يحررها جلال الرفاعي، وفيها كانت الجريدة تستقبل محاولات الجمهور في فن رسوم الكاريكاتور، مع جوائز نقدية للمساهمة، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على المستوى الذي وصل إليه الكاريكاتور وأهميته في الأردن (انظر لوحة رقم ٣٢).

بدءاً من العام ١٩٩١، ظهرت رسومات للفنان الفلسطيني عماد حجاج على الصحف الأردنية، مبشرة بظهور نجم كاريكاتوري فلسطيني جديد على الساحة الأردنية والعربية، وصاحب الخط المميز بين رسامي الكاريكاتور الشباب، الذي استطاع أن يفتتح مدرسة كاريكاتورية مميزة، أثرت على سير الحركة الكاريكاتورية الفلسطينية والعربية أيضاً، بسبب أسلوب وطريقة الرسم باستخدام الكومبيوتر، الذي كان أداة غير عادية لرسم الكاريكاتور في بدايات التسعينيات، ثم ابتكاره لإحدى أهم شخصيات الكاريكاتور العربية، وهي شخصية (أبو محجوب)، ليتربع على عرش الكاريكاتور في الأردن بعدة فترة قصيرة من عمله في الدستور (انظر لوحة رقم ٣٣).

شكل ٣١: لوحة من لوحات الفنان جلال الرفاعي.

شكل ٣٢: من رسوم الفنان عماد حجاج.

سمات كاريكاتور الفترة:

- ظهور الكاريكاتور الفلسطيني وانتشاره في الوطن العربي بسبب كون أهم الرسامين خارج فلسطين، وفي دول الخليج خاصة.
- اغتيال الفنان ناجي العلي الذي أدى استشهاده إلى جعل الكاريكاتور الفلسطيني يتصدر كاريكاتورات الوطن العربي.
- طغيان الكاريكاتور ذي المضمون السياسي على أي مضمون آخر.

٣- كاريكاتور فلسطين الداخل (فلسطين التاريخية)

لا يمكن نكران الحالة السيئة للصحافة الفلسطينية بعد الشتات، ومدى تأثر الحركة الكاريكاتورية بما أصاب الصحافة الفلسطينية، ويمكننا الجزم مما توفر لدينا من مصادر ومواد، بضعف وشح عام في فن الكاريكاتور في الصحافة داخل حدود فلسطين التاريخية، وامتدت هذه الفترة منذ العام ١٩٥٠ حتى أواسط الثمانينيات، التي اعتمدت فيها الصحف على اقتباس الكاريكاتورات العالمية أو المنقولة عن الصحف العبرية، ولكن لم تمنع هذه الأوضاع من ظهور بدايات حركات كاريكاتورية جديدة في فلسطين التاريخية، بادئين بصحيفة الاتحاد التي كانت الوحيدة التي تنشر أعمال ناجي العلي باتفاق رسمي فيما بينهما، وكانت أعمال ناجي العلي تظهر وبنص (بريشة: ناجي العلي، خاص بالاتحاد)، وهي الوحيدة التي لم تكن تقتبس كاريكاتورات ناجي العلي من الخارج، على عكس الصحف الفلسطينية الأخرى، كالقدس، والشعب، والميثاق، والفجر، مثلاً. لقد استحوذ الرسام ناجي العلي على مساحة موفقة من الصحيفة، وبدا هذا التناسق ما بين الكاريكاتور والمجلة ظاهراً في الملحق الذي صدر عن الاتحاد الذي سمي بـ (المهماز)، وهي أسبوعية أدبية هزلية كاريكاتورية، اشترك فيها عدد من المثقفين الفلسطينيين، وصدرت العام ١٩٨٦، والتي كانت إعلاناتها تتضمن شد انتباه القراء بأن رسام الملحق هو ناجي العلي. وشاركت ناجي العلي في صفحات الاتحاد رسوم لشخص كان يوقع باسم – غسان- ألا وهو الفنان خليل أبو عرفة، ولم تقف الصحيفة على استعمال الكاريكاتور الفلسطيني، بل كانت تقتبس الكاريكاتورات من الصحف الإسرائيلية كصحيفة (عل همشمار) وصحيفة (زو هديرخ) المقربة للحزب الشيوعي الإسرائيلي. ولكن هذا التقدم توقف منذ العام ١٩٨٧؛ أي بعد اغتيال ناجي العلي، لتتضاءل المساحة الكاريكاتورية على صفحات الصحيفة شيئاً فشيئاً، عدا بعض الفترات المتقطعة، التي كانت رسوم (خليل أبو عرفة) تحاول ملأها، حتى الاختفاء الكلي، لتحل رسوم الكاريكاتور المنقولة عن الصحف العبرية مكان الكاريكاتور الفلسطيني، ولتحتل المواضيع الإسرائيلية في الكاريكاتور مكان الموضوع والقضية الفلسطيني.

شكل ٣٣: من رسوم الفنان ناجي العلي في صحيفة الاتحاد.

شكل ٣٤: من رسوم الفنان خليل أبو عرفة لصحيفة الاتحاد

بالنسبة لصحيفة القدس، الأوسع انتشاراً بين صحف فلسطين الداخل، فلم تعطِ الكاريكاتور تلك الأهمية الكبيرة، كما سنرى في الصحف الأخرى، لقد كانت الاقتباس شبه كلي لكاريكاتوراتها، وبدون أخذ إذن الرسام أيضاً، أو حتى الإشارة إلى اسمه، ومن البحث والمناقشة عرف الباحث بأن الصحيفة لم تستقبل الفنان خليل أبو عرفة بشكل رسمي قبل العام ١٩٩٠، ولو تم الاتفاق في بعض الحالات.

لقد كان لانتشار القدس دور كبير في نشر الكاريكاتور غير الفلسطيني، حتى تهيأ لبعض الفلسطينيين بأن هذه الكاريكاتورات لرسامين فلسطينيين، ولكن كانت تلك الكاريكاتورات اقتباساً عن صحيفة الشرق الأوسط، ومن أهم الشخصيات الكاريكاتورية التي عرفها الجمهور الفلسطيني هي شخصية (منافق أفندي).

شكل ٣٥: شخصية منافق أفندي التي ظهرت على صحف فلسطينية عدة.

بالنسبة لصحيفة الشعب، فقد كانت كما الاتحاد، تستقبل رسوم خليل أبو عرفة بالإضافة إلى الرسوم المنقولة عن الصحف العبرية، ولكن الملاحظ في صحيفة الشعب هي حجز الصفحة الأخيرة والمساحة المحددة لرسم الكاريكاتور الرئيسي، والتي كان يملؤها الرسام خليل أبو عرفة، ثم شاركه في المساحة الرسام عصام أحمد، ليكونا رسامين رسميين، بشكل رسمي ويومي وبالتناوب، وأيضاً اعتمادها على تذييل الرسوم بكلمة (خاص بالشعب)، موازاة لما كانت تذيل به صحيفة الاتحاد رسوم ناجي العلي. ومن الجدير بالذكر أيضاً، قيام الصحيفة بنشر أعمال كاريكاتورية لعدد من المحاولات الكاريكاتورية، بل إنها كانت تدفع ثمن الرسمة الواحدة بحدود الـ ١٠ شواكل، وهو نفس سعر الصورة الفوتوغرافية الملتقطة بالكاميرا، ولو عرفنا أن معاش الصحافي في مدنية رام الله كان يصل

إلى ٥٠٠ شيكل، فإن ما يدخره الفنان بشكل شهري على رسوم الكاريكاتور قد يصل إلى ٣٠٠ شيكل، وهذا ما أكده لنا الرسام (مشهور) الذي عمل صحافياً ورسام كاريكاتور في صحيفة الفجر، حيث يقول إنه كان يشعر بالاستقرار المادي، وبخاصة في الفترة التي استمرت ٦ اشهر متواصلة كان يقوم فيها برسم الكاريكاتور للصحيفة، وما يميز رسوم مشهور أن الوضع السياسي لم يكن هو جل اهتمامه، بل كان يتطرق إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وحتى الرياضية.

شكل ٣٦: من رسوم مشهور لجريدة الفجر.

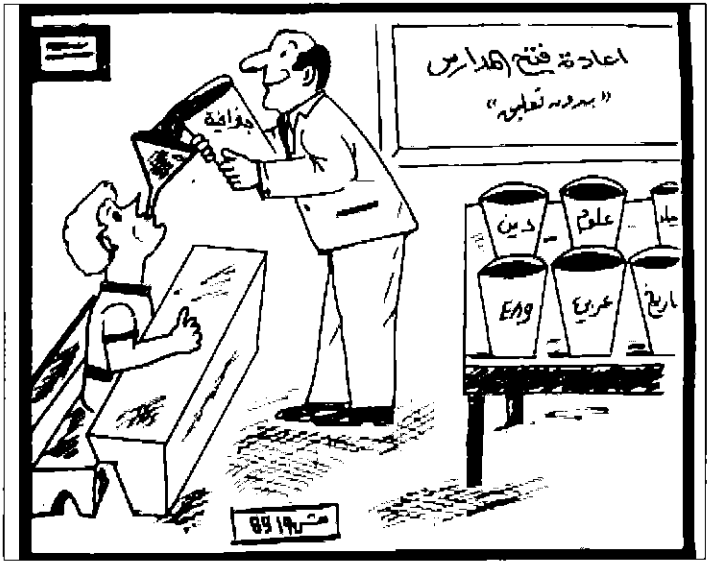

يقول (مشهور)، على الرغم من أن سياسية الصحيفة بالنسبة للكاريكاتور كان أكثر من محفز لجذب الرسامين، فإن هنالك عاملين أديا إلى ضعف الحركة الكاريكاتورية من حسب معايشته، وهي:

١- التسلط الدائم لمقص الرقيب العسكري الإسرائيلي على مواضيع الصحيفة، ومن ضمنها الكاريكاتور، الذي كان لا بد من أخذ موافقته قبل طبعها، إلا أن الصحيفة كانت كثيراً ما تغامر وتنزل الكاريكاتور دون مراجعة الرقيب العسكري، ما كان يعني إمكانية (إنذار) من الرقيب العسكري الإسرائيلي، وحدثت هذه الحادثة مرات عدة.

٢- الرقابة الذاتية التي عايشت رسامي الكاريكاتور في فلسطين، حيث لم تعد الفكرة هي الموضوع، بل أسئلة عدة أخرى مثل (هل ستقبل الصحيفة اللوحة؟، هل سيرفضها الرقيب العسكري؟، هل ستنشر؟).

شكل ٣٧: من رسوم عصام أحمد لجريدة الشعب.

لم تختلف صحيفة الفجر في اهتمامها بالكاريكاتور عن زميلاتها الصحف، فالاقتباسات الكاريكاتورية كانت واضحة، ولكنها اعتمدت بشكل كبير على رسوم محمود كحيل ورسوم الصحف العبرية، ولم تعتمد الصحيفة على أي رسوم لرسام كاريكاتور فلسطيني، ولم تظهر لدينا إشارات بأنها اعتمدت رسوماً فلسطينية أو رساماً فلسطينياً خاصاً بها قبل العام ١٩٩١، حيث ظهرت رسوم بتوقيع أبو مجدي في الصفحات الداخلية للصحيفة، وهو ما استمر الوضع عليه حتى العام ١٩٩٣.

شكل ٣٨: من رسوم أبو مجدي لجريدة الفجر، ١٩٩٣.

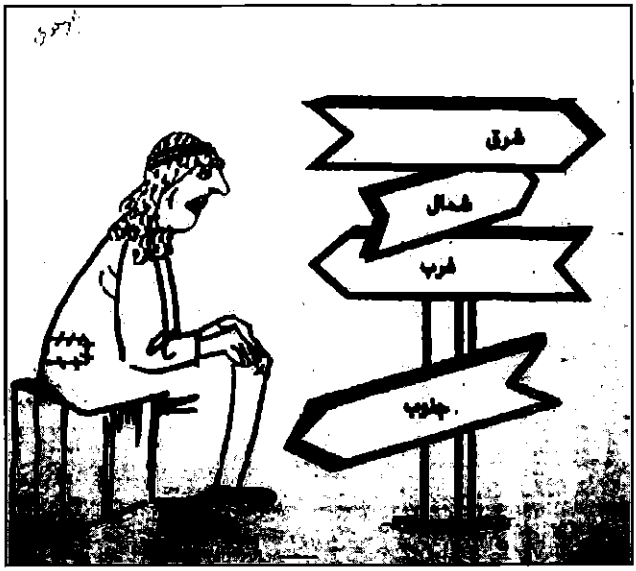

من بين الصحف التي يمكننا القول إنها اعتنت بالكاريكاتور أكثر من غيرها من صحف فلسطين التاريخية هي صحيفة النهار، التي توقفت في العام ١٩٩٦، فالاقتباسات الكثيرة صبغت كاريكاتورات النهار، وعدم وجود مساحة أو مكان محدد للكاريكاتور، بل كانت العملية أقرب إلى تلقائية منها إلى المدروسة. ولكن بدا واضحاً مدى اهتمام الصحيفة في الكاريكاتور في نهايات عهدها، وبخاصة ١٩٩٣، حيث حجزت الصحيفة مساحات واسعة للكاريكاتور العالمي والعربي، تمثل بتخصيص مساحات وضعت بداخلها كاريكاتورات عدة، بلغت حتى الصفحة الكاملة، التي كانت معظم كاريكاتوراتها مقتبسة من الصحف الأردنية كصحيفة (الدستور) ومجلة (شيحان). وما يميز صحيفة النهار عن غيرها من الصحف أيضاً، هو ظهور رسوم كل من الرسامين جلال الرفاعي وعماد حجاج من على صفحاتها، وكانت رسوم جلال الرفاعي هي الطاغية على صفحات الصحيفة، فقد كان ينشر له على صفحاتها كاريكاتوران يومياً للفنان جلال الرفاعي، أحدهما سياسي والآخر اجتماعي أو فكاهي.

شكل ٣٩: من صفحات جريدة النهار اليومية، ١٩٩٣.

أما من المجلات فقد ظهرت في فلسطين التاريخية مجلة "الأسبوع" الفلسطينية في الثمانينيات، حيث كان الكاريكاتور عنصراً أساسياً في المجلة، بل إن الغلاف كان عبارة عن رسم كاريكاتوري، وما يميز كاريكاتورات هذه المجلة أنها كاريكاتورات ملونة، وهي ميزة لم تكن معهودة في هذا الفن إلا عند الرسام بهاء البخاري، أما الباقون فقد كانت رسوماً بالأبيض والأسود.

شكل ٤٠: من صفحات جريدة النهار اليومية، ١٩٩٣.

أما في مجلة البيادر السياسي، فلم يكن حظها بالكاريكاتور موفقاً مثل مجلة الأسبوع، على الرغم من عراقة مجلة البيادر، وقد اقترنت مقدمتها الداخلية برسوم كاريكاتورية بحجم صفحة كاملة، على طول فترة الثمانينيات حتى أوائل العام ١٩٩٠، وعلى الرغم من محاولات المجلة الاتفاق مع رسامين من خارج فلسطين، كبهجت ومحمود كحيل، فإن الرسوم المحلية هي التي طغت، ليتم التخلي والإقصاء لهذه الصفحة من المجلة، فلم تكن الكاريكاتورات المعروضة بمستوى مقالات المجلة السياسية أو حتى الاجتماعية، ولا حتى بالمستوى الفني المقبول.

شكل ٤١: من رسوم محمود كحيل لمجلة البيادر.

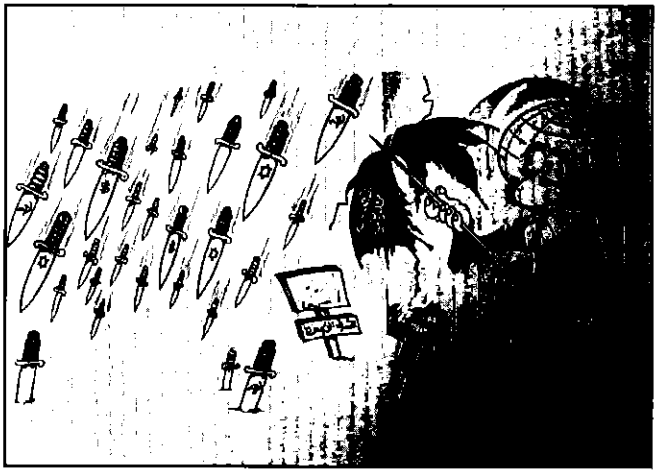

شكل ٤٢: على الرغم عراقة مجلة البيادر، فإن الكاريكاتورات المنشورة كانت أقل من المستوى المطلوب.

سمات كاريكاتور الفترة:

- الاقتباس من الصحف الدولية ونشر رسوم الرسامين بدون عقود، ما عدا بعض الحالات، ولكن تبقى الاقتباسات هي الصفة العامة.
- ظهور العديد من المحاولات الكاريكاتورية الفلسطينية الداخلية، لم ينجح منها سوى الفنان خليل أبو عرفة. أما الباقون، فلم تكن المحاولات على مستوى قادر على المنافسة من حيث الرسم أو الأفكار.
- طغيان الموضوع السياسي على الموضوع الاجتماعي.
- ضعف عام في كاريكاتورات رسامي فلسطين الداخل (فلسطين التاريخية).

٤- الكاريكاتور الفلسطيني ما بعد أوسلو

كان لتطبيق اتفاق أوسلو العام ١٩٩٣ الأثر الأكبر في إعادة إحياء الحركة الكاريكاتورية في فلسطين الداخل بشكل غير مسبوق منذ العام ١٩٥٠، وذلك بسبب عاملين أساسيين:

١- كان لتشكيل السلطة الوطنية الدور الأكبر في عودة الصحافة الفلسطينية الحرة، بل ونشوء عدة صحف ودوريات جديدة وصلت إلى أكثر من اثنين وأربعين (٤٢) دورية، أهمها صحيفتا، الأيام والحياة الجديدة، اللتان اهتمتا بموضوع الكاريكاتور أيضا، كونه من مقومات الصحافة العالمية والفلسطينية.

٢- عودة أهم رسام كاريكاتور فلسطيني على الصعيد العالمي من الخارج، وهو الرسام بهاء البخاري، الذي عمل في صحيفة القدس ليفتتح مرحلة جديدة في تاريخ الكاريكاتور الفلسطيني، وهي مرحلة المنافسة بين الصحف الفلسطينية على رسامي الكاريكاتور.

لقد كانت المنافسة شديدة فيما بين الصحف، ما شجع على ظهور محاولات كاريكاتورية شابة، أو محاولة الصحف الاتصال والتعاقد مع رسامين

كاريكاتوريين محترفين من خارج فلسطين، وكان من بينهم الفنان الكاريكاتوري عماد حجاج، رسام الكاريكاتور الفلسطيني الأصل في جريدة الدستور الأردنية.

وعلى الرغم من تأخر صحيفة الأيام عن صحيفتي الحياة الجديدة وصحيفة القدس بدخول الكاريكاتور إليها ،فإن الكاتب كان قد عايش المرحلة ما قبل الكاريكاتور في جريدة الأيام سنة ١٩٩٨– ١٩٩٩، وهي الفترة التي قامت فيها صحيفة الأيام لأول مرة منذ إنشائها إلى اعتماد وتبني رسوم كاريكاتورية، ولكن لم تكن الكاريكاتورات بمستوى الصحيفة، لتقوم بإلغاء هذه الرسوم بعد شهر من بدء العمل بها، حتى تم الاتفاق مع الرسام بهاء البخاري للانتقال إلى صحيفة الأيام أواخر ١٩٩٩. هنا، كان انتقال بهاء البخاري من جريدة القدس إلى الأيام، دليلاً على مدى جدية الأيام في موضوع الكاريكاتور، ما خلق فراغاً لدى صحيفة القدس، حملها للتعاقد مع الرسام عماد حجاج من الأردن، وبعد كاريكاتورات عدة، لم يتم الاتفاق لتضطر القدس بملء الفراغ الفني في صحيفتها باستقبال أمية جحا، التي عملت في مجال الكاريكاتور مع الصحافة الحزبية، وبخاصة مع صحيفة الرسالة الغزاوية.

بالنسبة لصحيفة الحياة الجديدة، فقد ظهر الكاريكاتور بشكل واضح على الصفحة الأخيرة والصفحات الداخلية. وتنشر الصحيفة رسوم الفنان جلال الرفاعي على صفحاتها، بالإضافة لاقتباسها لكاريكاتورات أخرى من عدة صحف ومجلات عربية.

أما بالنسبة للصحافة الحزبية فلم تكن بعيدة عن جو الكاريكاتور أيضاً، كصحيفة (الرسالة) التي ظهرت فيها أمية جحا، وصحيفة (الاستقلال) التي ظهرت فيها أعمال الرسام عصام أحمد، وآخر يوقع باسم ياسين الخليل. وتجدر الإشارة إلى أن الكاريكاتورات بشكل عام كانت متذبذبة النوعية، فلم تكن الرسوم على المستوى نفسه من المهارة، ولم تكن الأفكار أيضاً، على الرغم من وجود عناصر أساسية في مهنة الكاريكاتور متوفرة لدى الرسامين الذين عملوا في تلك الصحف، وبخاصة ياسين الخليل، ولكن، أكانت التوجهات السياسية العامة للصحيفة، أم كانت التقنيات التي استخدمها الرسام، يمكن اعتبارها أسباباً لم تساعد الرسامين على الظهور بشكل أفضل على الساحة الكاريكاتورية الفلسطينية، ونشدد على أن الرسام ياسين خليل امتلك مهارات فنية تفوق رؤية المجلة نفسها، ولكن لم يظهر على الساحة الفنية أي من اسمه أو لوحاته.

شكل ٤٣: من رسوم ياسين خليل في صحيفة الاستقلال ١٩٩٩.

يفترض الباحث أنه على الرغم من عدد المطبوعات التي صدرت في عهد السلطة – ما بين يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية– الأمر الذي يعتبر نقلة نوعية، فإن عدم ظهور رسامين كاريكاتور جدد على الساحة الداخلية لفلسطين، يعود لسبب ضعف إقبال المواطنين الفلسطينيين لشراء المجلات والصحف، أو حتى القراءة بحد ذاتها (راجع أرقام الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني):[٣٥]

> بلغ عدد الصحف المرخصة العام ٢٠٠٠ في الضفة الغربية وقطاع غزة ٣٣ صحيفة؛ أي بزيادة ٣ صحف عن العام ١٩٩٩، منها ٢٤ صحيفة في الضفة الغربية، و٩ صحف في قطاع غزة، وبلغ عدد الصحف العاملة ١٦ صحيفة، وتصدر ١١ صحيفة من الصحف العاملة في الضفة الغربية و٥ في قطاع غزة.
>
> وبلغ عدد المجلات المرخصة في الضفة الغربية وقطاع غزة ١١٣ مجلة في العام ٢٠٠٠؛ أي بزيادة قدرها ٩ مجلات عن العام ١٩٩٩، وقد شمل الارتفاع في عدد المجلات المرخصة كلاً من الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث ارتفع عدد المجلات المرخصة في الضفة الغربية من ٨١ مجلة في العام ١٩٩٩إلى ٨٩ مجلة في العام ٢٠٠٠، وارتفع في قطاع غزة من ٢٣ مجلة إلى ٢٤

مجلة في الفترة نفسها. وتتركز المجلات العاملة في العام ٢٠٠٠ في الضفة الغربية، حيث أن ٨٤, ٤٪ من المجلات العاملة تصدر فيها.

وتشير معطيات مسح استخدام الوقت إلى أن ٣, ٢٨٪ من الأفراد الذين أعمارهم ١٠ سنوات فأكثر في المجتمع الفلسطيني يقرأون الصحف مرة واحدة في الأسبوع على الأقل، علماً أنه لا يوجد اختلاف ملحوظ في هذه النسبة بين الضفة الغربية وقطاع غزة، ففي حين بلغت هذه النسبة في الضفة الغربية ٩, ٢٧٪، فقد بلغت ١, ٢٩٪ في قطاع غزة. وبينت النتائج أيضاً أن نسبة الذكور الذين يقرأون الصحف مرة واحدة في الأسبوع على الأقل أعلى منها لدى الإناث؛ فقد بلغت النسبة للذكور ٧, ٣٤٪، وللإناث ٨, ٢١٪.

وأظهرت نتائج مسح استخدام الوقت أن ٩, ١٣٪ من الأفراد الذين أعمارهم ١٠ سنوات فأكثر في المجتمع الفلسطيني يقرأون الصحف بشكل يومي، علماً أنه يوجد اختلاف ملحوظ في هذه النسبة بين الذكور والإناث، فقد بلغت النسبة للذكور ٩, ١٨ وللإناث ٦, ٨٪.

عند مراجعة الأرقام السابقة، نستطيع أن نلاحظ مدى المشكلة، التي تظهر بشكل واضح في الصحف اليومية، وكون الكاريكاتور مرتبطاً بشكل أساسي في الصحف اليومية، فإن نسبة إمكانية مطالعة الجمهور الفلسطيني للكاريكاتور هي نسبة قليلة جداً.

والحركة الكاريكاتورية الفلسطينية، وعلى الرغم من أهميتها، فإنها لا تزال محصورة في إطار لا يتعدى عدداً من الرسامين المحترفين، أكان في داخل فلسطين أم في خارجها، أو كان السبب هو ضعف إقبال الفلسطينيين لقراءة الصحف والمجلات، أو بسبب قلة عدد الرسامين الفلسطينيين الذين ظهروا خلال الفترة ما بين ١٩٥٠ – ٢٠٠٣، وقد تكون التوجهات السياسية لبعض الرسامين أيضاً لها دور في عدم ظهوره، كرسامين الكاريكاتور في الصحافة الحزبية، كصحيفة الاستقلال على سبيل المثال لا الحصر، ذات التوجهات الدينية الواضحة، وكون المجلات الحزبية مجلات غير شعبية كما هي الصحف اليومية.

وعلى الرغم من الأحداث الدموية التي بدأت بالظهور في فلسطين إثر الاعتداءات الإسرائيلية التي توجت بالاجتياحات والمذابح والقتل والتهجير، ما يضفي بعداً آخر على أهمية الكاريكاتور في الصحف الفلسطينية، فإنه وبسبب اعتماد الصحافة على عدد محدود من الرسامين، لم تظهر أي أعمال كاريكاتورية تتعدى الأسماء التي ذكرت سابقاً. فمن بين الأسماء التي لمعت في ظل الانتفاضة هم (بهاء البخاري، وعماد حجاج، وأمية جحا)، ووجب على الباحث القول إن سطوع نجم أمية جحا ارتبط في الفترة الأولى للانتفاضة، وبعد ضمها لجريدة القدس خاصة، ولكن اختفت عن الساحة الفنية منذ أواسط العام ٢٠٠٣، حين بدأت جريدة القدس بنشر رسوم الفنان الفلسطيني الأصل (ناصر)، بدل رسومها، ومن ثم الفنان الأردني الأصل (أمجد رسمي)، ومن الواضح من كثرة الرسامين الذين عملوا لفترات محدودة (ما عدا خليل أبو عرفة) هو عدم ثبات سياسة صحيفة القدس منذ إنشائها حتى الآن بشأن الكاريكاتور.

شكل ٤٤: من رسوم أمية جحا.

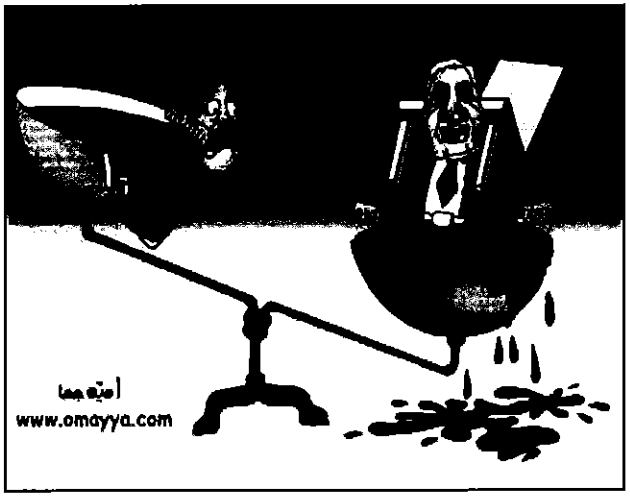

خصائص الكاريكاتور الفلسطيني

حسب الاستمارة التي أعدها الباحث لدراسة سمات تاريخ الكاريكاتور في الصحافة الفلسطينية، فقد قسم هذه السمات إلى ستة أجزاء أساسية:

١- مواضيع الكاريكاتور.

٢- الشخصيات التي دخلت في الكاريكاتور.

٣- مستوى الرسم الكاريكاتوري.

٤- أصل رسام الكاريكاتور.

٥- موقع الكاريكاتور بالنسبة للصحف والمجلات.

٦- عناصر الإبراز للكاريكاتور.

من حيث المواضيع:

١- طغت المواضيع السياسية على باقي المواضيع الأخرى، وعلى مدى المرحلتين، مرحلة ما قبل الشتات، ومرحلة ما بعد الشتات، ليكون العنصر السياسي هي الصبغة العامة للكاريكاتور الفلسطيني.

٢- محدودية الكاريكاتور ذي المضمون الاجتماعي، ما قبل وما بعد الشتات، بل إن الكاريكاتورات الاجتماعية قد تقلصت عما كانت عليه ما قبل الشتات، ويمكن تفسير ذلك بسبب ارتباط الرسامين والصحف بموضوعات الثورة ومجابهة الاحتلال عنه عن مناقشة المواضيع الاجتماعية الفلسطينية، أو بسبب عدم قبول الصحف في بعض الدول العربية نشر الكاريكاتورات الفلسطينية المعنية بالمواضيع الاجتماعية لهم. أما في داخل فلسطين، فيعزى الأمر إلى تسييس الحياة الاجتماعية للشعب الفلسطيني، ما جعل من السياسية موضوعاً اجتماعياً.

٣- اختفاء فن البورتريه الكاريكاتوري، ما بعد الشتات على الرغم من وجوده الواضح على صحف ما قبل الشتات.

٤- وجود الكاريكاتورات ذات المضامين الأخرى كالترفيه والتسلية، على الرغم من أن أغلب هذه الكاريكاتورات ليست من إنتاج فلسطيني وعلى طول المرحلتين.

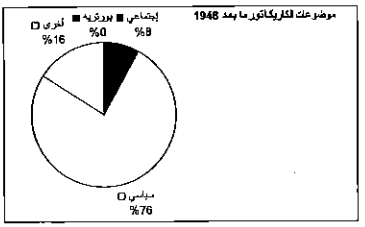

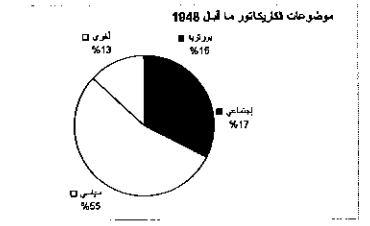

الشخصيات التي دخلت في الكاريكاتور:

١- الظهور الواضح للشخصية الفلسطينية عنها عن باقي الشخصيات، وهذه الصفة بدأت تظهر خاصة ما بعد العام ١٩٣٦ فما فوق، وعلى الرغم من أن نسبة الشخصيات العربية في كاريكاتورات ما قبل الشتات تقل عن نسبة الشخصيات العربية، فما هذا إلا بسبب أن مرحلة ما بعد العام ١٩٣٦ كانت بداية انطلاق ظهور الشخصية القومية الفلسطينية، وما كان عليه من قبل هو ارتباط الفلسطينيين بالقومية العربية الكلية على اعتقاد أن القضية الفلسطينية هي قضية العرب كلهم أولاً و أخيراً.

٢- الرمزية ، وعرفت بالاستمارة باسم (أخرى)، وتضم جميع الرموز الرمزية التي يستخدمها الرسام في رسوماته، ويلاحظ احتواء الكاريكاتور الفلسطيني على الأشكال الرمزية بشكل واضح، كالأيدي، والعيون، وأجزاء الإنسان، وشخصية حنظلة، وقد زاد الاستخدام لهذه الرمزية بعد العام ١٩٤٨.

٣- ارتباط الكاريكاتور الفلسطيني بالشخصيات العالمية، وهو ما كان ظاهراً على طول المرحلتين، ويعود ذلك لدولية القضية الفلسطينية. وتجدر الإشارة إلى أن الشخصيات العالمية ظهرت في كاريكاتورات ما قبل الشتات بشكل أكثر، وذلك حسب ما ذكرنا سابقاً من أن الصحافة الفلسطينية اعتمدت على كاريكاتورات الصحف الأجنبية، التي رسمت الإشكاليات الدولية، ومنها أيضاً القضية الفلسطينية.

أهم الشخصيات الكاريكاتورية الفلسطينية:

يفترض الباحث أن اقدم شخصية كاريكاتورية توفرت لديه هي شخصية (تعبان أفندي)[٢٦] والذي ظهرت على مجلة المستقبل، وما يميز هذه الشخصية هي ظهورها بمظهر الفلسطيني ابن المدينة والمتعلم، ولم يتوفر لدى الباحث أي مصدر أو كاريكاتور لشخصية أخرى في الكاريكاتور الفلسطيني لما قبل الشتات.

بالنسبة للشخصيات الكاريكاتورية الفلسطينية، فقد استخدم أربعة رسامين مخضرمين من أصل ستة، شخصيات كاريكاتورية في رسوماتهم، وهم (رباح الصغير) وشخصية إنسان الأمم المتحدة، (ناجي العلي) وشخصية حنظلة وأبو العبد منذ العام ١٩٦٩، (بهاء البخاري) الذي استخدم شخصية (أبو عرب) سنة ١٩٧٤، وشخصية أبو العبد سنة ١٩٩٤، (عماد حجاج) الذي استخدم شخصية أبو محجوب سنة ١٩٩٥، أما بالنسبة لجلال الرفاعي أو خليل أبو عرفة فلم يتوفر للكاتب أي دليل على استخدام أي منهما على شخصيات كاريكاتورية ثابتة.

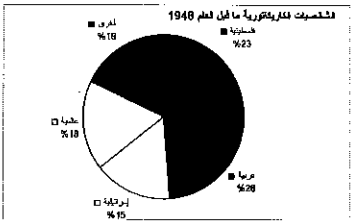

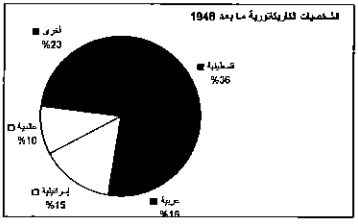

مستوى الرسم:

لقد أظهرت العينات المتوافرة للباحث بأن مستوى الرسم الكاريكاتوري في فلسطين غير واضح المعالم، ولكن مع ترجيح نسبة الكاريكاتور المتوسط والجيد ما بعد العام ١٩٤٨. وتجدر الإشارة إلى أن أغلب الكاريكاتورات التي صنفت ما بين وسط وضعيف هي من العينات المتوافرة عن كاريكاتورات داخل فلسطين في مرحلة ما بعد الشتات حتى مرحلة ما بعد أوسلو.

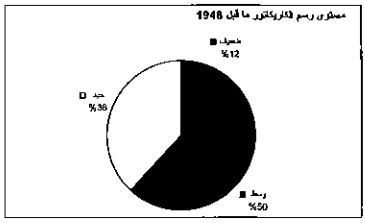

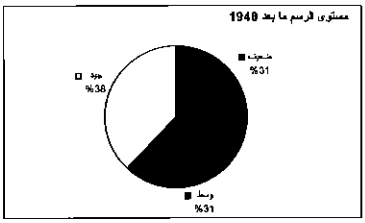

أصل الرسام:

طغى الكاريكاتور ذو الأصل الأجنبي عن الكاريكاتور الفلسطيني في مرحلة ما قبل الشتات حتى العام ١٩٣٦، وذلك بسبب الاقتباس عن الصحف والمجلات الغربية، ولكن يمكننا القول إن الصحافة الفلسطينية في داخل فلسطين وخارجها ما بعد العام ١٩٦٢، حظيت بوجود واضح للرسامين الفلسطينيين، حيث تقدمت أعمال الفنانين الفلسطينيين على باقي رسامي الكاريكاتور العرب، وظهرت رسوماتهم في أغلب صحف ومجلات الفلسطينيين، حتى الوصول إلى مرحلة شبه الاكتفاء الذاتي.

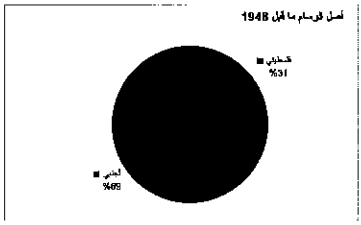

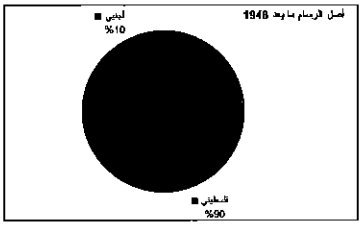

موقع الكاريكاتور في الصحف والمجلات:

١- لمرحلة ما قبل الشتات، ظهر الكاريكاتور على الصفحات الأولى للصحف، بل إنه طغى بالحجم، أيضاً، كما كان الحال في بعض كاريكاتورات صحيفة فلسطين.

٢- ما بعد الشتات حتى مرحلة أوسلو، طغت الكاريكاتورات الداخلية على كاريكاتورات الصفحة الأولى أو الأخيرة، وتجدر الملاحظة أن هذه النسبة هي نتيجة لحساب كاريكاتورات الداخل بالإضافة للكاريكاتور الرسمي للصحيفة، التي ظهرت بشكل عام على الصفحة الأخيرة، حيث اعتمدت صحف عدة نشر كاريكاتورات عدة داخلية، بالإضافة لكاريكاتورها اليومي الرسمي.

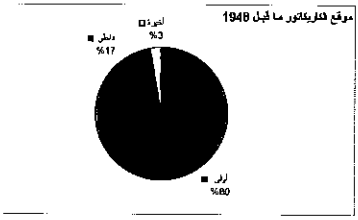

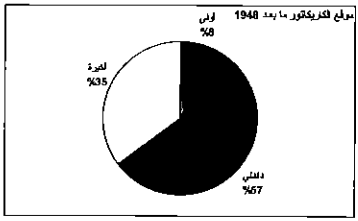

عناصر الإبراز:

أما بالنسبة لعناصر الإبراز، فقد اعتمد الكاريكاتور الفلسطيني بشكل خاص على الفكرة القوية والشكل العام لتركيب الرسومات في اللوحة الكاريكاتورية، كعنصرين أساسيين في إبراز الكاريكاتور الفلسطيني، ولكن ما يميز الكاريكاتور الفلسطيني الحديث، اعتماده على الرمزية والفكرة أكثر من الكلمة.

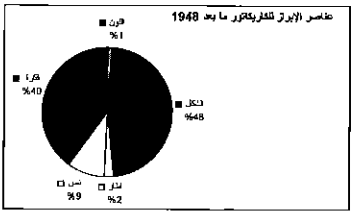

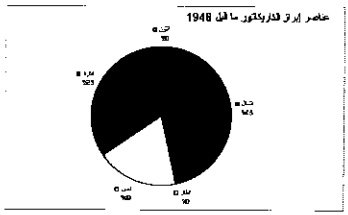

إسهام الكاريكاتور في الثورة الفلسطينية

ليس من السهل الحكم على مقدار إسهام الكاريكاتور في القضية الفلسطينية بهذه البساطة، ولكن بعد البحث والملاحظة في المصادر والمراجع والمقابلات، يعتقد الباحث أن إسهام الكاريكاتور في القضية الفلسطينية تكمن في نقطة واحدة مهمة وهي "أن الكاريكاتور الفلسطيني استطاع أن يعايش رحلة القضية الفلسطينية وعذابات الشعب الفلسطيني منذ البدايات، وحاول إيصال الأفكار والمخاطر لأكبر عدد ممكن من الجمهور الفلسطيني والعربي، وباستعمال أبسط أدوات الاتصال وأقدمها تاريخياً؛ ألا وهي الرسم.

وعلى الرغم من أن العام ١٩٣٦ اعتبر مجازياً نقطة البداية، البعيد نسبيا عن ١٩١٧، سنة الاحتلال الحقيقية لفلسطين، فإن معادلة فلسطين والصهيونية ظهرت بشكل لا يمكن إخفاؤه في تلك الفترة، يوم ظهرت الانتفاضة الشعبية الأولى للشعب الفلسطيني، فمنذ تلك اللحظة كان الكاريكاتور موجوداً لشرح خطر عمليات الهجرة اليهودية، والتعريف بخطر وعد بلفور، وتبسيط المشاكل الاجتماعية التي ظهرت حينئذ لعامة الشعب، وبقي الكاريكاتور حتى قبل النكبة موجوداً ومتفاعلاً مع البيئة الاجتماعية للفلسطينيين، وأما ما حدث من بعد العام ١٩٤٨، وما لحقها من شرخ تاريخي واجتماعي وثقافي، فقد وجد الكاريكاتور في تلك اللحظات الحرجة أيضاً، فنبل القضية، وعالمية الموضوع، وإنسانية الأحداث التي وقعت على الشعب الفلسطيني، كلها كان لها دور في عملية تزاوج القضية مع الكاريكاتور، وظهور ومساندة كل منهما للآخر على صفحات الجرائد العربية.

وكما ذكرنا سابقاً، ساعد وجود رسامي الكاريكاتور الفلسطينيين في الشتات على الوصول إلى الصحف الدولية والعربية، التي نقلت بدورها صورة القضية الفلسطينية من وجهة نظر الرسامين الفلسطينيين، الذين كانوا بدورهم مهيئين سياسياً وحزبياً وأيديولوجيا لخوض هذه المهنة.

ويمكننا اعتبار وصول أحد رموز الكاريكاتور الفلسطيني إلى مرحلة الرمزية الوطنية كما هو الحال مع الشهيد ناجي العلي، ووصول إحدى شخصيات

الكاريكاتور إلى درجة تعبر عن وجدان القضية الفلسطينية كما حنظلة ناجي، ما حول هذه المهنة في الوطن العربي، وفلسطين بالذات، إلى فن ذي صبغة فلسطينية، وبخاصة في الكاريكاتور السياسي، ولا يمكننا هنا نفي مدى تأثير الحالة النفسية لدى الشارع العربي والفلسطيني، عند إدراك أن اغتيال ناجي العلي كان لأبعاد سياسية، ليكون هو بحد شخصه مثال التمرد على الواقع السياسي العربي، وكون أغلب الدول العربية ذات أنظمة قامعة، فلا يمكننا إنكار تحوله إلى بطل فلسطيني وعربي، وتصدره عرش الكاريكاتور في الوطن العربي، عند أسوأ المراحل، ومنذ تلك اللحظة بدأت معالم الكاريكاتور الفلسطيني تأخذ منحى آخر تمثل في ظهوره كأدوات تتحدث عن الضمير العربي، وإشعار الجمهور العربي والأنظمة العربية بالمسؤولية عما أصاب فلسطين، وهذا ما ظل موجوداً ولو على مساحة أقل ما بعد أوسلو بسبب ظهور كيانية فلسطينية تركزت فيها الجهود الحزبية والسياسية والفدائية لأغلب الفصائل، وربما هذا دليل واقع على مدى ارتباط الكاريكاتور الفلسطيني بمسيرة القضية الفلسطينية، حيث بدأت تظهر الكاريكاتورات ذات الطابع الاجتماعي البحت، أو موضوعات الوزراء والوزارة وأمور الدولة منذ فترة ليست ببعيدة، وهي مواضيع لم تناقش من قبل في الكاريكاتورات الفلسطينية، أكان في الشتات أم في فلسطين الداخل، وذلك بسبب افتقاد الفلسطينيين للمركز السياسي لدولتهم في ما قبل أوسلو.

الاستخلاصات:

على طول البحث الذي تناوله الباحث، ظهرت عدة حقائق مهمة من مجمل تاريخ الحركة الكاريكاتورية في فلسطين، وهي:

١- الكاريكاتور ظهر في فلسطين من العام ١٩٠٩، وإن لم يكن فلسطيني اليد، ولكن تعتبر بداية مبكرة بالنسبة للصحافة العربية بشكل عام، والفلسطينية بشكل خاص.

٢- لم تعش الصحف والمجلات التي اهتمت بالكاريكاتور مدة طويلة، على طول تاريخ الكاريكاتور في فلسطين، حيث أن الإغلاق كان كثيراً ما تنتهي فيه المجلة، كما حدث للمجلات الهزلية قبل العام ١٩١٧، من قبل الاحتلال التركي، وما بعد العام ١٩٥٠ من قبل الحكومة الأردنية.

٣- منذ ظهور جريدة الدفاع أخذت أهمية الكاريكاتور بالظهور بشكل واضح، أي بدأ بالعام ١٩٣٤، ولكن من الملاحظ هو أن هذه الحركة الكاريكاتورية في الصحف اليومية ما تلبث أن تختفي بعد فترة قصيرة، وهذا ما حدث مع صحف (فلسطين، والدفاع، والاتحاد)، لينتهي فيها الأمر، إما لإلغاء عنصر الكاريكاتور من صفحاتها، أو استبدال الكاريكاتور عربي وفلسطيني القضية إلى استعمال واقتباس كاريكاتورات من صحف عبرية، ذات قضايا يهودية، وهذا ما ظهر جلياً في صحيفة الاتحاد، وفلسطين.

٤- السمة الأساسية للكاريكاتور الفلسطيني، هي (التوجه السياسي) التي طغت على باقي أشكال الكاريكاتور الأخرى، وذلك بسبب الوضع الفلسطيني النضالي والسياسي.

٥- كان لعملية اغتيال الرسام ناجي العلي، الدور الأكبر في تحويل الكاريكاتور في الشارع الفلسطيني إلى أحد رموز التمرد على الأنظمة والفساد، وتحويل مهنة فن الكاريكاتور إلى مهنة محببة في الشارع الفلسطيني. وهنا نشير إلى مدى نقص الرسامين في هذا المجال.

٦- تحولت رسوم ناجي العلي إلى مقياس لباقي الرسامين الفلسطينيين عند المجتمع الفلسطيني، على الرغم من عدم وجود مدرسة كاريكاتورية واضحة المعالم للرسام ناجي العلي.

٧- يعتبر حنظلة أشهر شخصية كاريكاتورية فلسطينية لما ارتبط اسمه بالمخيمات والضمير الحي والقضية الفلسطينية.

٨- اعتمدت حركة الكاريكاتور في فلسطين ما بين النكبة ونهاية التسعينيات على عدد محدود من الرسامين لا يتعدون الستة، وهم: (رباح الصغير، وبهاء البخاري، وناجي العلي، وجلال الرفاعي، وعماد حجاج ، وخليل أبو عرفة) وهذا العدد يعتبر عدداً قليلاً بالنسبة لكمية الإصدارات الإعلامية الفلسطينية في الداخل أو الشتات.

٩- لم يتوفر للباحث أي دليل على أن الفنانين السابقين كانوا قد حصلوا على شهادات أكاديمية في الرسم، على الرغم من توجه بعضهم للأكاديميات الفنية، ما يدل على أن هذه القدرات الفنية ظهرت ونمت بجهد شخصي من الفنانين أنفسهم.

١٠- على الرغم من ظهور عدد من الرسامين الفلسطينيين بعد أوسلو، فإن أعمالهم لم تظهر لمجمل الجمهور الفلسطيني بسبب التزامهم مع صحف حزبية، ذات توجهات واضحة، ما يجعل إمكانية معرفة الجمهور الفلسطيني لأعمالهم ضعيفة، بسبب محدودية جمهور تلك المجلات.

١١- أصبح من أساسيات الصحافة الفلسطينية وجود الكاريكاتور في صفحاتها، وهذا ما بدا واضحاً بعد العام ١٩٩٥، وصراع الصحف اليومية والحزبية فيما بينها على رسامي الكاريكاتور، أو حتى محاولة الاتفاق مع فنانين غير فلسطينيين، كما جريدة القدس، التي تعاقدت مع الفنان الأردني أمجد رسمي.

١٢- يعتبر بهاء الدين البخاري أول رسام كاريكاتور فلسطيني استخدم الألوان في رسوم الكاريكاتور.

١٣- يعتبر خليل أبو عرفة الفنان المحترف الوحيد داخل فلسطين التاريخية بعد العام ١٩٨٦ حتى العام ١٩٩٤، الذي كان يعمل تحت اسمه المستعار (غسان).

١٤- تمر مهنة الكاريكاتور في فلسطين بطور الذبول، لأسباب عدة:

١. عدم وجود مدارس فنية معنية بالكاريكاتور.

٢. عدم وجود عدد كاف من الصحف والمجلات في فلسطين.

٣. ارتباط الصحف والمجلات بالأحزاب، ما يؤدي إلى وجود توجهات فكرية تمنع التعامل مع فنان أو آخر.

٤. ما زال الإعلام الصحافي يعتمد على فنانين بشكل أساسي، وهما (بهاء البخاري، وجلال الرفاعي) اللذان عملا في صحف فلسطين التاريخية منذ العام ١٩٩٣، أما أمية جحا فلا يمكن وضعها في التصنيف، كونها اختفت من على صفحات جرائد فلسطين اليومية (الأيام ، القدس، الحياة الجديدة).

٥. عدم ظهور وجوه شابة في مهنة الكاريكاتور تساعد على استمرار الإرث الكاريكاتوري لعمالقة الكاريكاتور الفلسطيني.

الخـاتمة:

كان لدراسة تاريخ الكاريكاتور الفلسطيني فائدة أخرى اكتسبتها تتعدى محاولة توثيق المسيرة الفلسطينية في فن الكاريكاتور، فقد وجب علي دراسة تاريخ الصحافة الفلسطينية نفسها كون الكاريكاتور جزءاً لا يتجزأ من كيان الصحافة، ويعتمد بشكل أساسي عليها، ومن هنا كان لما قرأت ورأيت وبحثت، ما أظهر حقيقة طالما كانت غائبة عن عيني، بل وعيون أغلب الفلسطينيين، تتركز في تاريخ فلسطين ما قبل النكبة، وأولها هو المجد الصحافي الفلسطيني ومقدار المهنية الصحافية التي وجدت على هذه الأرض. والحقيقة الثانية، هي مقدار التقدم الحضاري والاقتصادي للحركة الثقافية التي عرفته فلسطين، فما حفلات أم كلثوم في مدينة القدس، ومسرح يوسف وهبي في يافا، والمشروع الوطني بإقامة ثلاث دور سينما وطنية في كل من يافا والقدس وعمان، إلا قطرة من محيط مما وجد في فلسطين من حركة أدبية وثقافية ناشطة وواعية ومتفتحة على حضارات وثقافات العالم قاطبة. وفي تلك المرحلة كانت الصحافة الفلسطينية تسجل تلك الحضارة الصاعدة كالصاروخ التي كانت من أشكال المنافسة الثقافية والعلمية ما بينها وبين الأمم الأخرى، وواضحة للمتمعن بالتاريخ الفلسطيني، ولكن وللأسف، أكانت الحركة الصهيونية هي السبب، أم القيادات العربية التابعة، ما قتل، بل ووأد، هذه الحضارة منذ نعومة أظفارها، وكما كانت الصحافة هي منار الثقافة في فلسطين، كانت هي الأولى التي تعرضت للقمع والتوقيف، ليدل، بشكل لا يدعو للشك، على مدى أهمية الصحافة في فلسطين.

وعلى الرغم من المحاولات الجادة لكثير من الفلسطينيين في الداخل، أو في الشتات للحفاظ على هذا الموروث الصحافي، فإن القدر كان على خلاف معنا، فقد تم الاستيلاء على موارد ومطابع الصحف والمجلات الفلسطينية أثناء الغزو الصهيوني المسلح، ليتم حفظ أغلب هذه الصحف في أقبية المكاتب الإسرائيلية، وليحرموا شعبنا من معرفة تاريخه العريق. أما بعد النكبة، فلم تكن حال الصحافة الفلسطينية بحال أفضل، فمكاتب المنظمات الفلسطينية التي عنيت بالإعلام والصحافة في الأردن تم الاستيلاء عليها بعد الخروج المسلح، واستولت القوات الإسرائيلية على محتويات مكاتب المنظمات الفلسطينية الإعلامية في

لبنان، والشيء نفسه حصل في سوريا، بالإضافة إلى استهتار بعض القيادات بهذا التراث، ما أدى إلى ضياع الكثير من التاريخ الصحافي الفلسطيني. ومن هنا كان الكاريكاتور الفلسطيني هو الموروث الوحيد الذي استطاع الاستمرار ما بعد الشتات، ولو على يد عدد قليل من الرسامين، فلم يكونوا بحاجة إلى أدوات تزيد على ورقة وقلم، ولكن كان لأدائهم وقدرتهم الفنية العالية، ما دفع بهذا الفن إلى حمل راية الرأي السياسي الفلسطيني في العالم، ونشر ظاهرة صحافية فلسطينية تميزت بالقوة والمهنية العالية، لتكون هي الوريث الوحيد المتبقي للصحافة الفلسطينية ما قبل الشتات، بل والحافظة له، ولو دون علم أصحابها .

ختاماً، نقول إن تاريخ فلسطين الكامل لم تكتمل كتابته بعد، فهنالك فصول منسية بعامل الزمن والسياسة، ما يضع أمام طلاب العلم مسؤولية البحث في تلك الفصول، لنقل الحقيقة والتاريخ للجيل الذي سيحتاجها أكثر منا، وهو جيل المستقبل، راجين أن يوفقنا الله في مسعانا.

خلاصة عامة

واجه الكاتب العديد من الإشكاليات التي فرضها الواقع على هذه الدراسة، وفي محاولة لجعل البحث مادة مساعدة للباحثين القادمين، وليس مجرد بحث عادي، قرر الكاتب كتابة حدود الدراسة بشكل موسع وقادر على إعطاء معلومات ووصف أدق لتاريخ الكاريكاتور الفلسطيني، وهي عبارة عن خريطة افتراضية للباحث الذي يبحث عن نقطة بداية.

لقد أدت حالة الشتات الفلسطيني، والاحتلال الكولونيالي الإسرائيلي لفلسطين التاريخية، والاستيلاء على جميع المراجع والمنشورات والمكتبات الفلسطينية ما قبل العام ١٩٤٨، إلى توسيع حدود البحث لتشمل مساحة جغرافية كبيرة، كما عقدت تلك الحالة الوصول للأمكنة أو للمراجع نفسها، ولكن على الرغم من أن ما سيكتب قد يفسر بأنه ضعف في البحث المقدم، فإن الباحث رأى فيه ضرورة لكل من يريد ويملك الإمكانيات لتطبيق الدراسة بشكل أوسع مما قام به الباحث، والمقتصرة على فلسطين التاريخية. وبسبب اعتماد البحث بشكل أساسي على الرسامين أنفسهم وليس على الصحافة الفلسطينية بشكل عام، فقد يسر ذلك محاولة حصر حدود البحث لتكون تلك في فلسطين التاريخية، بالإضافة إلى الأردن، ولبنان، والكويت، ولندن. أما سبب اختيار هذه الأماكن كحدود للدراسة، فهو يعود إلى ما يلي:

١- بالنسبة لفلسطين التاريخية: بدأت الحركية الفنية الكاريكاتورية في فلسطين انعكاساً للحركة الصحافية الفلسطينية التي وجدت منذ العام ١٨٧٦، وبسبب الاحتلال الإسرائيلي، والتقسيمات التي ظهرت على فلسطين، فقد قسم الباحث فلسطين التاريخية إلى ثلاثة أقسام داخلية:

أ. مراجع فلسطين المحتلة (التي تعتمد على ما تحتويه الجامعة العبرية في القدس من مخطوطات لأغلب الصحف الفلسطينية التي صدرت ما قبل العام ١٩٤٨).

ب. مراجع الضفة الغربية: وتتم فيها دراسة ما صدر فيها من كاريكاتورات في الصحف اليومية التي يفترض الباحث أنها بدأت سنة ١٩٧٦، باستثناء صحيفتي القدس وفلسطين، اللتين كان لهما تواصل لما قبل العام ١٩٤٨ وما بعد (انظر دراسات مراجع فلسطين المحتلة).

ج. مراجع صحافة غزة: يجب التركيز على صحافة غزة، كون الدراسات التي عنت فيها كانت شحيحة للغاية، فحتى كتاب الأستاذ خليل أحمد العقاد، خلا من أي ذكر لصحافة غزة، وعليه يقترح الباحث لكل الباحثين القادمين، عمل دراسة لصحافة غزة قبل الانتقال إلى دراسة الكاريكاتور الفلسطيني في الصحافة الغزية.

٢- الأردن: بعد العام ١٩٤٨، انتقلت عدد من الصحف الفلسطينية الشهيرة إلى العمل والصدور في الأردن مثل (جريدة الدفاع)، وعليه يمكننا القول إن الصحافة الأردنية، ما هي سوى امتداد طبيعي لحركة الصحافة الفلسطينية، وبخاصة بعد إعلان مؤتمر أريحا سنة ١٩٥١، وإعلان وحدة الضفتين التي أدخلت صحف فلسطين تحت مظلة الحكم وقوانين النشر الأردنية.

٣- لبنان: ويمكن اعتبارها بدايات صحافة الشتات، لما وجدت فيها الأحزاب والفصائل الفلسطينية من حرية تعبيرية ساعدتها على إصدار نشرات حزبية وجرائد حملت بين طياتها بدايات الانطلاقة الإبداعية لفن الكاريكاتور الفلسطيني، وحمله إلى نطاق عربي وعالمي.

٤- الكويت: وهي المحطة الثانية للرسم والكاريكاتور الفلسطيني، لما كان لصحفها من دور مهم في إظهار صورة وفناني الكاريكاتور الفلسطينيين.

يعتمد البحث بشكل خاص على عنصر الزمن، وستكون طول الفترة الزمنية التي يغطيها البحث ما بين العام ١٩٠٩، حتى عام كتابة البحث الشامل (تمت كتابة هذا الافتراض في ٢٠٠٣/١٢/١)، وقد افترض الباحث تقسيم هذه الفترة الزمنية إلى أجزاء أساسية، وهي:

(١) ما بين ١٩٠٩ حتى العام ١٩٤٨ (ما قبل ١٩٤٨).

(٢) ثم ما بعد العام ١٩٤٨ حتى بدايات الستينيات.

(٣) صحافة فترة الاحتلال منذ العام ١٩٧٦ حتى العام ١٩٨٦.

(٤) مرحلة الانتفاضة حتى أوسلو، والممتدة من ١٩٩١ حتى ٢٠٠٠.

(٥) وأخيراً مرحلة انتفاضة الأقصى.

وقد افترض الباحث هذا التقسيم للأسباب التالية:

(١) ما قبل العام ١٩٤٨: وهي المرحلة الممتدة ما بين العام ١٩٠٩ حتى العام ١٩٤٨، والسبب هو أن هذين التاريخين يعتبران مفصلين مهمين في دراسة تطور الكاريكاتور في فلسطين، فبالنسبة للعام ١٩٠٩، فهو تاريخ صدور أول صحيفة فلسطينية مصنفة "الأخبار"؛ وهي جريدة تبحث في الشؤون السياسية والفكاهية والفنية والكاريكاتورية، حسب تصنيف الأستاذ يوسف خوري في كتابه **الصحافة الفلسطينية في فلسطين**.

(٢) ما بعد العام ١٩٤٨ – أوائل الستينيات: ففي هذه المرحلة ظهرت أحداث مهمة على صعيد المجتمع والقضية الفلسطينية، التي أثرت بدورها على الصحافة والكاريكاتور الفلسطيني، ألا وهي:

- توحيد الضفتين ودخول الصحافة الفلسطينية ضمن الصحف الأردنية وقوانين النشر الأردنية.
- انتقال الصحافة الفلسطينية إلى الأردن ونشوء الصحافة الأردنية، ما يعني انتقال الموظفين أو جزء منهم مع صحفهم نحو الضفة الشرقية، (افتراض من الباحث نفسه، وذلك بسبب النقص الحاد في هذا الموضوع، وينصح الباحث بدراسة كتاب الصحافة الأردنية للأستاذ أحمد خليل العقاد، لدراسة انتقال الصحافة الفلسطينية إلى الأردن).
- ظهور منظمة التحرير الفلسطينية، وباقي التنظيمات والفصائل الفلسطينية، وبداية حركة التحرير الوطني الفلسطيني، وما وازاها من نشوء الصحافة الفصائلية والحزبية والسياسية الفلسطينية.
- ظهور صحافة الداخل (داخل الأراضي المصنفة إسرائيل حالياً)، وذلك بعد أعوام من القمع والتهميش الإسرائيلي لها.

(٣) فترة الاحتلال: وتضم المرحلة ما بين العام ١٩٧٦ حتى الانتفاضة الأولى سنة ١٩٨٦، وأهم ما يميز هذه الفترة هو:

أ- دخول فلسطين التاريخية كاملة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وظهور صحافة ما تحت الاحتلال (داخل فلسطين التاريخية).

ب- ظهور الكاريكاتور الفلسطيني بقوة على الساحة الإعلامية، والوصول إلى مرحلة النضج الفني.

(٤) فترة الانتفاضة حتى أوسلو: وهي ما بين العامي ١٩٨٦ حتى العام ١٩٩١، وأهم ما يميز هذه الفترة هو الانتفاضة الأولى وأثرها على الكاريكاتور الفلسطيني.

(٥) مرحلة أوسلو حتى الانتفاضة الثانية: وتضم الفترة الزمنية ما بين العام ١٩٩١ حتى العام ٢٠٠٠، وأهم ما يميزها، هو حالة شبه السلم والانفتاح الفلسطيني على العالم.

(٦) مرحلة انتفاضة الأقصى: وأهم ما يميز هذه الفترة هو ما يمكن أن نسميه أعوام الكوارث الفلسطينية، لما لحق بالشعب الفلسطيني داخل فلسطين من مجازر واجتياحات ووقوع الشعب الفلسطيني داخل فلسطين التاريخية تحت وطأة القمع الدموي الإسرائيلي.

بالنسبة للمراجع، فقد وضع الباحث الصحف والمجلات الفلسطينية التي يفترض أنها تعطي صورة جيدة عن تطور الكاريكاتور الفلسطيني، فبالنسبة لصحف ما قبل العام ١٩٤٨، فقد وضع الباحث أسماء تسع صحف ومجلات فلسطينية، يعتقد الباحث أنها تحتوي على (كاريكاتور)، وتم اختيارها بعد مراجعة شروحات الأستاذ العقاد على هذه الصحف والمجلات، التي إما كانت صحفاً مصورة، وإما كاريكاتورية أو فكاهية مصورة:

(١) الأخبار ١٩٠٩. (٢) العهد الجديد ١٩٣٩. (٣) مرآة الشرق ١٩١٩ (٤) النفير ١٩٠٨. فلسطين ١٩١١. (٦) المستقبل ١٩٤٥. (٧) الرأي العام ١٩٤٦. (٨) الأردن ١٩١٩.

بينما صحف ما بعد العام ١٩٤٨، فاعتمد الباحث على صحف (الدفاع، وفلسطين، والقدس، والاتحاد) ولصحف ما بعد العام ١٩٧٦، فهي صحف (القدس، والفجر، والشعب، والنهار، والميثاق، بالإضافة إلى البيادر السياسي)، وهذه صحف الداخل، وصحافة الخارج الحزبية كـ (الهدف، والحرية، وفتح، وصوت فلسطين)، ولصحف مرحلة أوسلو وما بعدها حتى الانتفاضة، فاعتمد الباحث على صحف (القدس، والأيام، والحياة الجديدة)، بالإضافة لبعض الصحف الحزبية، كصحيفة الرسالة الإسلامية، والاستقلال.

الهوامـــش:

* هذا البحث بإشراف الدكتور نشأت الأقطش، وقد نوقش في دائرة الإعلام – جامعة بيرزيت، ربيع ٢٠٠٤.

١ اعتمد الباحث في دراسته على وحدة تحليل (الموضوع).

٢ بسبب الاحتلال الإسرائيلي، والأوضاع الأمنية وحالة الإغلاقات المستمرة، وعملية سجن الفلسطينيين داخل مناطقهم، لم يتمكن الباحث من الوصول إلى الجامعات والمؤسسات الصحافية في فلسطين التاريخية، أو السفر خارج البلاد، وعليه، قام الباحث في نهاية البحث بوضع خطة لمشروع دراسة ذي مساحة دراسية (شاملة)، قادرة على أن تغطي الموضوع بشكل أفضل وأوسع، على أمل تحقيق هذا البحث حين توفر الظروف المناسبة.

٣ لم تتوفر معلومات أخرى.

٤ داود إبراهيم، **ناجي العلي، فنان لا تشتريه**، رام الله: مؤسسة اليرموك للثقافة والإعلام، ١٩٩٨.

5 http://aslimnet.free.fr/editions/haissan/hai25.htm.

٦ إسماعيل شموط، **الفن التشكيلي في فلسطين**، الكويت، ١٩٨٩ ص١١٧.

7 http://www.georgeglazer.com/prints/genre/rowland-mis.html.

8 http://www2.umt.edu/partv/famus/print/daumier/daumier.htm#60.

9 http://www.indiana.edu/~liblilly/cartoon/bull.html.

١٠ عنوان الصورة على شبكة الإنترنت http://www.wsp.krakow.pl/whk/galeriar.

١١ يعقوب صنوع (١٨٣٩ – ١٩١٢)، من أبوين يهوديين، كان أبوه في خدمة الأمير يكن، حفيد محمد علي، وقد أتيح ليعقوب أن يطلع على مختلف الثقافات، ودرس الإنجيل والتوراة والقرآن، وأجاد ثلاث عشرة لغة، وأتقن الموسيقى والرقص والرسم والكتابة.

١٢ تتصل جذور الصحافة العربية باستيراد أولى المطابع في القرن السابع عشر، عندما استورد لبنانيون سنة ١٦١٠ مطبعة للكتب الدينية إلى دير "مار قزحيا" في شمال لبنان (www.elsohof.com /موقع تواريخ).

١٣ وأهم هذه الإمارات هي (الدولة المعنية ١٥٩٥– ١٦٦٦ والشهابية ١٦٩٧ – في لبنان، وظاهر العمر ١٧٥٠– ١٧٧٥ في فلسطين).

14 http://www.elsohof.com/tawareekh17.html.

١٥ إحسان عبّاس، **الصحافة والرقابة في سوريا**. http://www.elsohof.com/malafa11.html.

١٦ شجع ظاهر العمر الزراعة والصناعة والتجارة مع فرنسا. وتحالف مع علي بك المملوكي والي مصر، واجتمعا على عصيان الباب العالي، ولم يكتب لهذا التحالف النجاح بسبب الخيانة الداخلية التي أدت أيضاً لاغتيال ظاهر العمر ١٧٧٥.

١٧ معرض باريس لكتاب الطفل/عنوان المعرض "العالم العربي"، ما بين ٢٨–١١ إلى ٥–١٢/١٢/ ٢٠٠٢، باريس/مونتربيه.

١٨ أحمد خليل العقاد. **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين**، دمشق: دار العروبة، ١٩٦٧ ص٧.

١٩ يهوشع يعقوب، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٨**، القدس: ١٩٧٤.

٢٠ مركز المعلومات الفلسطيني www.pnic.gov.ps، يوسف ق. خوري، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٦ .

٢١ العقاد، ص١٣٤. يوسف. ق. خوري، ص١٧. يهوشع بن نون، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني**، ص١٠٨.

٢٢ العقاد، ص١٨٦. ذكر أنها "من أقدم الصحف العربية التي صدرت في فلسطين، التي استمرت في الدور حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين".

٢٣ إسماعيل شموط. **الفن التشكيلي في فلسطين**، الكويت، ١٩٨٩، ص ٦١.

٢٤ داود إبراهيم. **ناجي العلي، فنان لا تشتريه**، رام الله: مؤسسة اليرموك للثقافة والإعلام، ١٩٩٨، ص ١٤.

٢٥ صحافي وأديب فلسطيني مخضرم، له كتب عدة مهمة في موضوع فلسطين ما قبل النكبة، وأهمها كتاب (رجالات فلسطين/١٩٤٦)، وكتاب (تاريخ الصحافة العربية في فلسطين/١٩٦٦).

٢٦ العقاد، "تاريخ الصحافة العربية في فلسطين"، ص١٢٧. **مجلة المستقبل**، صدرت العام ١٩٤٥ في مدينة القدس، لصاحبها خيري حماد، وكانت سياسية أدبية عنت بنشر الرسوم والكاريكاتور، صدرت لمدة عام لتتوقف من تلقاء نفسها.

٢٧ العقاد، "تاريخ الصحافة العربية في فلسطين"، ص١٥٧، مجلة المستقبل صدرت في ٣ حزيران ١٩٤٦، في مدينة يافا، لصاحبها أحمد خليل العقاد، وتعتبر الأولى من نوعها في فلسطين من حيث نشر الصور والرسوم والكاريكاتور ، عالجت المواضيع الأدبية والسياسية بأسلوب ساخر وضاحك، بعد النكبة انتقلت إلى بيروت، ثم عادت إلى القدس حتى العام ١٩٥٠، لتتوقف عن الصدور مع عدد من الصحف الفلسطينية.

٢٨ العقاد، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين**، ص١٦٥. وتعتبر أقدم صحيفة فلسطينية، حيث ظهرت العام ١٩٠٢ في مدينة حيفا.

٢٩ صالح عبد الجواد. "السو سيوساييد"، **الأيام**، رام الله، ١٩٩٧/٩/٢٧.

٣٠ لم يتم العثور على أي من رسومات الفنان زكي شقفة، عمل في الصحف الأردنية في الفترة نفسها التي وجد فيها رباح الصغير.

٣١ عبده الأسدي. **دليل صحافة المقاومة الفلسطينية**، دمشق: دار النمير للنشر، ١٩٩٨.

٣٢ ظهرت رسوماته لفترة قصيرة في الصحافة الكويتية، ثم اتجه نحو الرسوم المتحركة، وتوجه إلى يوغسلافيا أواسط السبعينيات لدراسة الرسوم المتحركة. إسماعيل شموط، **الفن التشكيلي في فلسطين**، ص ١١٩.

٣٣ داود إبراهيم، **ناجي العلي، فنان لا تشتريه**، ص.٤٧.

٣٤ المصدر السابق نفسه.

٣٥ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني http://www.pnic.gov.ps/arabic/culture/cultu_1_3.html.

٣٦ راجع صفحة ٣٨ شكل رقم (٣١). ويظهر تعبان أفندي يقول: "يا أصحاب الجلالة والسمو والفخامة ... الله يوفقكم لما فيه خير لفلسطين ... بس المهم بدنا عمل ... أكثر من قول. (٢٤ أيار ١٩٤٦).

الفصل الثاني

دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة بقطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية

دراسة ميدانية

دور الإذاعات الخاصة بقطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية
دراســـة ميدانيـــة

داود عبد الكريم داود*

في ظل التطور الهائل الذي يشهده العالم اليوم في مجال الثورة التكنولوجية والاتصالات المتطورة، والإنجازات الضخمة التي حققها إنسان هذا القرن بابتكاره وبابتداعه وسائل مختلفة ومتنوعة ومتعددة، وذات قدرات طائلة على جمع المعلومات، وتصديرها إلى الآخرين، حيثما كانوا وعلى الرغم من أن هذا التطور، وهذه الثورة في مجال الاتصال، ما زالت مستمرة وبسرعة مذهلة، فليس هناك من المؤشرات والدلائل ما يوحي بأنها على وشك الوصول إلى خط النهاية، أو أنها بلغت حداً لا يستطيع أحد أن يتجاوزه أو حتى يصل إليه.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن هناك حقيقة لا يختلف حولها الكثير، بل هي أقرب إلى أن يجتمع عليها أهل العلم والدراية، تلك الحقيقة هي صمود الراديو في خضم هذه التطورات العالمية في مجال الثقافة، وحفاظه على مكانته بين وسائل الاتصال الجماهيرية كواحدة من أهمها إن لم يكن أهمها على الإطلاق.[1] ويتمتع الراديو بمكانة عظيمة بين وسائل الإعلام، وذلك لأنه وسيلة اتصال جماهيري تجتاز الحدود وتصل إلى المستمع دون أن يستطيع أحد التعرض له، أو إيقاف الإرسال الإذاعي؛ فهو يصل إلى مختلف المناطق في أنحاء العالم، لينقل رسالة الدولة المصدرة إلى الشعب المستقبل لها.[2]

والراديو أرخص الوسائل لنقل المعرفة والمعلومات وهو الوسيلة التي يمكن أن تصل إلى جميع أنحاء العالم في الوقت نفسه، وبتكلفة قليلة نسبياً. ويعد النشاط الإذاعي واحداً من أهم الأنشطة الإعلامية الفلسطينية، حيث يعتمد عليه كوسيلة لترجمة السياسة الخارجية والداخلية من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى إليها، ونظراً للظروف الاجتماعية والثقافية التي يمر بها الشعب الفلسطيني خلال انتفاضة الأقصى، التي جعلت من الإذاعة واحدة من أكثر وسائل الإعلام انتشاراً وتأثيراً في الشارع الفلسطيني، فالإذاعات الخاصة استطاعت أن تكون رأياً عاماً حول القضايا والموضوعات التي تثيرها عن طريق برامجها، وإن كانت هذه البرامج تمثل ترجمة حقيقية لسياستها، وذلك من خلال نوعية المادة المعروضة، وكيفية المعالجة الضمنية لمضمون الرسالة الإعلامية، وذلك بما يتناسب مع استراتيجيتها الإعلامية، الأمر الذي جعل الإذاعات الخاصة تستقطب جمهوراً عريضاً من المستمعين، ومن خلال برامجها الترفيهية والموسيقية وعرضها لمشاكل المواطن، والاختلاط بالمجتمع المحلي، والتقرب منه، ومعرفة مشاكله ومخاطبته، وعرض آرائه وأفكاره.

تهدف الدراسة إلى الكشف عن واقع دور الإذاعات الخاصة الفلسطينية في قطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية، وذلك من أجل تقديم الاقتراحات والتوصيات إلى الإذاعات الفلسطينية من أجل النهوض بالمستوى الإعلامي والتثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية، ولكي نكون من المشاركين في عملية خلق كادر إعلامي فلسطيني متميز، وذلك من خلال إعطائنا ما نستطيع من جهد متواضع.

تكمن أهمية الدراسة في أن كثيراً من الباحثين لم يتطرقوا إلى مجال دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، ويتوقع الباحث من هذه الدراسة أن تقوم الإذاعات الفلسطينية الخاصة بإعادة النظر في دورها في مجال التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية. كما تهدف الدراسة إلى التعرف على دور الإذاعات الخاصة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في جامعات غزة، وقد تمت بلورة مشكلة الدراسة بالتساؤلات الآتية:

١. ما المقصود بالإذاعات الخاصة؟

٢. ما دور الإذاعات الخاصة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام؟

٣. ما هي أكثر البرامج سماعاً في الإذاعات الخاصة؟

٤. هل يختلف دور الإذاعات الخاصة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام باختلاف الجنس في الجامعات الفلسطينية؟

٥. ما مدى المصداقية التي تتمتع بها البرامج في هذه الإذاعات عند طلبة الإعلام؟

٦. ما المدة الزمنية التي يقضيها الطالب في الاستماع لبرامج الإذاعات الخاصة؟

٧. ما أسباب ودوافع عدم الاستماع لبرامج الإذاعات؟

عينة الدراسة وأداتها

اشتملت عينة الدراسة على مجموعة عشوائية طبقية من الطلبة الدارسين في مجال الإعلام في كل من الجامعات الفلسطينية الثلاث (الأزهر، والإسلامية، والأقصى)، وقد حصل الباحث على عدد مجموع الطلاب والطالبات من عمادة القبول والتسجيل بكل جامعة.

ونظراً لكبر حجم مجتمع الدراسة، قام الباحث باختيار عينة عشوائية طبقية من طلاب كلية الإعلام في الجامعات الفلسطينية الثلاث، حيث قام بتقسيم العينة إلى أربعة مستويات، وفقاً للمستوى التعليمي لهم، ومن ثم قام بتوزيع العينة بطريقة الأسلوب المتناسب، حيث بلغ حجم مجتمع الدراسة (١١٠٨) طلبة، وقد كان حجم الطلاب ٦٥٥ طالباً، في حين بلغ حجم الطالبات ٤٥٣ طالبة، واستخدمت الدراسة الأدوات التالية:

١. **أداة الاستبيان:** استخدم الباحث أداة الاستبيان، وذلك من أجل الحصول على المعلومات المطلوبة للدراسة حول دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة بقطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية.

٢. **المقابلة:** حيث قام الباحث بجمع المعلومات المتعلقة بالمبحث الثاني من الفصل الثاني عن طريق المقابلة، وهي الطريقة الأنسب بسبب قلة المعلومات وعدم توفرها في المكتبات، ولم تتم الكتابة والتوثيق عنها، وذلك لأن الإذاعات الخاصة في قطاع غزة حديثة النشأة والولادة.

نوع الدراسة وتقسيمها

تقع هذه الدراسة في إطار البحوث الوصفية التي تستهدف تصوير وتحليل وتقويم الظاهرة، أو دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة في طبيعة ظاهرة، أو موقف، أو مجموعة من الناس، أو الأحداث، أو الأوضاع، وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها.[٢]

وضمن هذا المنهج استخدم الباحث أسلوب مسح الجمهور؛ جمهور طلبة الإعلام في الجامعات الثلاث، للاستماع للإذاعات الخاصة في قطاع غزة، بهدف التعرف على دور الإذاعات ونسبة دورها في التثقيف السياسي، حيث حدد الباحث عينة الدراسة، بعينة عشوائية منتظمة، وقدر من مائة مفردة، وتم توزيعها بالأسلوب المتناسب مع الجامعات.

قسم الباحث الدراسة إلى أربعة فصول، حيث اشتمل الفصل الأول على مقدمة البحث، ومشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهميتها، وتساؤلاتها، والأدبيات السابقة، ومجتمع الدراسة، وعينتها، وأدواتها، ومن ثم اختبار الصدق على الاستبيان.

أما الفصل الثاني، فينقسم إلى مبحثين؛ الأول يتحدث عن الإذاعة ونشأتها وتطورها، والثاني يتحدث عن نشأة الإذاعات في الوطن العربي، أما الفصل الثالث فقد شمل مبحثين، وهما نشأة الإذاعة وتطورها في فلسطين، والمبحث الثاني الإذاعات الخاصة وظروف نشأتها في فلسطين، أما الفصل الرابع، فيحتوي على نتائج الدراسة الميدانية، والسمات العامة لعينة الدراسة، بالإضافة إلى النتائج والتوصيات.

الإذاعة .. نشأتها وتطورها

الإذاعة "يقصد بالإذاعة، الرسالة الصوتية المسموعة التي تعني البث أو الإرسال في جميع الاتجاهات، وهي الانتشار المنظم والمقصود بواسطة الراديو لمواد إخبارية وثقافية وتعليمية وتجارية وغيرها من البرامج، من حيث يتم التقاطها في وقت واحد من قبل المستمعين المنتشرين في شتى أنحاء العالم؛ فرادي وجماعات، باستخدام أجهزة الاستقبال المناسبة".[٤]

والأصل اللغوي للإذاعة هو الإشاعة، فقد جاء في معجم اللغة العربية (ذاع الخبر وغيره، ذياع وذيوعاً وذياعاً) فشا وانتشر، أذاعه أفشاه ونشره. الإذاعة: نقل الكلام والموسيقى وغيرهما عن طريق الجهاز اللاسلكي. ويقال إن المذياع هو الذي لا يتكلم السر أو لا يستطيع كتمه، والمذياع هو من يتولى النشر في دور الإذاعة.[٥]

الإذاعة تعني البث والنشر للأخبار والبرامج والأغاني والتمثيليات والموسيقى وغيرها من المواد الإذاعية على جمهور عام، أو استقبال هذه المواد جماهيرياً وعاماً بواسطة أجهزة استقبال عامة، وجرى العرف بين علماء الاتصال ورجال الأعلام إطلاق اسم الإذاعة (الراديو) على الوسيلة التي تستخدم المجالات اللاسلكية في بث رسالة ونشر رسالتها على جمهور عام.[٦]

ونستطيع القول إن الإذاعة بذلك تكون واسعة الانتشار، فهي تصل إلى جماهير عريضة وواسعة من الكبار والصغار والمثقفين والمتعلمين والأميين، للأغنياء والفقراء وكل فئات الشعب. أما بالنسبة لكلمة الراديو، فإنها تعني معني مغايراً لمعنى الإذاعة، ومعناه حسب تعريف الدكتور كرم شلبي للراديو (الإذاعة بالراديو هي كلمة تطلق على الاتصال بالراديو؛ أي إرسال واستقبال الكلمات والإشاعات الصوتية على الهواء لاسلكياً).[٧]

شهد القران التاسع عشر تطوراً هائلاً في ميدان الإعلام والاتصال، يعرف بثورة الاتصال، وقد تمثل ذلك بشكل محدد وواضح في اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية على يد عالم الفيزياء (جيمس ماكسويل)، والتلغراف على يد (صمويل موريس)، ومن بعده التلفزيون، وحتى اكتشاف اللاسلكي على يد

العالم المشهور (ماركوني). وتعود التجارب الأولى التي أجريت من أجل نقل الصوت عبر الأثير حوالي ١٨٩٠، وفي ١٤ ديسمبر ١٩٠١ نجح ماركوني في إتمام أول إرسال لاسلكي.[٨]

وقد زاد تأثير الراديو واللاسلكي بشكل عام عندما تم إنقاذ سفينة التايتانيك بواسطة الراديو، وذلك عندما استمع الفني (ريفيد سارلوف) الذي كان يعمل في شركة ماركونى إلى إشارة استغاثة من الباخرة إلى الشاطئ بنيويورك، وظل يعمل لمدة ٧٢ ساعة في نقل أخبار السفينة، وتم إنقاذ ركابها.[٩]

وقد لعبت أجهزة التلغراف اللاسلكي دوراً مهماً في الحرب العالمية الأولى، حيث استخدمتها الجيوش في الاتصال بين وحداتها، كما استخدمها الطيارون للاتصال بالقواعد الجوية.

وبعد انتهاء الحرب زاد الاهتمام الشعبي بالراديو بعد أن نجحت إحدى الشركات من إنتاج وتسويق مكونات جهاز للاستقبال، يقوم الفرد بشرائها وإعادة تجميعها في منزله لالتقاط إشارات الراديو المشفرة والإشارات الصوتية.[١٠]

أما الميلاد الحقيقي للإذاعة، فيعود إلى العام ١٩٠٦، حيث قام عالم في جماعة (بتسبرغ) يدعي (ارتجاد فيسندون) بالمشاركة مع مجموعة من رجال الأعمال المحليين الأمريكيين ببث الموسيقي إلى السفن في عرض البحر عشية عيد الميلاد ١٩٠٦، حيث تجمع التجار على ظهر السفن العابرة للبحار يستمعون إليها، وبذلك كانت أول إذاعة تنشأ في العام ١٩٠٦.[١١]

ولكن الراديو لم يصبح حقيقة واقعية إلا في العام ١٩٢٠، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى التي أجريت فيها أولى التجارب في هذا الحقل، وقد تبعتها من قريب بريطانيا وفرنسا وألمانيا ونشطت استراليا وكندا.[١٢]

تطور الإذاعة

اقتصر استخدام الإذاعة في بادئ الأمر على الترفيه واللهو والتسلية وسماع الموسيقى، إلا أن الإذاعة بعد ذلك أخذت في التطور، ودخلت المجال التجاري، وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى، ومن ثم توالى الاهتمام بالدور السياسي

والدعائي للإذاعة خلال فترة الثلاثينيات مع صعود النازية والفاشية والشيوعية، واستغلال هذه الأنظمة لنفسها من خلال الإذاعات والعمل الدعائي، وبخاصة وزير الإعلام النازي جوبلز الذي استغل الإذاعة بشكل أفاد في انتشار النازية ونشر أفكارها.[١٣]

ومع انتشار الإذاعة واستخداماتها للأغراض الشعبية والعسكرية زادت الحاجة إليها، ففي العام ١٩٢٥ أصبح في العالم حوالي ستمائة محطة، وقفز عددها في العام ١٩٣٥ إلى أكثر في الضعف بقليل، وفي العام ١٩٦٠ وصل عدد هذه المحطات إلى ٧٥٠٠ محطة.[١٤]

لقد أصبحت الإذاعة من أكثر وسائل الإعلام أهمية، وأقدرها على الانتشار السريع، وتتخطى الحواجز الثلاثة المهمة وهي: الأمية، والجغرافية، وقصور وسائل المواصلات.[١٥]

ولقد أثر التقدم التكنولوجي على البث الإذاعي وعلى تطويره، حيث تطورت وسائل الإذاعات وأجهزتها ودخلت التكنولوجيا، وأصبحت الإذاعات قادرة على الوصول إلى مسافات بعيدة، ثم أضافت الأقمار الصناعية إمكانية نقل الرسائل الإذاعية إلى أنحاء الكرة الأرضية كافة.[١٦]

الراديو كوسيلة اتصال جماهيري

كان تحول الراديو من وسيلة اتصال خاصة إلى وسيلة جماهيرية يتطلب عدداً من التحولات التكنولوجية، هي:

- تطوير أجهزة استقبال سهلة الاستخدام وقادرة على نقل البرامج والموسيقى للناس في منازلهم.
- إنتاج أجهزة استقبال صغيرة الحجم رخيصة الثمن في متناول غالبية الناس.
- قيام محطات إذاعية تبث برامج منتظمة يرغب الناس في الاستماع إليها.
- التوصل إلى طريقة تجعل الإرسال واضحاً، وتمنع التداخل بين المحطات الإذاعية؛ أي تنظيم استخدام الموجات الهوائية، إما بالاتفاق بين المحطات وإما من خلال التنظيم الحكومي.

- التوصل إلى طريقة لتمويل المحطات الإذاعية حتى تستطيع الإنفاق على برامجها، وتغطي تكاليفها وتحقق أرباحها، وخلال سنوات قليلة تم التغلب على هذه العوائق وتحول الراديو إلى وسيلة اتصال جماهيرية مهمة، وكان أول من فكر في إمكانية استخدام الراديو كوسيلة اتصال جماهيرية ديفيد ساند روق.[١٧]

خصائص الإذاعة

- الإذاعة بالراديو تعتبر أكثر سهولة، إن لم تكن هي الوحيدة بين وسائل الإعلام السهلة بالفعل، وبخاصة بعد التطور والتنوع في أجهزة الاستقبال واعتمادها على الترانزوستور، بحيث أصبح منها أجهزة صغيرة يمكن حملها في الجيب أو اليد من مكان إلى آخر، بالإضافة إلى رخص أسعار هذه الأجهزة حتى أصبحت في متناول كل إنسان.[١٨]
- يرتبط الفن الإذاعي في الأساس بالأذن، لأنه يعتمد على حاسة السمع التي تدعو إلى إنارة الخيال وتداعي التصورات والتعمق في دلالات الألفاظ والكلمات.[١٩]
- تكتسب الكلمة المذاعة قوة كبيرة في التأثير على جمهور المستمعين لما تحمله من سحر خاص ومقترن بالمؤثرات الصوتية الطبيعية والصناعية والموسيقية، وما تتميز من خصائص متعددة جعلتها تتميز عن وسائل الاتصال الأخرى.[٢٠]
- وفي هذا السياق سنتطرق إلى أهم الخصائص التي جعلت الإذاعة تتميز عن غيرها من وسائل الاتصال الأخرى، وهي:
  - سعة الانتشار والامتداد الذي يتجاوز حواجز الزمان والمكان، والأمية والمستويات العلمية ويسابق المواصلات والاتصالات، وتستطيع موجات الراديو أن تتخطى جميع العقبات التي تعيق وسائل الإعلام الأخرى.[٢١]
  - ومن السمات التي تتميز بها الإذاعة عن وسائل الإعلام الأخرى أن الاستماع للراديو يتم بسهولة ويسر، ففي مقدور الإنسان أن يستمع للراديو أثناء قيادة السيارة أو إنجاز الأعمال المنزلية.[٢٢]

- الفن الإذاعي فن وجداني عاطفي على عكس المطبوعات التي تستهدف العقل قبل العاطفة، ولقد استخدمت الدول المتحاربة الإذاعة كوسيلة لإثارة المشاعر الشعبية الجارفة استطاع الراديو أن يأتي بنتائج لم تستطع وسائل الإعلام الأخرى الإتيان بها.[٢٣]
- تستطيع موجات الإذاعة اختراق كل أنحاء العالم في أقل من لمح البصر، وقد أكدت الدراسات أن موجة الأثير تدور حول الكرة الأرضية في ثمن ثانية، ولا تقف في سبيلها حدود أو حواجز سياسية أو طبيعية.[٢٤]
- تعتمد الإذاعة على الكلمة المنطوقة ذات السحر والجذب والإيحاء التي تتميز بالسرعة، حيث تدور حول العالم سبع مرات في الثانية الواحدة، فهي سريعة في رحلتها من المرسل إلى المستقبل وعبر المحطات الأساسية.[٢٥]
- يؤثر الراديو في أغلب الناس تأثيراً خاصاً، وهو تأثير التوجيه الشخصي الخاص، فينقل إلى السامع عالماً من التفاهم غير المنظور، موفراً له بذلك خبرة خصوصية، فيمس أغوار النفس البشرية، كذلك فإن طبيعة الراديو نفسه كأداة مملوكة للسامع تمنح الأخير إحساساً بتفرده وحده لسماع حديث الراديو، وينبع هذا الإحساس من وضوح صوت الراديو الذي يقدم أيضاً صورة صوتية واضحة، ويمثل امتداداً للقوى السمعية والصوتية عند الإنسان، والصورة السمعية هي أول ما يربط بين أفراد المجتمع والإنسان غير القارئ.[٢٦]

ومن هنا نستطيع القول إن الإذاعة فن صوتي يعتمد على حاسة السمع التي تتطلب اليقظة والانتباه وإثارة حواس الإدراك والإبداع والتصور لأبعاد المواقف والأحداث.

وظائف الإذاعة

يرى "مندلسون" أن قابلية الراديو للتعديل وفقاً لمزاج المستمع وإطاره السيكولوجي في وقت معين من أهم وظائف الراديو ومميزاته، حيث أن وجود محطات لإرسال

عديدة إنما يعني في الوقت نفسه، وجود مجال واسع للاختيار والانتقاء، بحيث يصبح من السهل أمام المستمع أن يدير المؤشر لكي يستمع إلى ما يوافقه سيكولوجياً ومزاجياً.[٢٧]

وتتلخص أهم الوظائف التي خرج بها مندلسون من خلال تحليله فيما يلي:

الوظيفة الإعلامية، والوظيفة المزاجية، ووظيفة الاسترخاء والتحرر النفسي، ووظيفة الرفقة والصداقة المزاجية، والتفاعل الاجتماعي.[٢٨] في حين قسم الدكتور عبد العزيز غنام البرامج الإذاعية طبقاً لوظائفها، وحدد منها الوظائف التالية: الوظيفة الإخبارية والثقافية والترفيهية.[٢٩]

ومن هنا نقول أن خبراء الإعلام والاتصال لم يتفقوا على تحديد وظائف الإذاعة، ومما تقدم يمكننا إن نتفق على أهم وظائف الإذاعة، وهي:

أولاً – الإعلام والإخبار: أي نقل للمعلومات والأخبار والحقائق عن الأحداث الجارية، وذلك حق من حقوق الاتصال التي تتطلب الصدق والالتزام.[٣٠]

ثانياً – التثقيف: الثقافة هي مجموعة من المعلومات والمعارف التي يتزود بها الإنسان ليعيش متأثراً بها ومؤثراً فيها، لذا تقوم الإذاعة والتلفزيون ببث برامج تثقيفية في مجالات كثيرة.[٣١] والتثقيف هنا يقصد به توفير المعلومات والمعارف الإنسانية المختلفة من علوم، وفنون، وآداب، وعادات وتقاليد، وسلوك عام، وقيم ومورثات، والمستجدات في الحياة، وهي مهمة يستطيع الراديو تقديمها والتعامل معها بما يخدم الناس ومستوياتهم المختلفة، وذلك يتطلب التوازن والوعي والفن في التقديم، بما يكفل التماسك الاجتماعي.[٣٢]

ثالثاً – التسلية والترفيه: وكسائر وسائل التعبير الحديثة، نستطيع أن نقول إن للراديو وظيفة أخرى؛ ألا وهي التسلية والترفيه والإمتاع. إن عدداً من المتلقين يستمعون على وجه الخصوص إلى الأغاني والمنوعات ولا يبخل الراديو من هذه الناحية على مستمعيه.[٣٣] ويمكن القول إن الإذاعة ترفه وتسلي الناس وتساعدهم على أن يقضوا وقتاً باسماً وممتعاً يجعلهم يشعرون بالراحة والسعادة، ويروح عنهم متاعبهم، ويساعدهم على التجديد والانطلاق، وذلك من خلال البرامج

المنوعة، ولذا فإنني أرى أن جميع الإذاعات تتسابق في الإكثار من هذه البرامج ذات المضمون الترفيهي، ومن أجل الاستحواذ على المستمع.

رابعاً – الإعلان: يعرف سمير حسين الإعلان بأنه: "كافة الجهود الاتصالية والإعلامية غير الشخصية المدفوعة التي تقوم بها مؤسسات الأعمال والمنظمات غير الهادفة إلى الربح والأفراد التي تنشر أو تعرض أو تذاع باستخدام الوسائل الإذاعية كافة، وتظهر من خلالها شخصية المعلن وذلك بهدف تعريف جمهور معين بمعلومات معينة وحثه على القيام بسلوك معين.[٣٤]

نشأة الإذاعة وتطورها في فلسطين

الإذاعة الفلسطينية قبل العام ١٩٤٨

لم تشهد فلسطين كغيرها من البلدان العربية باستثناء مصر نشأة تمهيدية وأهلية للإذاعة أو الراديو بفضل هواة اللاسلكي والفنانين من القدس أو الموسيقيين ورجال الأعمال أو الأثرياء بوجه عام، كما لم تحظ الإذاعة في فلسطين بالدراسة والتناول والتحليل والتاريخ شأن الإذاعات في الوطن العربي والعالم.

ولم يرد في ذكرها شيء سوى إشارات طفيفة في بعض كتب الأدب العربي وتاريخ الأدب الفلسطيني عند الحديث عن الحياة الثقافية في المجتمع الفلسطيني، أو عند الحديث عن سيرة بعض الشخصيات ذات العلاقة بالأحاديث الإذاعية والعمل الإذاعي مثل إبراهيم طوقان، وخليل السكاكيني، أو ما أوردة بعض الأدباء العرب الذين أسهموا في أحاديث الإذاعة الفلسطينية من القدس كالمازني، والعقاد، والبشري، ... وغيرهم.[٣٥]

دار الإذاعة الفلسطينية ١٩٣٦

عرفت فلسطين الإذاعة منذ القدم، وبالتحديد في عهد الانتداب البريطاني العام ١٩٣٦، حيث أنشئت دار الإذاعة الفلسطينية في القدس ورام الله من جانب الحكومة البريطانية في فلسطين، وكانت هذه الإذاعة الفلسطينية ثاني إذاعة في العالم العربي بعد إذاعة القاهرة التي أنشئت العام ١٩٣٤، واستهدف البريطانيون من هذه الإذاعة الوصول لكافة الجمهور العربي واليهودي، وتقديم بديل لراديو باري الذي كان يبث من إيطاليا، حيث كانت إيطاليا في عهد موسيليني أول دولة استعمارية تبث باللغة العربية إلى العالم العربي، وتتخذ موقفاً عدائياً اتجاه بريطانيا، ولذا كان لا بد من برامج مضادة عبر الإذاعة الفلسطينية وغيرها، لتطرح وجهة النظر البريطانية.[٣٦]

وقد وصفها الإذاعي الفلسطيني عصام حماد وهو من الرواد بقوله:

إذاعة القدس التي يناهز عمرها عمر الإذاعة المصرية بالتمام والكمال هي الأم الشرعية للإذاعة الأردنية، وعرفت هذه الإذاعة باسم (هنا القدس، دار الإذاعة

الفلسطينية)، وتديرها شركة نوت البريطانية وبإشراف حكومة الانتداب البريطاني، شأنها في ذلك شأن الإذاعة المصرية والإذاعات في الوطن العربي، آنذاك، التي أشرفت على إنشائها دول الانتداب والاستعمار في ذلك الوقت كأسلوب من أساليب دعم العلاقة وكسب ثقة تلك البلاد.[٣٧]

بوجه عام، فإن الإذاعة الفلسطينية "هنا القدس" استطاعت خلال مراحلها المختلفة أن تشكل أسرة إذاعية متحابة متفاهمة ومنافسة، وأن هذا التنافس أدى إلى تحسين الإنتاج وتطور البرامج وتوسيع دائرة الجذب والاستقطاب والتأثير، وهو ما يؤكده الاحتفال السنوي في ذكرى إنشاء الإذاعة الذي أبدعه عجاج نويهض وحشد له الأدباء والكتاب المفكرين والفنانين العرب الذين جعلوا من الإذاعة الفلسطينية إذاعة للعرب، وهو ما أفسد الخطة البريطانية الطامحة لأن تكون هذه الإذاعة وسيلة لخدمة المصالح البريطانية، وسيفاً يطال رؤوس الثائرين والمجاهدين.

فكانت على النقيض من ذلك ثورة على الانتداب البريطاني وسياساته الداعمة للجماعات اليهودية التي فتحت لها أبواب الهجرة والعمل، حتى تم لها إنشاء دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية. وعلى الرغم من خضوعه لإشراف سلطة الانتداب البريطاني، فإن هذا النظام استطاع أن يشكل إدارة تتمتع باستقلالية واسعة انعكست على سياسة الإذاعة في برامجها وضيوفها والمتعاونين معها من كل بلاد العرب.[٣٨]

الإذاعة الفلسطينية منذ ١٩٤٨-١٩٦٧

نشأت خلال هذه الفترة العديد من الإذاعات الفلسطينية المستقلة بذاتها، بالإضافة إلى تخصيص بعض الإذاعات العربية أوقاتاً للفلسطينيين تأخذ شكل برنامج يومي مستقلاً يقدمه فلسطينيون تحت الإشراف الرسمي للدولة، ويخضع لسياستها العامة إزاء فلسطين، ويعود الفضل في هذا المجال إلى إذاعة صوت العرب التي اعتمدت نهجاً قومياً تحررياً لمساعدة الشعوب لتحرير أوطانها، ومن هذه الإذاعات:

إذاعة القاهرة في فلسطين

بدأت إذاعة فلسطين ببث برامجها على موجات إذاعة صوت العرب في ١٩ تشرين الأول ١٩٦٠، ويبلغ إجمالي إرسال إذاعة فلسطين في مطلع عامها الثاني ثلاث ساعات إلا الربع يومياً، وبلغت ساعات إرسالها العام ١٩٧٦ (١٣٣٢) ساعة، و(٣٧) دقيقة بمتوسط يومي ٣ ساعات و٣٩ دقيقة، وانخفض العام ١٩٧٧ إلى (١١١١ ساعة)، بمتوسط يومي (٣) ساعات و(٣) دقائق، ثم عاد ليرتفع العام ١٩٧٨ إلى (١٨١٨) ساعة بمتوسط يومي (٤) ساعات و(٥٨) دقيقة.[٣٩]

وبدأت هذه الإذاعة باسم (ركن فلسطين)، ثم تحولت إلى إذاعة فلسطين من القاهرة، وأشرفت عليها في البداية محمد عروق، ثم عادل القاضي، واهتمت بالتاريخ والتراث الفلسطيني، وكان لها صدى طيباً في نفوس الناس لتقديمها الأغاني الفلسطينية.[٤٠]

إذاعة فلسطين من دمشق

بدأت إذاعة دمشق في تخصيص حيز للإذاعة الفلسطينية في ١٥ آب ١٩٦٤، حيث قدم الشاعر يوسف الخطيب مدير عام إذاعة دمشق برنامجاً خاصاً، أطلق عليه اسم إذاعة فلسطين، ثم تطور البرنامج فاصبح (صوت فلسطين، صوت منظمة التحرير الفلسطينية) التي بدأت بثها في ١ آذار ١٩٦٥، وذلك تعبيراً عن حالة عدم الرضا إزاء الإذاعة التي تنطلق من القاهرة، وهو موقف سياسي له علاقة بموقف الحكم في سوريا -آنذاك- المعارض لرئاسة أحمد الشقيري، واستطاعت هذه الإذاعة توسيع نشاطها، حيث استقطبت مؤقتاً عدداً من العاملين في إذاعة (م. ت. ف.) بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، كما كان لها شأنها أثناء إقدام الحكومة المصرية على إغلاق إذاعة (م. ت. ف.) بسبب تباين المواقف السياسية.[٤١]

صوت فلسطين (صوت منظمة التحرير الفلسطينية)

افتتح الشقيري إذاعة المنظمة ١ آذار ١٩٦٥ من القاهرة، وحدد في كلمته إن الإذاعة تدعو أبناء الشعب الفلسطيني إلى تحقيق الشعارات الثلاثة للمنظمة (الوحدة الوطنية، والتعبئة القومية، والتحرير)، وكانت ساعات البث ثلاث ساعات منذ آذار ١٩٦٥، بين الساعة السادسة والنصف والتاسعة والنصف مساءً، ثم أضيف فترة أخرى إضافية صباحية بمدة ساعة واحدة بدءاً من تموز ١٩٦٥، ثم زيدت ساعتين اعتباراً من أول تشرين الأول ١٩٦٥، ليصبح إجمالي ساعات البث ٦ ساعات يومياً.[٤٢]

وعند انطلاق هذه الإذاعة على موجه الشرق الأوساط من القاهرة، تحول الكثير من المستمعين إليها حيث كانت فلسطينية خالصة، ومستقلة من حيث الإشراف والتنفيذ والإدارة، أما ساعات البث فكانت مستأجرة من الإذاعة المصرية، وتوقفت هذه الإذاعة في العام ١٩٧٥.[٤٣]

واتخذت البرامج الطابع التثقيفي لتطورات مسيرة القضية الفلسطينية، ومخاطبة أهالي المخيمات الفلسطينية، وبث برامج موجهة في النصف ساعة الأخيرة لإرسال الإذاعة في الفترة المسائية باللغة العبرية والإنجليزية.[٤٤]

أركان فلسطين

ويعني بها البرامج الخاصة بفلسطين المحدودة بنصف ساعة تقريباً في البرنامج العام في بعض الإذاعات العربية، ففي الكويت (ركن فلسطين)، وبدأ العام ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠، بإشراف مراقب الأركان بإذاعة الكويت وبمشاركة الفلسطينيين مثل خالد الحسن، وصلاح خلف، وقدمه مذيعون فلسطينيون منهم أحمد شعت، وهشام الدباغ.

وقدمت المملكة العربية السعودية (فدائيون)، وقدمه أحمد عبد الحليم الفلسطيني المقيم بالسعودية، كما قدمت ليبيا برنامج (صامدون)، وكان برنامجاً مدته نصف ساعة يلتزم بالمنهج السياسي الليبي اتجاه القضية الفلسطينية، ويقدمه فلسطينيون، وقدمت العراق ركناً في إذاعة بغداد، ثم تحولت إلى فرع لإذاعة صوت فلسطين، وصوت (م. ت. ف.) من بغداد، وكان لها شأن بارز في معارك أيلول ١٨٧٠، حيث كانت الإذاعة المركزية الناطقة بلسان الثورة الفلسطينية.[٤٥]

الإذاعة الفلسطينية

وتعرف بإذاعة (أبي زكي) مدتها خمس دقائق بالعربية، وخمس أخري بالعبرية، وهي إذاعة موجهة للأراضي المحتلة، وتحت إشراف مباشر لهيئة الاستعلامات المصرية، وبالتحديد عبد القادر حاتم الوزير السابق، وقد أكدت هذه الإذاعة مع تزايد حالة الصدمات مع العدو لتصل إلى ربع ساعة، إلا أنها عادت إلى التوقف بعد حزيران ١٩٦٧.[٤٦]

الإذاعة الفلسطينية منذ ١٩٦٨- ١٩٨٧

استمرت الإذاعة الفلسطينية في أداء دورها الإعلامي المتميز في الشتات، للتواصل مع فلسطين الداخل فيما بعد النكسة، فنشأت العديد من الإذاعات منها:

إذاعة العاصفة

قدم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر إذاعة العاصفة هدية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، وقد كانت تعبيراً عن تأييد الزعيم عبد الناصر المطلق للعمل الذي أثبت وجوده بعد هزيمة ١٩٦٧، وفي محاولة منه لاستقطاب هذا الفصيل الفدائي الذي يكن لهذا الزعيم كل التقدير والاحترام، وقد بدأت هذه الإذاعة ببث برامجها في أيار ١٩٦٨، وكانت ساعة واحدة، وكانت تقدم النداءات والفقرات، والكلمات السياسية حتى أغلقت في ٢٨ تموز ١٩٧٠.[٤٧]

إذاعة صوت فلسطين ... صوت الثور الفلسطينية

تعتبر هذه الإذاعة امتداداً لإذاعة منظمة التحرير الفلسطينية، والتغير الطفيف في الاسم يعود إلى ما بعد إغلاق إذاعة (م. ت. ف.) وإذاعة العاصفة في ٢٨ تموز ١٩٧٠ إثر معارضتها لمشروع روجرز، وبعد إعادة فتح الإذاعة سمح فقط بإذاعة واحدة، ولفترة مسائية فقط، وتولي مسؤوليتها السيد فؤاد ياسين بعد ضم العاملين في الإذاعتين إلى إدارة واحدة، وكان يعمل بها عاملون يمثلون اتجاهين: الأول يمثل (م. ت. ف.) باعتباره عاصر العمل منذ بدايته في إطار (م. ت. ف.)، والثاني يمثل جيل الثورة الفلسطينية الذي عمل في إذاعة العاصفة، ولكن تم إغلاق هذه الإذاعة في العام ١٩٧٥ لمهاجمتها اتفاقية سيناء وأعيد

فتحها بعد مذبحة تل الزعتر في حزيران ١٩٧٦، ثم إغلاقها نهائياً في ١٩ تشرين الأول ١٩٧٧، إثر إعلان الرئيس السادات عزمه على زيارة القدس، ثم انتقل معظم كادر الإذاعة إلى بيروت.

إذاعة زمزم

بدأت إذاعة زمزم بثها التجريبي من الأردن، في شباط ١٩٧٠، إلا أن البث بدأ في أعقاب افتتاح الإذاعة الفلسطينية في القاهرة في ٢٨ حزيران ١٩٧٠، وفي اليوم التالي ذكرت صحيفة "فتح" أن إذاعة صوت العاصفة انطلقت اعتباراً من الليلة الماضية من مكان ما دون أن تحدد طول الموجة، أو البلد الذي تبث منه، وحملت المحطة كوداً سرياً هو (زمزم ١٠٥)، وكانت تحت الأرض فوق قمة جبل الإشرافية، وكانت هذه الإذاعة ناطقة باسم الثورة الفلسطينية، ولم تكن تسمع في كافة الدول العربية لأن إمكانياتها ضعيفة، واستمر بثها ساعة واحدة يومياً من ٢٨ تموز حتى بدء أحداث أيلول ١٩٧٠، وتحرك أجهزتها إلى أحراش جرش في كانون الأول من العام نفسه، واستمرت هذه الإذاعة أشهراً قليلة من أوائل شباط حتى العام ١٩٧١، عندما خرجت قوات المقاومة من الأردن إلى لبنان.[٤٨]

إذاعة درعا

أهدت الصين الشعبية حركة "فتح" إذاعة من ثلاث محطات إرسال في آب ١٩٧٥، تم استخدامها لإقامة إذاعة درعا على الحدود اللبنانية السورية للتوجه إلى الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، والأردن والمخيمات في سوريا، ولبنان، وذلك على موجه متوسطة في ١٥ تشرين الثاني١٩٧٥، وكان للإذاعة قسم للاستماع لرصد إذاعات لندن وإسرائيل وعمان لتوضيح ما تقدمه هذه الإذاعات للمستمع العربي، والرد عليه، كما كان لها مراسل في بيروت، وقد تعرضت للتشويش عندما استخدمت إحدى موجات الإذاعة لبث أخبار تمس اتفاقية القاهرة بين المنظمة وحكومة لبنان، لإثارة الوقيعة بينهما.

وقد أدت هذه الإذاعة دوراً مهماً في بث النداءات والإشارات لكوادر المنظمة في الأرض المحتلة في أعقاب استشهاد كمال عدوان مسؤول هذه الكوادر آنذاك.[٤٩]

إذاعة بيروت

بدأت إذاعة صوت فلسطين (صوت الثورة الفلسطينية) في البث من بيروت في ٩ تشرين الثاني ١٩٧٥ كإذاعة رسمية للمنظمة، بعد إغلاق السلطات المصرية لإذاعة المنظمة بعد اتفاق فصل القوات الثاني بين مصر وإسرائيل في أيلول ١٩٧٥، وكانت تغطي فلسطين، والأردن، وسوريا، ولبنان، وشمال مصر، وبدأت بالبث لمدة ساعتين من الساعة السابعة مساء، وبعد ذلك تبث ساعة أخرى في الفترة الصباحية، امتدت مع تطور أحداث الحرب الأهلية في لبنان، والاعتداءات الإسرائيلية عليه ليتضاعف زمن الإرسال إلى إحدى عشرة ساعة في اليوم الواحد، وقد أغلقت في ٢١ شباط ١٩٧٧، ونجحت هذه الإذاعة في أن تربط نفسها بالجماهير الفلسطينية بالداخل خلال انتفاضتهم في الأعوام، ٧٩، و٨٠. و٨١، وركزت جهدها الأساسي على البرامج الموجهة إلى الأرض المحتلة، وحرصت الإذاعة على عزل نفسها عن الأحداث في الساحة اللبنانية، وكانت تبث باللغات العربية والإنجليزية، والفرنسية، وتوقفت الإذاعة أثناء اجتياح إسرائيل للبنان العام ١٩٨٢.

ومن البرامج التي كانت تذيعها إذاعة بيروت (بلادنا فلسطين) والتي تتناول القرى الفلسطينية المدمرة العام ١٩٤٨،(وأغاني للثورة والوطن) وهو برنامج شعري، وثقافة، وفن، وأدب، والأخبار والتعليق السياسي، ومع الجمهور، وهو برنامج فيه لقاءات حية مع الفلسطينيين، وثمة برنامج سياسي يومي وبرنامج صفحات من التاريخ الفلسطيني، وبرنامج كلمات إلى فلسطين، وبرنامج الوطن و الشعب.[٥٠]

الإذاعة الفلسطينية منذ ١٩٨٧- ١٩٩٣

إذاعة صوت القدس:

نشأت فكرة إنشاء إذاعة للجبهة الشعبية منذ الوجود الفلسطيني في بيروت، وفي أول كانون الثاني، مع اندلاع الانتفاضة، بهدف التواصل مع الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة وخارجها، ومع القواعد في المخيمات والقرى، والمدن الفلسطينية.

وبدأت الإذاعة برامجها بإشارة مميزة (هنا إذاعة القدس العربية الفلسطينية لتحرير الأرض والإنسان)، وتبث الإذاعة من دمشق من الساعة ٨ صباحاً وحتى الثانية ظهراً، ثم من الرابعة ظهراً حتى السابعة مساءً بإجمالي ٩ ساعات، وقد يصل الإرسال اليومي ما بين ١٢-١٥ ساعة يومياً.[٥١]

وتتميز إذاعة القدس بتغطية الأرض المحتلة بإرسال مسموع واضح، وكانت تبث برامج مثل:

الأغاني الوطنية، والنداءات، والتقارير عن الانتفاضة، ونداءات للقيام بالمظاهرات والإضرابات.

وحاولت السلطات الإسرائيلية إغلاق هذه الإذاعة، وطالبت سوريا بذلك في مؤتمر مدريد ١٩٩٢، واتهمتها بعدم الرغبة في السلام لسماحها لهذه الإذاعة بالعمل في أراضيها، ما يدلل على نجاح الفلسطينيين في استخدام الإعلام لخدمة الانتفاضة، وتعجيز سلطات الاحتلال، كما يدلل على ذلك ما قاله دبلوماسي أمريكي "إنه للمرة الأولي في تاريخها الذي يمتد ٢٤ عاماً وجدت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها تكسب حرباً إعلامية من غير الممكن أن يشوبها أي خطأ، في حين وجدت إسرائيل كل ما فعلته لمواجهة أحداث الأراضي المحتلة قد فشل، وتغيرت قواعد اللعبة، وكسب الفلسطينيون، وساعدت هذه الإذاعة في مهامها وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا"، ما جعل الإعلام الفلسطيني في هذه المرحلة الحاسمة يتجنب الأسلوب الفئوي، وهو ما دعم الوحدة بين الفصائل الفلسطينية المختلفة".[٥٢]

الإذاعة الفلسطينية منذ ١٩٩٣ حتى الآن (عهد السلطة الفلسطينية):

تم الاتفاق مع السلطة الإسرائيلية على إقامة الإذاعة الفلسطينية والاتفاق على خطوط عملها، حيث بدأت الإذاعة الفلسطينية بثها التجريبي في ٢/٧/ ١٩٩٤. وكانت بخطاب للرئيس ياسر عرفات، لكن البث الرسمي بدأ في تشرين الأول ١٩٩٤.

عملت الإذاعة في البداية من استوديوهات أنشئت في أريحا، وبعد أن تسلمت السلطة الفلسطينية مبني الإرسال التاريخي في رام الله، وكان ذلك في ٢٤/ ١٢/١٩٩٥، بدأت الإذاعة الفلسطينية تبث منذ هذا التاريخ على موجه فلسطين

القديمة وهي (AM) موجة متوسطة على تردد ٦٧٥ ميغا هيرتز، كذلك الأمر وبعد العقبات التي حالت دون وصول هذا البث إلى قطاع غزة، وعدم سماح إسرائيل بتواصل الإذاعة تواصلاً جغرافياً، فإن القائمين على الإذاعة قالوا إنه لا يمكن أن تكون الضفة مستمتعة بالإرسال وقطاع غزة محروم منها، ولذلك تم الاتفاق على ميلاد إذاعة جديدة سميت إذاعة فلسطين – البرنامج الثاني في كانون الثاني ٢٠٠٠ على موجة (FM 102) ميغا هيرتز تغطي قطاع غزة بالإضافة إلى أنها تغطي بعض المناطق القريبة من الضفة الغربية، علماً بأن هذه الإذاعة أقامت لنفسها استوديوهات في شرق غزة في تل المنطار.[٥٣]

وهذه إشارة إلى الإذاعات الحكومية التي اقتحمت في عهد السلطة الفلسطينية، ومنها:

إذاعة صوت فلسطين:

بدأت إذاعات فلسطين بالبث من محطة تقوية في رام لله، وقد بدأ البث في المرحلة الأولي بست ساعات في اليوم، ثم ازداد ليبلغ تسع ساعات ونصف في تشرين الثاني ١٩٩٤، وفي بداية العام ١٩٩٥ أصبح البث ثماني ساعات في اليوم، بدءاً من السادسة والنصف صباحاً، ثم نشرة الأخبار الأولى في السابعة صباحاً، وكان الجميع يعمل بدون أن يتقاضى أي مرتب، وكان المال الموجود لا يغطي النفقات الجارية، ويعمل في صوت فلسطين ١٣٣ موظفاً، وبدأوا في تقاضى رواتبهم تدريجياً مع استقرار الوضع المادي للإذاعة. ويغطي صوت فلسطين الآن جميع مناطق الضفة الغربية، وقطاع غزة، حيث إنه في ٢ تموز ١٩٩٧ بدأ إرساله من جنين أيضاً، ومن كفر راعي قرب طول كرم في ١٥ تموز ١٩٧٧.[٥٤]

وكغيرها من محطات الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية، توقفت هذه الإذاعة عن بث البرامج الممنوعة، والأغاني في بداية انتفاضة الأقصى لتقتصر على البرامج الإخبارية، ونشرات الأخبار، والبرامج السياسية، والأغاني الوطنية، ولكنها بدأت تعود تدريجياً لهذا النوع من البرامج، ولكن بشكل أكثر التزاما. وقد دمرت قوات الاحتلال المبني الرئيسي للإذاعة في ١٩ نيسان ٢٠٠٢ وحولته إلى أنقاض.

إذاعة صوت فلسطين البرنامج الثاني:

بدأت هذه الإذاعة بثها في كانون الثاني من العام ٢٠٠٠ على موجه FM.[٥٥] فيما بدأت بثها الرئيسي في ٣٠ آذار ٢٠٠٠، الذي صادف يوم الأرض، وبدأت هذه الإذاعة أثناء فترة بثها التجريبي ببث الأغاني طيلة اليوم، إلا أنها بدأت بعد ذلك بتقديم البرامج المتنوعة الإخبارية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وتبث على مدار ١٨ ساعة يومياً، ومن أبرز برامجها في الفترة التي سبقت انتفاضة الأقصى:

برنامج "كي لا تنسى"؛ وهو برنامج يتناول الحديث عن القرى المهجرة العام ١٩٤٨، ونافذة على التراث، وبرنامج عالم الأسرة، والصحة والحياة، ومواهب شابة، وبرنامج أشجان القلوب، وبرنامج كلمة وغنوة، وبرنامج رحلة ألو، وأبراج ألفين، ولولو وعصفور برنامج خاص بالأطفال، وبرنامج اثنين على العشاء، وبرنامج تقاسيم، وبرنامج سنابل الغد قطرة ندى، وضيف وقضية، والبرنامج العبري الذي يستمر نصف ساعة، ويتضمن أخباراً ولقاءات ومعلومات عن قرى، ومدن مدمرة، ومهجرة، والبرنامج الإنجليزي، وفقرة خاصة بأم كلثوم، بالإضافة للبرامج الإخبارية والسياسية، والبرنامج اليومي الذي لم يتوقف حتى أثناء الانتفاضة صباح كل يوم جديد، الذي يقدمه محمد البان، إلا أن معظم هذه البرامج توقفت بسبب الانتفاضة.

ويغطي إرسال هذه المحطة الأراضي الفلسطينية فقط، ومقرها الرئيس غزة، منطقة المنطار، ولقد تعرضت للقصف مرات عدة أثناء انتفاضة الأقصى في محاولة إسرائيلية لتدمير منبر إعلامي فلسطيني، إلا أنه تم تدميرها نهائياً في ٢١ شباط ٢٠٠٢، وانطلقت إلى البث من المبنى الرئيسي لهيئة الإذاعة والتلفزيون في منطقة تل الهوى في مدينة غزة، واستهدفت أربعة صواريخ مقر صوت فلسطين البرنامج الثاني بعد مضى أربعة أشهر من الانتفاضة دمرت المبنى بالكامل، وقد دمرت نتيجة للقصف ٨٠٪ من تقنيات الإذاعة وتجهيزاتها.[٥٦]

الإذاعات الخاصة في فلسطين

ماهية الإذاعة الخاصة:

هي إذاعة أنشئت بجهود فردية عن طريق مؤسسات أهلية تعمل بطريقة بعيدة عن الإطار الرسمي للإذاعات الرسمية، وتحاول دائماً أن تتميز في برامجها ومضامينها عن الإذاعات الرسمية التقليدية، وتعتمد في مصدرها إما على الإعلان وإما عن طريق الجهة التابعة لها أو الممول نفسه، وعادة تشرف عليها وعلى تمويلها مؤسسات أو شخصيات ذات مستوى مالي محترم.[٥٧]

مقومات الإذاعات الخاصة:

تعتبر الإذاعات الخاصة نقلة نوعية في الإعلام الفلسطيني، التي تركت بصمتها على خارطة الإعلام الفلسطيني والمستمع الفلسطيني، حيث بدأت هذه الإذاعات بإمكانيات ضعيفة وبسيطة جداً، ثم بدأت بعد ذلك بتكوين شخصية مميزة ومهمة لها.[٥٨]

وتعتبر فترة إنشاء الإذاعات الخاصة قصيرة ومن الصعب تقييمها بشكل كامل وشامل. وعلى الرغم من ذلك يمكن القول إن هذه الإذاعات غطت جانب النقص الموجود في وسائل الإعلام الرسمية، وبخاصة في المجال البرامجي والترفيهي، وعلاقة المواطن بالسلطة المحلية، فقد تجاوبت الإذاعات الخاصة مع المشاكل التي يعاني منها المجتمع المحلي، وهذه علاقة جيدة تبنتها وطورتها الإذاعات الخاصة، حيث تشكل مرجعاً للمعرفة والترفيه للشباب الفلسطيني الذي هو بحاجة ماسة إلى ذلك.[٥٩]

أسباب انتشار الإذاعات الخاصة في فلسطين:

يحتاج المواطن إلى الإذاعات المحلية لسد حاجته إلى معرفة ما يجري في بلاده من تطورات الأحداث، كما تكون وسيلة للترفيه والتسلية، وأيضاً تأخذ بعداً تجارياً للتعرف على الخدمات الاقتصادية والتجارية في البلاد، وربما كان تركيز العمل السياسي والأمني في غزة من قبل السلطة، فتح مجالاً لانتشارها في الضفة الغربية بشكل واضح، ورغبة من السلطة بعدم وجود تعددية إعلامية داخل غزة.

أما في قطاع غزة، فلم تجد الإذاعات طريقها في الانتشار في الدرجة التي وجدت في الضفة الغربية، فقد بدأت بالانتشار في الآونة الأخيرة، وهذا شيء يبشر بمستقبل واعد في غزة.[٦٠]

الإذاعات الخاصة ودورها في انتفاضة الأقصى:

لعبت الإذاعة الخاصة دوراً كبيراً في القيام بنشاطها الإعلامي في مواجهة المجازر الإسرائيلية في قطاع غزة والضفة الغربية، حيث كانت السباقة والأفضل في تغطية التصدي البطولي للشعب الفلسطيني للاحتلال، فقد غطت أحداث الانتفاضة وبشكل مباشر لمناطق الأحداث وتجاوزت بذلك وسائل الإعلام الحكومية، وعمدت الحكومة الإسرائيلية في الضفة الغربية باتجاه تدمير وتخريب المراكز الإعلامية، ومنها الإذاعة الفلسطينية والإذاعات الخاصة.[٦١]

ويرى الباحث على أن هذا دليل واضح على خشية الجانب الإسرائيلي من الدور الكبير الذي تقوم به هذه الإذاعات في عملية التصدي للاحتلال، فالقوات الإسرائيلية تريد أن تنزع من الجانب الفلسطيني قدرته الإعلامية على فضح مجريات الحملات العسكرية الإسرائيلية من تجريف وتدمير واغتيال. وقد قامت إسرائيل بالاعتداء على أماكن هذه الإذاعات، وكان آخر قصف استهدف إذاعة الأقصى وإذاعة صوت الشباب مخلفاً الدمار والخراب في أجهزة ومعدات الإذاعة، وهذا لا يلغي الدور الذي قامت به من تسجيل لأحداث الانتفاضة والسيطرة على المستمع الفلسطيني، لأنها نجحت من التركيز على القضايا المحلية الدقيقة.

تطوير الإذاعات الخاصة:

إذا أرادت الإذاعات الخاصة أن تطور من نفسها فعليها بالاستقلالية من حيث التمويل، ومن حيث الارتكاز على خبرات حقيقية، ووضع الخطط والبرامج المدروسة والواقعية، بحيث يمكن تنفيذها والاعتماد على القدرات المحلية والخبرات الفنية والإعلامية. ويقع على السلطة الوطنية دور كبير في وضع القوانين التي تسهل الاستثمار في هذا المجال، وتسهيل مرور وجلب الأجهزة الفنية، وتسهيل عملية إعادة تدريب القدرات الفنية على الأجهزة الحديثة، وإرسال بعثات تدريب للصحافيين والإعلاميين.[٦٢]

المستمع الفلسطيني وهذه الإذاعات:

أثرت هذه الإذاعات على المستمع الفلسطيني، وتركت في داخله صدى كبيراً، وذلك لأسباب عدة:

- هذه الإذاعات تسعى لتلبي كافة اهتمامات الأسرة الفلسطينية، وذلك لتنوع مادتها (الثقافية، والدينية، والرياضية، والفنية).
- مواكبة الإذاعات الخاصة لكل ما هو جديد ومتطور في العالم.
- زيادة التواصل بين المدن الفلسطينية، وكسر شوكة الحواجز الإسرائيلية التي وضعتها بين المدن.[٦٣]

أولاً – إذاعة صوت الحرية (FM. 104.5) – غزة

التأسيس:[٦٤]

تأسست إذاعة صوت الحرية في مدينة غزة بجهود مجموعة من الإعلاميين والصحافيين، وجاءت انطلاقتها عبر الأثير الفلسطيني بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٧. وتم تسجيلها كشركة مساهمة لدى كافة الجهات الفلسطينية، وهي مؤسسة ذات شخصية اعتبارية مستقلة ملتزمة بالثوابت الوطنية.

التمويل:

تمويل الإذاعة هو استثمار شخصي للمساهمين في الشركة، ولا تلقى تمويلاً من أية جهة كانت، سواء حزبية أم رسمية، وتعتمد على تمويلها الذاتي الذي ينحصر في عائدات الإعلان والأعمال الخدمية التي تقدمها الإذاعة للجمهور الفلسطيني فقط لا غير.

الفلسفة:

تستند فلسفة العمل في المؤسسة إلى الإيمان بحق الجمهور الفلسطيني في الاطلاع على المعلومات والحقائق التي تهمه في مختلف مجالات الحياة، وكذلك الحق في حرية الرأي والتعبير قولاً وممارسة في إطار سيادة القانون.

برامج الإذاعة:

تقدم الإذاعة مجموعة من البرامج المختلفة لتتناسب مع أذواق واهتمامات الجمهور المختلفة في العمر والثقافة والجنس، فالإذاعة تعمل من خلال هذه البرامج على تحقيق الأهداف العامة للإعلام، فالخطة الإعلامية للإذاعة تتضمن برامج عديدة يتم تطويرها كل دورة برامجية، فهناك برامج إخبارية تحليلية حوارية، وبرامج ترفيهية، وبرامج ثقافية، وبرامج اجتماعية، وبرامج اقتصادية، وبرامج تربوية وأسرية، وبرامج نسوية، وبرامج دينية، وبرامج رياضية.

الأهداف:[٦٥]

تسعى الأطقم العاملة في الإذاعة إلى تقديم أفضل الخدمات المهنية والإخبارية والإعلامية للجمهور مع الحفاظ على الاستقلالية التامة في التفكير والتخطيط والأداء، وتسعى الإذاعة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي:

- الدفاع الدائم عن الحريات العامة وفي مقدمتها حرية الرأي والتعبير.
- الالتزام بأعلى درجات المصداقية والأمانة المهنية في نقل المعلومات.
- بناء علاقة متينة بين الإذاعة وجمهور المستمعين قائمة على الثقة المتبادلة والمشاركة الإيجابية في عملية البناء الوطني.
- توفير فرص تدريب وتأهيل للخريجين من أقسام الصحافة والإعلام في الجامعات المحلية.
- استيعاب الطاقات والكفاءات المميزة عبر إيجاد فرص عمل حقيقة في مجالات التخصص داخل المؤسسة.
- فتح المجال أمام الإبداعات والمواهب المختلفة في المجتمع.
- التنوير الثقافي والحضاري وتعزيز القيم الإيجابية ومحاربة كافة الأشكال السلبية في الحياة الفلسطينية.
- الإسهام في بناء مجتمع مدني ديمقراطي في إطار تجسيد وتكريس سيادة القانون كجزء من النضال الوطني الفلسطيني.

أقسام الإذاعة:[٦٦]

قسم الأخبار: ويتضمن طاقم المذيعين والمحررين وطاقم الرصد والمتابعة.

قسم إعداد البرامج: ويتضمن أطقم إعداد البرامج المختلفة التي تقدمها الإذاعة، بالإضافة إلى مقدمي البرامج.

وفيما يلي بعض من برامج إذاعة صوت الحرية:

السبت

اسم البرنامج	توقيت البث	اسم البرنامج	توقيت البث
نشرة أخبار	6:30	الحصاد الإسرائيلي	7:35
أغان صباحية	7:00	دعوة إذاعية	8:35
يسعد صباحك (كلام ومعنى)	7:30	موجز الأنباء	9:30
هذا الصباح	9:30	عالم المساء	10:30
نهان وأغان	10:00	بحر الإنسانية	11:00
	11:00		11:30
منوعات غنائية	12:00	موجز الأنباء	12:30
موجز الأنباء	12:30	أغاني الطرب الأصيل	12:35
منوعات غنائية	12:35	بعد الأنباء	1:30
الجولة الإخبارية	1:30	أغاني الطرب الأصيل	1:45
حدث في مثل هذا اليوم	2:00	موجز الأنباء	2:30
منوعات غنائية	2:05	أغاني الطرب الأصيل	2:35
موجز الأنباء	3:30	موجز الأنباء	3:30
أغان شعبية	3:35	ابتهالات	3:35
نشرة الأخبار المحلية	4:30	آذان الفجر	
طبيبك على الهوا	5:00	قرآن كريم	
عشرة رياضية	6:00	أذكار الصباح	5:00
فقرة شعر	6:15	موجز الأنباء	5:30
فقرة كوكب الشرق	6:30	موسيقى كلاسيك	5:35
موجز الأنباء	7:30	فيروزيات	6:00

قسم الهندسة الإذاعية: ويتضمن العاملين في الأستوديو من منفذين وفنيين ومخرجين.

قسم التسجيل والمونتاج: ويعمل هذا القسم على تسجيل وتحرير المادة الإذاعية (برامج، وتغطيات إخبارية،...) التي تذاع عبر الأثير.

قسم الأرشيف والمكتبة الإذاعية: ويحتوي هذا القسم على المواد الإذاعية التي تم تسجيلها وتحريرها، وذلك للرجوع إليها وقت الحاجة.

قسم الإعلان والتسويق: والقسم الخاص بالتسويق وإعداد المواد الإعلانية التي يتم إذاعتها عبر الأثير.

الإنجازات:[٢٧]

تمكنت الإذاعة في فترة زمنية قياسية أن تأخذ مكانها المتقدم بين وسائل الإعلام الفلسطينية، في ظل ظروف مصيرية وخطيرة يعيشها الشعب الفلسطيني، الذي منح لهذا المنبر الإعلامي المتميز الثقة الغالية، والتفاعل الإيجابي المسؤول مع ما يقدم من خدمات إعلامية على مختلف الأصعدة الخدمية، والإخبارية، والإعلانية، حتى وصل صوت الحرية إلى كل بيت، وقد ثبت ذلك بالدليل القاطع عبر الاستطلاع الذي أجراه مركز القدس للاتصالات في منتصف العام ٢٠٠٣، وحصلت الإذاعة على المرتبة الأولى بفارق كبير عن وسائل الإعلام الأخرى في أوساط الجمهور من خلال استطلاع أكاديمي مهني أجراه مركز الدراسات والأبحاث في جامعة الأقصى خلال نيسان من العام ٢٠٠٤، علماً بأنه تم أيضاً تطوير أجهزة البث الإذاعي وتوسيع نطاق التغطية الإعلامية لتشمل فلسطين بالكامل وبعض المناطق في دول الجوار العربي.

ثانيا - إذاعة صوت الشباب (FM. 105)

بدأت الإذاعة بالبث التجريبي في ٢٠٠٣/١٠/٢٣، وانطلقت بالبث الرسمي في ٢٠٠٤/١/١ على تردد (FM. 105)، بقوة جهاز الإرسال: ٣ كيلو واط، حيث نشأت الإذاعة لحاجة المجتمع الفلسطيني، وبخاصة فئة الشباب لإذاعة ملتزمة متخصصة في شؤون الشباب لمعالجة قضاياهم ومشاكلهم بأشكال مختلفة،

حيث تعود ملكية الإذاعة إلى السيد عبد الحكيم عوض، وتعمل إذاعة صوت الشباب على مدار ٢٤ ساعة لتغطي جميع أنحاء قطاع غزة، وغالبية أنحاء الضفة الغربية، إضافة إلى أجزاء من أراضي ٤٨، وأيضاً ٣٠ كيلومتراً داخل الحدود المصرية.[٦٨]

وتبث إذاعة صوت الشباب من مدينة غزة، وتحديداً من برج فلسطين، الطابق ١٤ على مساحة ٣٠٠ متر مربع، ويبلغ عدد العاملين في المحطة ٣٥ موظفاً وموظفة، وتتكون المحطة من أستوديو البث المباشر، وأستوديو التسجيل والمونتاج، مجهزات بأحدث المعدات والتقنيات الهندسية المتخصصة.[٦٩]

وتتكون غرفة الإرسال من: مكتب المدير العام عبد الحكيم عوض، ومكتب مدير البرامج، جهاد أبو صليب، ومكتب المدير الإداري، سعيد الحمري، وأقسام العلاقات العامة، والإعلانات، الهندسة، والمونتاج، والأخبار والتحرير، والمراسلين، والرصد والمتابعة، والإعداد والإخراج، والتدقيق اللغوي، والمذيعين، والحسابات.

وكذلك يوجد (الشؤون القانونية، والسكرتارية والاستعلامات، والأرشيف والوثائق، والتنسيق، والمكتبة الموسيقية، ومركز خدمة المستمعين.[٧٠]

وتعتمد إذاعة صوت الشباب في سياستها الحيادية والموضوعية والشمولية، وتقديم المادة الإذاعية الهادفة والصادقة والغنية بأسلوب جديد شيق وجذاب، مع الاعتماد على أسلوب "ما قل ودل"، حيث تهدف الإذاعة إلى تعزيز وإثراء دور الإذاعات المحلية عبر المادة الإعلامية الهادفة، والمساهمة في إشباع حاجة المستمع إلى المعرفة والتسلية والترفيه والمساهمة في حل مشاكله، ووضع المستمعين في كل ما يدور حوله من أحداث ومجريات على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، مع تنوع البرامج المبثة منها "السياسية، والدينية، والفنية، والإخبارية، والترفيهية، والإسرائيلية، الاجتماعية، الاقتصادية، الرياضية، التاريخية، الثقافية، برامج خاصة بالأطفال، والمرأة وبرامج خاصة بالشباب، برامج تكنولوجيا المعلومات برامج إرشادية، مساحة للإعلانات التجارية[٧١].

البرامج التي تبث عبر أثير صوت الشباب:[٧٢]

الرقم	اسم البرنامج	نوع البرنامج	مدة عرض البرنامج في الحلقة الواحدة	يوم البث	توقيت البث
1	نهاركم سعيد	صباحي منوع	2:30	يومياً	8:30
2	صرح مصدر مسؤول	سياسي	1:00	السبت	5:05
3	صوت الشباب	اجتماعي شبابي	1:00	الأحد	5:05
4	قضية من الدرجة الأولى	سياسي اجتماعي	1:00	الاثنين	5:05
5	درع الوطن	سياسي اجتماعي	1:00	الثلاثاء	5:05
6	غذاؤك دواؤك	صحي	1:00	الأربعاء	5:05
7	شو الحل	مسابقات	1:30	الأحد	7:05
8	أحلى نغم	غنائي	1:30	الثلاثاء	7:05
9	لحظة مواجهة	اجتماعي سياسي	1:00	الخميس	5:05
10	نجوم الشباب	غنائي مسابقات	1:30	الأربعاء	7:05
11	جواب نهائي	مسابقات	1:30	الخميس	9:30
12	همسات دافئة	شعري أدبي	1:30	يومان	9:30
13	كلمات	شعري	1:30	الاثنين	9:30
14	أيام زمان	تراثي	1:30	الأربعاء	9:30
15	شوق الصحاري	شعري	1:30	الخميس	9:30
16	بلا قيود	اجتماعي سياسي منوع	2:45	السبت والاثنين والخميس	11:15
17	من الكتاب والسنة	ديني	1:30	الجمعة	4:30
18	المجلة الإذاعية	ثقافي اجتماعي منوع	2:45	الجمعة	6:15
19	الإذاعي الصغير	برنامج أطفال	1:30	الجمعة	2:30
20	طريق النجاح	تعليمي	1:00	يومياً	3:03

الخطة المستقبلية لعمل المحطة: تقوية جهاز الإرسال ومساحة البث عبر جهاز إرسال بقوة ٥كيلو واط، مع توسيع وتطوير الدوائر والأقسام المذكورة.

ثالثاً – صوت الأقصى: (FM. 91)

نشأت إذاعة صوت الأقصى بعد أن كانت فكرة وجود إعلام إسلامي متخصص حلماً يراود جميع أبناء الشعب الفلسطيني، حيث كانت فكرة الإذاعات فكرة عامة، والكل يتحدث عنها، وهذه الفكرة كانت بحاجة لمن يجعلها واقعاً حياً، وبعد الازدياد الملحوظ للإذاعات في محافظة غزة أصبح من الضروري توحيد الجهود والأفكار المتناثرة لتسير في اتجاه إنشاء إذاعة إسلامية متخصصة تخاطب جميع أبناء الشعب دون تحيز لأحد. ومن تم بدأ العمل المتصل ليل نهار من أجل إنجاز هذا المشروع وخلال شهر واحد تم تجهيز المكان، والأجهزة بشكل كامل وفق أفضل التقنيات الحديثة. وفي ١٠ ربيع آخر ١٤٢٤هـ، ١٤/ ٢٠٠٣/٦، وبعد أن تم الاتفاق على الاتفاق على إطلاق اسم "صوت الأقصى" على الإذاعة، وبخاصة أنه اسم يلقى قبولاً واسعاً لدى أبناء الشعب الفلسطيني، ثم بالفعل البث.[٧٣]

وبعد ذلك بدأ بتجهيز الإذاعة، حيث تم تجهيز غرفة البث والأثاث المكتبي والأجهزة الكهربائية والإلكترونية اللازمة لعمل الإذاعة، كما تم تشكيل مجلس إدارة الإذاعة الذي قام بمباشرة مهامه في إنجاز ما تتطلبه حاجة الإذاعة من عاملين، واحتياجات مختلفة، حيث تم إعداد لجنة مقابلات بشكل منهجي ومتخصص لاستيعاب العاملين في الإذاعة، وبالفعل تم توظيف الأخوة الذين اجتازوا هذه المقابلات بنجاح، وفي ذلك الحين وصل جهاز البث الذي يغطي قطاع غزة بشكل جيد نوعاً ما، وكنا مستعدين للبث في يوم ١٤/ربيع آخر ١٤٢٤هـ، ١٤/ ٢٠٠٣/٦، وانطلق البث يصرح بآيات من كتاب الله عز وجل، وعندها سجدنا سجود شكر لله على هذا التوفيق.[٧٤]

تعريف بإذاعة صوت الأقصى:[٧٥]

إذاعة صوت الأقصى إذاعة إسلامية جماهيرية لكل أبناء الشعب الفلسطيني تهتم بقضايا الأمة الإسلامية والشعب بشكل خاص، وهي ليست قاصرة على لون معين، فهي إذاعة دينية وإخبارية، وسياسية، واجتماعية، وتربوية، وثقافية... الخ.

السياسة العامة لصوت الأقصى:

- تلتزم إذاعة الأقصى بالمنهج الإسلامي عقيدة وشريعة وعبادة وسياسة ومنهج وحياة.
- تعتمد إذاعة الأقصى المصطلحات السياسية التي تبرز عقيدة الأمة وقضاياها، وأهمها قضية فلسطين والتزام شريعتها في كل القضايا.
- تعمل إذاعة صوت الأقصى على تقريب وجهات نظر العاملين في القضايا الإسلامية والقضية الفلسطينية.
- تعتمد صوت الأقصى الأمانة الإعلامية، والصراحة، والجرأة في نقل الأخبار.
- تحاول إذاعة الأقصى التزام اللغة العربية الفصحى كوسيلة تخاطب.
- تركز على المفاهيم الإسلامية، التي يجب تجليتها وحمايتها وتعميقها في المجال الفكري والثقافي والاجتماعي.
- تركز على تطوير الأفكار والممارسات فيما يتصل بالعلاقات السياسية المحلية والعالمية لتتخطى الحصار الخارجي وتحقيقاً لعالمية الإعلام الإسلامي.

أهداف الإذاعة:[٧٦]

- الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونشر مبادئ الدين.
- الإعلام والأخبار وإيصال الرسالة الإعلامية الصحيحة للجمهور.
- التثقيف العام الملتزم بروح الشريعة الإسلامية.
- التوجيه والإرشاد التربوي للأسرة والمجتمع.
- مساندة التعليم الفلسطيني بكل مراحله وتوسيع آفاقه.
- نشر الفكر والوعي الإسلامي بين أفراد الأمة والشعب الفلسطيني خاصة.
- نشر المصطلحات السياسية والإسلامية.
- التقريب بين وجهات النظر وبيان أهمية الشورى في الإسلام.
- الإعلان الإذاعي.
- تنمية الانتماء الوطني لدى أبناء الشعب الفلسطيني.

كما توجد هيكلية إدارية لإذاعة صوت الأقصى.[٧٧]

أقسام الإذاعة:[٧٨]

- قسم البرامج وينقسم إلى قسمين: أ. قسم معدي البرامج. ب. قسم المذيعين ومدققي اللغة.
- قسم الأخبار: وينقسم إلى قسمين أ. التحرير. ب. الإعداد وينقسم هذا القسم إلى ثلاثة أقسام.
- المراسلون الذين يغطون محافظات غزة كافة.
- المصادر الأخرى.
- الطابعون.
- قسم الهندسة الإذاعية.
- قسم البرمجة والحاسوب.
- قسم الإخراج.
- العلاقة العامة والتوثيق.
- قسم الإعلانات.
- قسم النشيد وضبط الإيقاع.

محاور البرامج في إذاعة صوت الأقصى:

- المحور الإسلامي الشرعي.
- المحور الاجتماعي.
- المحور الخاص بفئة الشباب.
- محور شؤون المرأة المسلمة.
- المحور التربوي والسلوكي.
- المحور العلمي.
- المحور الصحي.
- المحور الرياضي.

طموحات وآمال:

تعكفُ إذاعة صوت الأقصى الآن على إعداد البرامج التي تتناول باقي الجوانب التي تهم المجتمع الفلسطيني كالبرامج الثقافية والترفيهية بالأطفال، وكذلك البرامج التاريخية، والبرامج المتعلقة بنبض الشارع الفلسطيني ... الخ من الجوانب التي ستسعى الإذاعة لتغطيتها.

وبعد أن قام الطالب بجمع المعلومات عن إذاعة صوت الأقصى، فقد قامت المروحيات الإسرائيلية بقصف هذه الإذاعة بصاروخين، ما أدى إلى تدمير الإذاعة، وتوقف الإذاعة عن بث برامجها وأخبارها.

ويأتي هذا الاستهداف من قبل قوات الاحتلال في محاولة لإخماد الرأي والكلمة الإعلامية الفلسطينية الصادقة، لكن إذاعة الأقصى عادت بعد شهرين ونهضت كطائر الفينيق لترسل بثها من جديد، حيث يقتصر الآن برامج إذاعة صوت الأقصى على الأناشيد الإسلامية وقراءة القرآن الكريم، ونشرات إخبارية محلية.[٧٩]

رابعا - إذاعة صوت عمال فلسطين:[٨٠]

تم افتتاح إذاعة صوت عمال فلسطين في ٢٠٠٢/٥/٦، التي تبث على الموجة (FM. 95.2) ميغا هيرتز، حيث انطلقت فكرة إنشاء الإذاعة العمالية المتخصصة الأولى في فلسطين من حاجة العامل الفلسطيني بشكل خاص، والمواطن بشكل عام، وبخاصة في ظل اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة، وقد بدأ الافتتاح ببث حي ومباشر ببيان عمالي، وبدأ البث من الساعة الثامنة صباحاً وحتى العاشرة مساءً، ثم من الساعة السابعة وحتى الساعة الحادية عشرة، والآن تبث من السادسة صباحاً وحتى الحادية عشرة مساءً، وفي وضع الطوارئ يستمر البث ٢٤ ساعة.

وتسعى إذاعة صوت عمال فلسطين إلى تحقيق عدد من الأهداف، وهي:

- توعية العمال بحقوقهم وواجباتهم اتجاه عملهم.
- تعزيز صمودهم في وجه سياسات الاحتلال التي تستهدفهم وتحاول العبث برزقهم.

- إيصال صوت العمال لكافة المعنيين والمسؤولين.
- إيجاد علاقة حميمة بين العامل والاتحاد والنقابات العمالية.
- العمل على حل مشاكل العمال.
- توعية العامل والمواطن في المجالات كافة.
- إضفاء نوع من الترفيه والارتياح على نفس العامل في أثناء أدائه عمله.

البرامج التي تبث عبر أثير صوت عمال فلسطين:[٨١]

تبث الإذاعة برامج مختلفة ما بين سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية، وشبابية، وترفيهية، وثقافية، وبيئية، وغيرها.

- برامج سياسية: ملفات ساخنة؛ برنامج سياسي يهتم بآخر التطورات على الساحة الفلسطينية – حوار الساعة، والموسوعة السياسية، ومقالات تحت المجهر.
- برامج ثقافية: مثل حوار في الثقافة – واتصل فينا واكسب مع كنوز المعرفة – والخالدون – ونار الحكاية، والقدس مدينة السماء.
- برامج اجتماعية: محطات نسائية – سوى سوى أطفال على الهوا – من أجل أسرانا – رأيك بهمنا – مقامات حطينية.
- برامج اقتصادية عمالية: من العمال – الصحة والسلامة المهنية – إرشادات قانونية – النشرة الاقتصادية – حرف ومدن فلسطينية.
- برامج أدبية: همس الروح – أغني السنديان.
- برامج دينية: كبائر نحسبها صغائر – أدعية من القرآن والسنة.

وفيما يلي بعض البرامج من الخطة البرامجية:

جدول البرنامج اليومي

السبت

البرنامج	من	إلى
برنامج مع العمال	10:15	11:15
بستان اللغة	11:15	11:30
خبر وتعليق	11:35	11:45
إعادة محطات نسائية	12:15	1:00
إعادة حوار الساعة	3:00	4:15
عنوان في الأخبار	5:30	5:40
ملفات ساخنة	6:00	7:15
رحلة في نكبة شعب "مؤجل"	8:00	9:15
مقالات تحت المجهر	9:30	10:00
"بدون مونتاج"	10:00	11:00
كبائر نحسبها صغائر	3:00	3:15

العاملون في الإذاعة:[٨٢]

بلغ عدد العاملين في الإذاعة خمسين عاملاً مصنفين ما بين إعلاميين وفنيين (معدي برامج – مذيعين – قسم الأخبار السياسية– قسم الأخبار الاقتصادية – قسم تصميم الدعاية والإعلان)، وهناك خطط لتطوير الإذاعة بتطوير الكادر الذي يعمل فيها، سواء أكانوا المذيعين أم معدي البرامج، وذلك عن طريق عقد الدورات التدريبية لهم، وتطوير أدائهم في كيفية إيصال المعلومات للمستمع.

سعة انتشار الإذاعة:

إذاعة صوت عمال فلسطين تبث برامجها على الموجة fm بتردد ٩٥,٢ ميغا هيرتز تصل إلى كافة محافظات غزة والأجزاء الجنوبية من محافظات الضفة، حيث يصل الصوت بوضوح ونقاء.

خصوصية الإذاعة:

إذاعة صوت عمال فلسطين خاصة بقطاع العمل والعمال، وهي إذاعة شبه رسمية، حيث تتبع مؤسسة عمالية جماهيرية غير حكومية، وهي الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين.

الإضافات النوعية عن دونها من الإذاعات:

الإعلانات والدعايات التي تبث عبر أثير صوت عمال فلسطين تعادل أضعاف الدعايات التي تبث في غيرها من الإذاعات المحلية، كما أنها تغطي تكاليفها دون الحاجة لرصد ميزانية خاصة بها.

الدورة البرمجية:

يتم عمل دورة برمجية كل ثلاثة شهور، وتوزع البرامج الإذاعية على مدار الفترة الزمنية، حيث يتم تقسيمها إلى اثني عشر أسبوعاً، ففي البرنامج الأسبوعي يتم تحضير اثنتي عشرة حلقة منه، والبرنامج اليومي يحضر منه ثلاثين حلقة يتم تجهيزها بالكامل، ويعتمد البرنامج في دورته مبدأ التنوع، حيث تتنوع البرامج ما بين برامج تبث مباشرة على الهواء، وبرامج مسجلة، وهذه الدورة قابلة للتغيير حسب الحاجة الملحة وللمصلحة العامة.

الطموحات المستقبلية:

تطمح إذاعة صوت عمال فلسطين لتوسيع انتشار البث ليصل لكافة محافظات الشمال والدول العربية جميعها، ولكنها تحتاج إلى دعم وتمويل. وتطمح أيضاً إلى أن يكون البث رسمياً وعلى مدار ٢٤ ساعة متواصلة، وأيضاً تطوير الكادر الموجود لديها.

خامسا - إذاعة ألوان

بدأت إذاعة ألوان إرسالها وبثها التجريبي في ١-٤-٢٠٠٣ عن شركة الأثير للإنتاج الإعلامي، ويبث راديو ألوان من فلسطين تحديداً من غزة برج الشوا وحصري الطابق الحادي عشر على موجة (Fm. 103.4) ليغطي كل قطاع غزة

بالأساس، وتغطي مناطق أخرى غير مستهدفة من البث، وقد حصلت إذاعة ألوان على التراخيص اللازمة من الجهات المعنية، وتبث في اليوم ١٨ساعة، ويوجد في الإذاعة عدد من الكوادر المهنية والفنية والتقنية ذات الخبرة العالية في مجال الإعلام من حملة شهادات الدبلوم والبكالوريوس في الإعلام والصحافة. وتسعى إذاعة ألوان إلى تحقيق بعض الأهداف التي منها:

- الارتفاع بالمستوى الإعلامي الفلسطيني.
- منافسة الإعلام المحلي والإقليمي والإسرائيلي.
- تقديم خدمات إخبارية للجمهور الفلسطيني المحلي.
- إنشاء منارة ثقافية وسياسية تنتهج مبدأ الديمقراطية والحرية.

وتسير إذاعة ألوان على سياسية واضحة تنتهج المنهج الوطني الملتزم أخلاقياً ووطنياً بمحددات المجتمع العربي الفلسطيني، الهادف إلى استقطاب شرائح مختلفة من المجتمع المحلي، مستخدماً وسائل الجذب والصدق والوضوح والدقة بقدر المستطاع، وذلك يظهر من خلال نشرات الأخبار والبرامج المعبرة عن وجهة النظر الخاصة من خلال ما يبث على مدار الساعة من بداية الإرسال حتى نهايته.

وتقوم إذاعة ألوان على تعدد الأسس من خلال نشرات الأخبار، حيث الخبر الفلسطيني هو الخبر الرئيسي، سواء أكان سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً أم حتى فنياً أو فكرياً، فالأولوية له، ومن ثم الخروج إلى إطار أوسع يتضمن الإقليمي ثم الإسرائيلي ثم الدولي، ولا يقل مستوى إذاعة ألوان عن مستوى الإذاعات الأخرى، حيث تبدأ إذاعة ألوان من حيث انتهت تلك الإذاعات، وتسعى إذاعة ألوان إلى منافسة الإذاعات الإقليمية والدولية من خلال برامجها التي تقدمها إلى المستمعين، بالإضافة إلى النخبة الإعلامية المجربة.

أما برامج إذاعة ألوان فهي تعتمد على الشمولية وتعدد الرأي والألوان السياسية والثقافية، وتوجد دورة برمجية رسمية وليس دورة عشوائية، بل إنها تستند إلى فلسفة وتتوافق مع السياسة التي تقدمها المحطة؛ أي أنها تحتوي على إطار ترفيهي غنائي، وتهدف الإذاعة من وراء ذلك إلى بث روح الوطنية وتدعيمها،

والتأكيد عليها، وتشجيع استقلالية القرار، وإبراز أهمية صوت المواطن العادي واستخدام حرية التعبير عن الرأي لكل شخص، وتأسيس وتعزيز المنهج الديمقراطي في المجتمع، وتأصيل الأخلاق العامة التي تستوحي من سلوكيات المجتمع العربي الأصيل، وتساعد على تفتح أفاق الوعي السياسي والفكري والثقافي والفني، ويوجد للإذاعة هيكل تنظيمي يتواءم مع الإمكانيات المحلية المتاحة.[٨٣]

سادسا - إذاعة المنار

بدأت إذاعة المنار بثها التجريبي في ٢٠٠٣/٤/٢٥ على موجة fm تردد ١٠١، ويغطي إرسال إذاعة المنار قطاع غزة والضواحي الجنوبية لمدينة الخليل، وقد أسس الإذاعة الصحافي طلال أبو رحمة، ويهدف من خلالها إلى تدعيم الجانب الترفيهي والاجتماعي والاقتصادي والإخباري في المجتمع الفلسطيني، وتبث إذاعة المنار خمس عشرة ساعة، ويوجد في الإذاعة عدد من الأقسام منها الإخبار، والتحرير، والبرامج، والموسيقى، والدعاية، والإعلان.[٨٤]

وبهذا نكون قد استعرضنا عدداً من الإذاعات الخاصة العاملة في فلسطين، التي تعتبر منبراً للإعلام الفلسطيني الحر في ظل الأوضاع الحالية التي تمر بها، سواء من إغلاق من قبل قوات الاحتلال واستهداف الصحافيين والمراسلين، أو من الأزمات المالية الخانقة التي تعاني منها بعض هذه الإذاعات، فهي إنتاج فني يعبر عن ولادة إعلام وطني جديد يسعى إلى تمثيل صمود الشعب الفلسطيني وإصراره على التحرر والتطور.

نتائج الدراسة:

جدول ١: توزيع مفردات العينة

الجامعة	طلاب	طالبات
جامعة الأزهر	12	10
الجامعة الإسلامية	11	9
جامعة الأقصى	36	22

يوضح الجدول التالي عدد الطلاب الذين وزع عليهم الاستبيان، حيث تم توزيع عينة الدراسة حسب التناسب، فقد كان نصيب جامعة الأزهر ١٢ طالباً و ١٠ طالبات، بينما الجامعة الإسلامية كان نصيبها ١١ طالباً و ٩ طالبات، بينما كان نصيب جامعة الأقصى ٣٦ طالباً و٢٢ طالبة من عينة الدراسة.

السمات العامة لعينة الدراسة

الجنس: يبين الجدول التالي توزيع مفردات العينة حسب الجنس:

جدول ٢: توزيع العينة حسب الجنس

مكان الدراسة	التكرار	النسبة (%)
ذكور	59	59
إناث	41	41
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن عدد الذكور بلغ ٥٩ طالباً بنسبة ٥٩٪ وأن نسبة الإناث ٤١ بنسبة ٤١٪ من عينة الدراسة.

العمر: يبين الجدول التالي توزيع مفردات العينة حسب مكانتهم العمرية:

جدول ٣: توزيع أفراد العينة حسب الفئة العمرية

الفئات العمرية	التكرار	النسبة (%)
من 18 إلى أقل من 24	83	83
من 24 إلى أقل من 30	12	12
من 30 فأكثر	5	5
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن أفراد العينة من الفئات العمرية المختلفة، حيث تكونت العينة من ٨٣ طالباً وطالبة من الفئة العمرية (من ١٨ إلى أقل من ٢٤)، بنسبة ٨٣٪، في حين كان ١٢ طالباً وطالبة من الفئة العمرية (من ٢٤ إلى أقل من ٣٠)، بنسبة ١٢٪، كما وجد ٥ من الطلبة ضمن الفئة العمرية (من ٣٠ فأكثر) بنسبة ٥٪ من أفراد العينة.

الحالة الاجتماعية: يبين الجدول التالي توزيع مفردات العينة حسب حالتهم الاجتماعية:

جدول ٤: توزيع أفراد العينة حسب الحالة الزوجية

الحالة الزوجية	التكرار	النسبة (%)
متزوج	14	14
أعزب	84	84
مطلق	2	2
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن عدد أفراد العينة المتزوجين يبلغ ١٤ شخصاً بنسبة ١٤٪، وأن نسبة الأفراد الذين لم يسبق لهم الزواج ٨٤٪، وأن حالتين مطلقتين بنسبة ٢٪ من أفراد العينة.

مكان الدراسة: يبين الجدول التالي توزيع مفردات العينة حسب مكان الدراسة:

جدول ٥: توزيع أفراد العينة حسب مكان الدراسة

مكان الدراسة	التكرار	النسبة (%)
جامعة الأزهر	22	22
الجامعة الإسلامية	20	20
جامعة الأقصى	58	58
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن عدد طلبة جامعة الأزهر بلغ ٢٢ طالباً وطالبة، بنسبة ٢٢٪، وأن طلاب الجامعة الإسلامية بلغ ٢٠ طالباً وطالبة بنسبة ٢٠٪، وأن طلاب جامعة الأقصى بلغ عددهم ٥٨ طالباً وطالبة بنسبة ٥٨٪ من أفراد العينة.

المستوى الأكاديمي: يبين الجدول التالي توزيع مفردات العينة حسب مستواهم الأكاديمي:

جدول ٦: توزيع أفراد العينة حسب المستوى الأكاديمي

المستوى الأكاديمي	التكرار	النسبة (%)
المستوى الأول	35	35
المستوى الثاني	20	20
المستوى الثالث	15	15
المستوى الرابع	30	30
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن عدد طلاب المستوى الأول ٣٥ طالباً وطالبة، بنسبة ٣٥٪، وأن عدد طلاب المستوى الثاني بلغ ٢٠ طالباً وطالبة بنسبة ٢٠٪، وأن طلاب المستوى الثالث بلغ ١٥ طالباً وطالبة بنسبة ١٥٪، وأن طلاب المستوى الرابع بلغ ٣٠ طالباً وطالبة بنسبة ٣٠٪ من أفراد العينة.

مكان الإقامة: يبين الجدول التالي توزيع مفردات العينة حسب الإقامة

جدول ٧: توزيع أفراد العينة حسب الإقامة

مكان الإقامة	التكرار	النسبة (%)
مدينة	65	65
مخيم	26	26
قرية	9	9
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن عدد أفراد العينة الذين يعيشون في المدينة بلغ ٦٥ طالباً وطالبة بنسبة ٦٥٪، وأن أفراد العينة الذين يعيشون في المخيم بلغ ٢٦ بنسبة ٢٦٪، وأن أفراد العينة الذين يعيشون في القرى بلغ ٩، بنسبة ٩٪ من أفراد العينة.

مدى الاستماع للإذاعات الخاصة

توزيع أفراد العينة حسب مدى الاستماع للإذاعات الخاصة.

جدول ٨: مدى استماع أفراد العينة للراديو

مدى الاستماع للإذاعات الخاصة	التكرار	النسبة (%)
استمع (نعم)	81	81
(لا) أستمع	–	–
استمع (أحياناً)	19	19
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن عدد أفراد العينة الذين يستمعون بشكل مستمر بلغ ٨١ فرداً بنسبة ٨١٪، في حين كان ١٩ طالباً من أفراد العينة يستمعون إلى الإذاعات بشكل متقطع "أحياناً" بنسبة ١٩٪ من أفراد العينة، وهذه المؤشرات تؤكد أن نسبة الاستماع للإذاعات الخاصة عند أفراد العينة جيدة.

الدوافع التي تشجع طلبة الإعلام للاستماع للإذاعات الخاصة

جدول ٩: دوافع أفراد العينة للاستماع إلى الإذاعات

العبارة	التكرار	النسبة (%)
الحصول على معلومات جديدة	56	56
معرفة الأخبار المحلية	53	53
الحصول على المتعة والتسلية	41	41
الثقافة السياسية	34	34
المساعدة على حل المشكلات المختلفة	32	32
إشباع غريزة حسب الاستطلاع	27	27
البرامج الممتعة التي تذيعها	13	13

ملاحظة: يمكن للمبحوث اختيار أكثر من بديل.

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٥٦ طالباً وطالبة من أفراد العينة يواظبون على الاستماع للإذاعات الخاصة للحصول على معلومات جديدة بنسبة

٥٦٪، وأن ٤١ طالباً وطالبة من أفراد العينة يستمعون للإذاعات للحصول على المتعة والتسلية، وبنسبة ٤١٪، وأن ١٣ طالباً وطالبة يستمعون للإذاعات الخاصة على البرامج الممتعة التي تذيعها بنسبة ١٣٪، وأن ٣٤ طالباً وطالبة من أفراد العينة يفضلون الاستماع للإذاعات الخاصة من أجل الثقافة السياسية بنسبة ٣٤٪، وأن ٣٢ طالباً وطالبة من أفراد العينة يستمعون للإذاعات الخاصة من أجل المساعدة على حل المشكلات المختلفة لمعرفة الأخبار المحلية بنسبة ٥٣٪، وأن ٢٧ طالباً وطالبة من أفراد العينة يستمعون للإذاعات الخاصة لإشباع غريزة حب الاستطلاع بنسبة ٢٧٪ من أفراد العينة.

البرامج التي يفضل طلبة الإعلام الاستماع إليها حسب الأفضلية:

جدول ١٠: توزيع البرامج التي يستمع لها أفراد العينة

العبارة	التكرار	النسبة (%)
البرامج السياسية	88	88
البرامج الموسيقية	74	74
البرامج الرياضية	69	69
البرامج الاقتصادية	67	67
البرامج التربوية	77	77
البرامج المحلية	68	68
البرامج الترفيهية	75	75
البرامج الاجتماعية	77	77
البرامج الأخرى	3	3

ملاحظة: كانت إجابة المبحوثين عن هذا السؤال مختلفة.

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٨٥ من أفراد العينة يستمعون إلى البرامج السياسية وبنسبة ٨٥٪، وأن ٧٤ طالباً وطالبة من أفراد عينة الدراسة يستمعون إلى البرامج الموسيقية وبنسبة ٧٤٪، وأن ٦٩ طالباً وطالبة من عينة الدراسة يستمعون إلى البرامج الرياضية وبنسبة ٦٩٪، وأن ٦٧ من أفراد العينة يستمعون إلى البرامج التربوية وبنسبة ٦٧٪، وأن ٦٨ طالباً وطالبة من عينة الدراسة يستمعون إلى البرامج المحلية وبنسبة ٦٨٪، وأن ٧٥ من أفراد

العينة يستمعون إلى البرامج الترفيهية وبنسبة ٧٥٪، وأن ٧٧ من أفراد عينة الدراسة يستمعون إلى البرامج الاجتماعية وبنسبة ٧٧٪، أما البرامج الأخرى فيستمع إليها ٣ من أفراد العينة وهو ما تبلغ نسبته ٣٪.

مدى رضا طلبة الإعلام من الإذاعات الخاصة الفلسطينية

جدول ١١: مدى اهتمام المبحوثين بالاستماع إلى الإذاعات

العبارة	التكرار	النسبة (%)
لا يهم المستمع الفلسطيني	4	4
يهم المستمع الفلسطيني	73	73
يهم الطلاب ومصالحهم العلمية والثقافية	5	5
يهم شريحة خاصة من المجتمع	14	14
أخرى حدد	4	4
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٤ من أفراد العينة يعتقدون أن الإذاعات الخاصة في قطاع غزة لا تهم المستمع الفلسطيني بنسبة ٤٪، وأن ٧٣ من أفراد العينة يعتقدون أن الإذاعات الخاصة تقدم ما يهم المستمع الفلسطيني، وبنسبة ٧٣٪، وأن ٥ من أفراد عينة الدراسة يعتقدون أن الإذاعات تقدم ما يهم الطلاب ومصالحهم العلمية والثقافية بنسبة ٥٪، وأن ١٤ من أفراد عينة الدراسة يعتقدون أن الإذاعات الخاصة تقدم ما يهم شريحة خاصة من المجتمع، وبنسبة ١٤٪، وأن ٤ من أفراد العينة كانت إجاباتهم أخرى بنسبة ٤٪ من أفراد العينة.

مدى دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام

جدول ١٢: مدى دور الإذاعات في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام

دور الإذاعات الخاصة في التثقيف السياسي	التكرار	النسبة (%)
نعم	40	40
لا	14	14
أحياناً	46	46
المجموع	100	100

بتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٤٠ فرداً من أفراد عينة الدراسة يعتقدون إن للإذاعات الفلسطينية الخاصة في قطاع غزة دوراً في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، وبنسبة ٤٠٪، وأن ١٤ من أفراد عينة الدراسة يعتقدون أنه بشكل متقطع "أحياناً" يكون للإذاعات الخاصة لها دور في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، وبنسبة ٤٦٪ من أفراد العينة.

البرامج السياسية المفضلة لدى طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة

جدول ١٣:مدى استماع المبحوثين للبرامج الإذاعية

العبارة	التكرار	النسبة (%)
البرامج الحوارية المباشرة	62	62
البرامج المسجلة	1	1
البرامج الإخبارية	34	34
أخرى	3	3
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ١٢ فرداً من أفراد عينة الدراسة يفضلون البرامج الحوارية المباشرة وبنسبة ٦٢٪، وأن فرداً واحداً من أفراد عينة الدراسة يفضل الاستماع إلى البرامج المسجلة وبنسبة ١٪، وأن ٣٤ فرداً من أفراد العينة يفضلون البرامج الإخبارية وبنسبة ٣٤٪، وأن ثلاثة أفراد من عينة الدراسة يختارون برامج أخرى ويشكلون نسبة ٣٪.

مدى تقديم الإذاعات الفلسطينية الخاصة في قطاع غزة معلومات تغني طلبة الإعلام في جامعات غزة الثلاث (الأزهر، والإسلامية، والأقصى) عن الاستماع إلى الإذاعات الأخرى

جدول ١٤: مدى تقديم الإذاعات الفلسطينية معلومات تغني طلبة الإعلام عن الاستماع للإذاعات الأخرى

الاستماع للإذاعات الأخرى	التكرار	النسبة (%)
نعم	40	40
لا	21	21
أحياناً	39	39
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٤٠ فرداً من أفراد عينة الدراسة يعتقدون أن الإذاعات الخاصة في قطاع غزة تقدم معلومات تغني المستمع عن الاستماع للإذاعات الأخرى وبنسبة ٤٠٪، وأن ٢١ من أفراد العينة يعتقدون أن الإذاعات الخاصة لا تقدم معلومات تغني المستمع عن الاستماع للإذاعات الخاصة وبنسبة ٢١٪، وأن ٣٩ فرداً من عينة الدراسة اعتقدوا بشكل متقطع "أحياناً" بتقديم الإذاعات الخاصة معلومات تغني المستمع عن الاستماع إلى الإذاعات الأخرى وبنسبة ٣٩٪ من عينة الدراسة.

رأي طلبة الإعلام في جامعات غزة بالإذاعات الفلسطينية الخاصة بقطاع غزة

جدول رقم ١٥: اتجاهات المبحوثين نحو الإذاعات الخاصة الفلسطينية

العبارة	التكرار	النسبة (%)
إيجابي	60	60
محايد	27	27
سلبي	13	13
المجموع	100	100

وبتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٦٠ فرداً من أفراد عينة الدراسة يقولون إن رأيهم بالإذاعات الفلسطينية الخاصة في قطاع غزة إيجابي وبنسبة ٦٠٪، وأن ٢٧ فرداً من عينة الدراسة يقولون إنهم محايدون من الإذاعات الخاصة بنسبة ٢٧٪، وأن ١٣ فرداً من أفراد عينة الدراسة يصفون رأيهم بالإذاعات الخاصة بالسلبي وبنسبة ١٣٪ من عينة الدراسة.

ترتيب الإذاعات الفلسطينية الخاصة بقطاع غزة من وجهة نظر طلبة الإعلام

يتضح من خلال المتوسط المأخوذ لإجمالي الترقيمات لكل إذاعة على حدة، أن إذاعة صوت الحرية هي أفضل إذاعة خاصة في قطاع غزة، حيث بلغ متوسط الترقيم ٤٨٪، وقد جاءت إذاعة صوت الشباب في المرتبة الثانية، حيث كان متوسط الترقيم ٢٩٪، وإذاعة صوت الأقصى في المرتبة الثالثة بمتوسط ١٦٪، وجاءت إذاعة غزة FM في المرتبة الرابعة بمتوسط ٦٪، وإذاعة العمال جاءت في المرتبة الخامسة بمتوسط ٢٪، وإذاعة المنار في المرتبة السادسة بمتوسط١٪، وجاءت إذاعة ألوان في المرتبة السابعة والأخيرة.

رأي أفراد العينة في مقدمي برامج الإذاعات الخاصة

جدول ١٦: آراء المبحوثين في مقدمي البرامج

التقييم	ضعيف	جيد	جيدا جداً	ممتاز
من حيث الموضوعية	14	46	29	8
من حيث الأداء	24	43	25	5
المجموع من حيث المصداقية في نقل الأخبار	7	49	22	18

بتحليل البيانات في الجدول السابق يظهر أن أفراد العينة أعطوا تقييماً جيداً لمقدمي البرامج من حيث الموضوعية، وكانت نسبتهم ٤٦٪، ونسبة ٢٩٪ جيد جداً، ونسبة ٨٪ ممتاز، في حين النسبة المتبقية أعطتهم تقييماً ضعيفاً.

أما من حيث الآراء، فقد أعطت نسبة ٤٣٪ من أفراد العينة تقييماً جيداً، ونسبة ٢٥٪ أعطت تقييماً جيداً جداً، ونسبة ٢٤٪ أعطت تقييماً ضعيفاً، ونسبة ٥٪ أعطت تقييماً ممتازاً. ومن حيث المصداقية في نقل الخبر، فقد أعطت نسبة ٤٩٪ تقييماً جيداً، وهي أعلى درجات التقييم، و٢٢٪ أعطت تقييماً جيداً جداً و١٨٪ أعطت تقييماً ممتازاً، و٪ أعطت تقييماً ضعيفاً.

عوامل زيادة الاستماع

توزيع أفراد العينة حسب عوامل زيادة الاستماع من وجهة نظر طلبة الإعلام

جدول ١٧: توزيع عوامل زيادة الاستماع للإذاعات الخاصة

عوامل زيادة الاستماع	التكرار	النسبة (%)
تقوية البث الإذاعي حتى يصل جميع المناطق بوضوح	49	49
زيادة الاهتمام بموضوعها	23	23
زيادة الاهتمام بأسلوب تقديم البرامج	42	42
تكثيف برامج المسابقات	18	18
استقطاب مذيعين ومهنيين مهرة	59	59
الاهتمام بقضايا المواطنين والتعامل مع همومهم	48	48
تخصيص زوايا متخصصة لشؤون المعرفة	26	26
أخرى	6	6

ملاحظة: كانت إجابات المبحوثين عن هذا السؤال مختلفة.

بتحليل بيانات الجدول السابق يظهر أن ٤٩ من أفراد عينة الدراسة يقترح أن تقوية البث الإذاعي يساعد على زيادة الاستماع وكانت نسبتهم ٤٩٪، وأن ٢٣ يقولون إن زيادة الاهتمام بالمواضيع المطروحة يساعد على زيادة الاهتمام للإذاعات الخاصة بنسبة ٢٣٪، وأن ٤٢ طالباً وطالبة من أفراد العينة يقترحون زيادة الاهتمام بأسلوب تقديم البرامج بنسبة ٤٢٪، وأن ١٨ فرداً من أفراد العينة يقترحون تكثيف برامج المسابقات لجذب الجمهور بنسبة ١٨٪، وأن ٥٩ من أفراد العينة يقولون إن من خلال استقطاب مذيعين ومهنيين مهرة، حيث يساعد ذلك على زيادة الاستماع بنسبة ٥٩٪، وأن ٤٨ طالباً وطالبة من أفراد العينة يقترحون الاهتمام بقضايا المواطنين والتعامل مع همومهم بنسبة ٤٨٪، وأن ٢٦ من أفراد العينة قال إن تخصيص زاوية متخصصة لشؤون المعرفة المختلفة يساعد على زيادة الاستماع بنسبة ٢٦٪، وأن ٦ من أفراد العينة اقترحوا أشياء أخرى لزيادة نسبة الاستماع بنسبة ٦٪ من أفراد العينة.

النتائج والتوصيات

استهدفت الدراسة التعرف على دور الإذاعات الفلسطينية الخاصة بقطاع غزة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية الثلاثة في قطاع غزة وهي الأزهر، والإسلامية، الأقصى.

وقد توصل الطالب إلى عدد من النتائج على ضوء دراسته الميدانية ويناقشها فيما يلي:

- كشفت الدراسة أن النسبة الأكبر من الطلبة يستمعون إلى الإذاعات الخاصة بشكل مستمر وبنسبة ٨١٪، وهذا يدل على أن الإذاعات الخاصة لها نسبة استماع جيدة من الطلبة في جامعات غزة.
- أوضحت الدراسة أن فترة الاستماع المفضلة عند أفراد العينة كانت في الفترة المسائية بنسبة ٦١٪، وبلغت الفترة الصباحية ٢١٪، حيث جاءت في المرتبة الثانية، وفترة وقت الفراغ بين المحاضرات ١١٪، كما بلغت نسبة الاستماع بعد انتهاء الدوام ٥٪، وأخرى بلغت نسبتها ٧٪، وهذا يوضح أن الطلبة يفضلون الاستماع للإذاعات الخاصة في الفترة المسائية، وبعد الانتهاء من المحاضرات في الجامعة.
- كشفت الدراسة أن الطلبة الذي يستمعون إلى الإذاعات الخاصة يستمعون بهدف الحصول على معلومات جديدة، وكانت نسبة هؤلاء ٥٦٪، وهذا يدل على أن هناك زيادة في البرامج المعلوماتية التي تهدف إلى زيادة المعرفة والعلوم المختلفة.
- أوضحت الدراسة أن نسبة الطلبة الذين يفضلون الاستماع إلى الإذاعات الخاصة يستمعون إلى البرامج السياسية وبنسبة ٨٨٪، وتأتي هذه البرامج في المرتبة الأولى، ويليها البرامج التربوية والاجتماعية، حيث بلغت كل منها بنسبة ٧٧٪ إلى المرتبة الثانية من البرامج المفضلة للاستماع لدى طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية.
- كشفت الدراسة أن هذه الإذاعات تقدم ما يهم المستمع الفلسطيني، وذلك بنسبة ٧٣٪، من أفراد العينة، وهذا يدل على إن الإذاعات الخاصة تحظى باستماع كبير، نتيجة لبرامجها المقدمة التي تهم المجتمع الفلسطيني.

- أوضحت الدراسة أن دور الإذاعات الخاصة في التثقيف السياسي لطلبة الإعلام جاءت بنسبة ٤٠٪؛ أي المرتبة الثانية بعد اعتقاد طلبة الإعلام أن الإذاعة الخاصة بشكل متقطع أحياناً يكون لها دور في التثقيف السياسي بنسبة ٤٦٪ من عينة الدراسة.
- كشف الدراسة أن طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة يفضلون البرامج الحوارية المباشرة، التي تقدمها الإذاعات وذلك بنسبة ٦٢٪ من عينة الدراسة، وأن البرامج الإخبارية تحظى بـ٣٤٪ من عينة الدراسة، وهذا مؤشر جيد للإذاعات الخاصة في تقديمها للبرامج الحوارية المباشر.
- أوضحت الدراسة أن النسبة من أفراد العينة يكتفون بالمعلومات المقدمة في الإذاعات الخاصة التي تغنيهم للاستماع إلى الإذاعات الأخرى وبنسبة ٤٠٪.
- إن ٣٩٪ من عينة الدراسة يكتفي بشكل متقطع أحياناً بالمعلومات التي تقدمها الإذاعات الخاصة، وهذا مؤشر يحث الإذاعات الخاصة على زيادة برامجها المعلوماتية.
- كشفت الدراسة رأي طلبة الإعلام في جامعات غزة بالإذاعة الفلسطينية الخاصة بقطاع غزة، حيث كانت نسبة ٦٠٪ بالإيجاب، و٢٧٪ محايد، و١٣٪ سلبي، وهذا يؤكد وجوداً إيجابياً للإذاعات الخاصة.
- أوضحت الدراسة أن الإذاعات الخاصة المفضلة من حيث الاستماع، هي: إذاعة صوت الحرية، وإذاعة الشباب، وإذاعة صوت الأقصى، وإذاعة غزة FM، وإذاعة المنار، وإذاعة ألوان، وهي مرتبة حسب الأفضلية ويلاحظ أن إذاعة صوت الحرية حظيت بالمرتبة الأولى في أفضلية الاستماع ضمن الإذاعات الخاصة الموجودة في قطاع غزة.
- أوضحت الدراسة أن أكبر نسبة من طلبة الإعلام قدمت تقييمات جيدة لمقدمي البرامج في الإذاعات الخاصة، وذلك من حيث الموضوعية والأداء والمصداقية، وكانت النسب بالترتيب كالآتي: ٤٦٪، و٤٣٪، و٤٩٪، وهذا يدل على استفادتهم من دراستهم الأكاديمية، وحسن تدريبهم في مجال العمل الإعلامي.

التوصيات:

أصبحت الإذاعات الخاصة أمراً واقعاً وحقيقية لا ينكرها أحد، ومن خلال دراستنا تبين لنا أن كثيراً من المستمعين يقبلون عليها، ويرجع هذا الإقبال إلى ما تتميز به برامجها من حرية وتفاعل مع المجتمع المحلي وقضاياه، ولاسيما قضايا الشباب، فضلاً عن اتخاذ الإذاعة الحكومية الطابع الرسمي الذي يتصف بالعمل الروتيني الرتيب. هذا وتتمحور توصيات الدراسة فيما يلي:

- الاهتمام بقضايا الشباب كونهم يشكلون القطاع الواسع في المجتمع.
- ضرورة الاهتمام بتدريب الكادر الإعلامي المقدم للبرامج.
- ضرورة نقل الإخبار بدقة وموضوعية وصدق.
- وضع الخطط الإعلامية المستقبلية الجاذبة أكبر قدر من المستمعين وتلبية رغباتهم.
- ضرورة الزيادة بالبرامج السياسية والثقافية والعلمية لتزويد حصيلة المواطنين بالمعرفة العامة.
- التوصية بضرورة إجراء دراسات ميدانية بين الحين والآخر لمعرفة اهتمام المستمعين وآرائهم وتلبية احتياجاتهم من أجل تطوير أداء الإذاعات الخاصة.

الهوامـــش:

* نوقش هذا البحث صيف ٢٠٠٤، بإشراف الأستاذ رائد محمد أبو ربيع، المحاضر في جامعة الأزهر – غزة، قسم اللغة العربية والإعلام..

١ علي محمد شحو، **الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة**، القاهرة، مكتبة ومطبعة الإشعاع، ٢٠٠٢، ص١١٦.

٢ أحمد طاهر، **الإعلام الدولي**، القاهرة: دار المعارف المصرية، (بدون سنة النشر)، ص٧.

٣ السيد أحمد مصطفى عمر، **البحث الإعلامي: مفهومة وإجراءاته**، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩٤، ص٢١٠.

٤ إبراهيم إمام، **الإعلام الإذاعي والتلفزيوني**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩، ص٢٥٦.

٥ مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، الجزء الأول، ط٣، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٥، ص٣٣.

٦ **المنجد في اللغة والإعلام**، الطبعة ٢، بيروت، دار المشرق، ص٢٥.

٧ كرم شلبي، **معجم المصطلحات الإعلامية**، إنجليزي عربي، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤ . ١٢٢.

٨ جيهان أحمد رشتي، **النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية**، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٨، ص٨.

٩ حسن عماد مكاوي، **إنتاج البرامج للراديو والتلفزيون بين النظرية والتطبيق**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨، ص٢٧.

١٠ حسني محمد نصر، **مقدمة في الاتصال الجماهيري**، القاهرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص١٤٨.

١١ خليل صابات، **وسائل الاتصال ... نشأتها وتطورها**، ط٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣، ص٢٢٩.

١٢ المرجع السابق نفسه، ص٢٣.

١٣ محمد عبد القادر. **الرأي العام وتاثره بالإعلام والدعاية**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص١٥٤.

١٤ خليل صابات، مرجع سابق، ص٢٣٠.

١٥ جيهان أحمد رشتي. **النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية**، مرجع سابق، ص١٠.

١٦ هاني رضا ورامز عمار. **الرأي العام والإعلام والدعاية**، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص١٤٤.

١٧ حسني محمد نصر، مرجع سابق، ص١٤٩.

١٨ يوسف مرزوق، **فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨، ص٧٢.

١٩ إبراهيم إمام، **الإعلام الإذاعي والتلفزيوني**، مرجع سابق، ص١٤٥.

٢٠ عاطف عدلي العبد. **الاتصال والرأي العام**، الأسس النظرية والإسهامات العربية، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩٣، ص١٥٦.

٢١ جيهان أحمد رشتي. **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥، ص٣٤٣.

٢٢ شعبان خليفة، ومحمد عوض. **المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية**، جدة، مكتبة العلم، ١٩٨١، ص١٨.

٢٣ حسين أبو شنب. **الفن الإذاعي**، غزة ، خان يونس ٢٠٠٠، ص٥٢.

٢٤ طلعت همام. **مائة سؤال عن الإعلام**، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص٧٣.

٢٥ يوسف مرزوق، **فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون**، القاهرة، دار الكتاب، ص٣٨.

٢٦ طلعت همام، مرجع سابق، ص٧٤.

٢٧ يوسف مرزوق، **فن الكتابة والإذاعة والتلفزيون**، مرجع سابق، ص١٥٥.

٢٨ عبد العزيز غنام، **المدخل إلى وسائل الإعلام**، ط٢، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٩٩، ص٤٣٥.

٢٩ خليل صابات، مرجع سابق، ص٢٢٣.

٣٠ حسين أبو شنب، **مدخل إلى الراديو والتلفزيون**، غزة، منشورات مركز دراسات وأبحاث الوطن ١٩٩٩، ص٤٥.

٣١ يوسف مرزوق، مرجع سابق، ص٢٥٠.

٣٢ حسين أبو شنب، **مدخل للراديو والتلفزيون**، مرجع سابق، ص٦٩.

٣٣ خليل صابات، مرجع سابق، ص٢٥٩.

٣٤ عاطف عدلي العبد، **الاتصال والرأي العام**، مرجع سابق، ص٢٧.

٣٥ حسين أبو شنب. **مدخل إلى فن الراديو والتلفزيون**، غزة، منشورات مركز دراسات أبحاث الوطن، ١٩٩٨، ص٤٥.

٣٦ سلاح الدواوسة، **استخدامات الجمهور الفلسطيني للقنوات الفضائية العربية والإشاعات المتحققة**، بحث غير منشور، ص١٨٥.

٣٧ حسين أبو شنب، **الفن الإذاعي**، مرجع سابق، ص١٤.

٣٨ حسين أبو شنب، **هنا القدس دار الإذاعة الفلسطينية**، قطاع غزة – خان يونس، مكتبة القادسية، منشورات مركز دراسات أبحاث الوطن، ٢٠٠٢، ص٣٧.

٣٩) عاطف عدلي العبد، **الإذاعة والتلفزيون في مصر الماضي والحاضر والآفاق المستقبلية**، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩١، ص١٣٤.

٤٠ حسين أبو شنب، **هنا القدس دار الإذاعة الفلسطينية**، مرجع سابق، ص٨٨.

٤١ المرجع نفسه السابق.

٤٢ سلاح الدواوسة، المرجع السابق، ص١٩٠.

٤٣ حسين أبو شنب، المرجع نفسه السابق، ص٩٠.

٤٤ سلاح الدواوسة، المرجع نفسه السابق، ص١٩٢.

٤٥ حسين أبو شنب، المرجع السابق نفسه، ص٨٩.

٤٦ حسين أبو شنب، المرجع السابق نفسه، ص٨٩.

٤٧ حسين أبو شنب، المرجع السابق نفسه، ص٩٠.

٤٨ سلاح الدواوسة، مرجع سابق، ص١٩٣.

٤٩ سلاح الدواوسة، مرجع سابق، ص١٩٣.

٥٠ سلاح الدواوسة، المرجع السابق نفسه، ص١٣٦.

٥١ المرجع السابق، ص١٣٧.

٥٢ ثناء فؤاد عبد الله، "البعد الإعلامي للانتفاضة الشعبية الفلسطينية، والرأي العام العالمي". في، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد ١١٧، إبريل ١٩٨٨، ص١٢٦-١٢٧.

٥٣ محمد يونس وأشرف أبو خصران، مرجع سابق، ص٣٥.

٥٤ سلاح الدواوسة، مرجع سابق، ص١٩٤.

٥٥ حسين أبو شنب، **هنا القدس دار الإذاعة الفلسطينية**، مرجع سابق، ص١٦.

٥٦ مقابلة أجراها الباحث مع مدير إذاعة صوت فلسطين البرنامج الثاني، خالد صيام، في المكتب الإعلامي لحركة "فتح"، ٢٠٠٤/٤/١. الساعة العاشرة مساءً.

٥٧ محمد يونس وأشرف أبو خصيران. **اتجاهات طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بغزة نحو الاستماع إلى الإذاعات الخاصة في فلسطين**، بحث غير منشور لاستكمال درجة البكالوريوس، غزة، الجامعة الإسلامية، قسم الصحافة والإعلام، ٢٠٠٣، ص٣٧.

٥٨ المرجع السابق نفسه، ص٣٧.

٥٩ مقابلة أجراها الباحث مع هاني حبيب في مكتبه بوزارة الإعلام، بتاريخ ٢٥ آذار ٢٠٠٤، الساعة ١٢ ظهراً.

٦٠ المصدر السابق.

٦١ المصدر السابق.

٦٢ هاني حبيب، مصدر سابق.

٦٣ محمد يونس وأشرف خصيران، مرجع سابق، ص٣٨.

٦٤ مقابلة أجراها الباحث مع مدير إذاعة صوت الحرية ماجد العرابيد، في الإذاعة بتاريخ ١٥/آذار/ ٢٠٠٤.

٦٥ المرجع السابق نفسه.

٦٦ مقابلة أجراها الباحث مع مدير البرامج في إذاعة صوت الحرية محمد قنيطة في الإذاعة ١٥/آذار/ ٢٠٠٤.

٦٧ ماجد العرابيد، مصدر سابق.

٦٨ مقابلة أجراها الباحث مع مدير إذاعة صوت الشباب عبد الحكيم عوض في الإذاعة، غزة، ٢٥/ آذار/٢٠٠٤.

٦٩ مقابلة أجراها الباحث مع مدير البرامج في صوت الشباب "جهاد أبو حليب" في الإذاعة، غزة، ٢٥/آذار/٢٠٠٤.

٧٠ مقابلة أجراها الباحث مع المدير الإداري في صوت الشباب سعيد الحمري في الإذاعة، غزة، ٢٥/ آذار/٢٠٠٤.

٧١ عبد الحكيم عوض، مصدر سابق.

٧٢ **إذاعة صوت الشباب**، نشرة تعريفية، تصدر عن إذاعة صوت الشباب، غزة، ٢٠٠٤.

٧٣ مقابلة أجراها الباحث مع مدير إذاعة صوت الأقصى، رائد أبو داير في الإذاعة، غزة، تشرين الأول ٢٠٠٤.

٧٤ المرجع السابق.

٧٥ **إذاعة صوت الأقصى**، نشرة تعريفية، غزة، صوت الأقصى، ٢٠٠٤.

٧٦ المرجع السابق نفسه.

٧٧ **إذاعة صوت الأقصى**، نشرة تعريفية، مرجع سابق.

٧٨ المرجع السابق نفسه.

٧٩ قام الباحث بالاستماع إلى إذاعة صوت الأقصى، ٢٠٠٤/٦/١.

٨٠ **صوت عمال فلسطين**، نشرة تعريفية، تصدر عن صوت عمال فلسطين، غزة، نيسان ٢٠٠٣.

٨١ المرجع السابق نفسه.

٨٢ المرجع السابق نفسه.

٨٣ **إذاعة ألوان**، نشرة تعريفية، تصدر عن إذاعة ألوان ٢ أيار ٢٠٠٣.

٨٤ مقابلة أجراها الباحث مع مدير إذاعة المنار طلال أبو رحمة في الإذاعة ٣٠ آذار ٢٠٠٤، الساعة العاشرة صباحاً.

المراجـــع:

أبو سمرة، عبد الهادي. **الحضارة العربية الإسلامية**، غزة، ٢٠٠٣.

أبو شنب، حسين. **مدخل إلى فن الراديو والتلفزيون**، غزة، مركز دراسات أبحاث الوطن، ١٩٩٨.

أبو شنب، حسين. **مدخل للراديو والتلفزيون**، غزة، مكتبة القادسية (بدون تاريخ نشر).

أبو شنب، حسين. **هنا القدس دار الإذاعة الفلسطينية**، غزة – خان يونس، مكتبة القادسية، مركز دراسات أبحاث الوطن، ٢٠٠٢.

إمام، إبراهيم. **الإعلام الإذاعي والتلفزيوني**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩.

الحلواني، ماجي. **مدخل إلى الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٢.

خليفة، شعبان، ومحمد عوض. **المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية**، جدة، مكتبة العلم، ١٩٨١.

رشتي، جيهان أحمد. **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥.

رشتي، جيهان أحمد. **النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية**، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٨.

رضا، هاني. ورامز عمار، **الرأي العام والإعلام والدعاية**، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨.

شلبي، كرم. **معجم المصطلحات الإعلامية**، (إنجليزي عربي)، ط٢، بيروت، دار الجبل، ١٩٩٤.

سليمان، عصام. **مدخل إلى علم السياسة**، ط٢، بيروت، دار النضال، ١٩٨٩.

شمو، على محمد. **الاتصال الدولي والتكنولوجيا الحديثة**، القاهرة، مكتبة ومطبعة الإشعاع، ٢٠٠٢.

صابات، خليل. **وسائل الاتصال نشأتها وتطورها**، ط٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣.

صابات، خليل. **رسائل الاتصال نشأتها وتطورها**، ط٦، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩١.

طاهر، أحمد. **الإعلام الدولي**، القاهرة، دار المعارف المصرية، (دون تاريخ نشر).

عبد القادر، محمد. **الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣.

عبد الله، ثناء فؤاد. "البعد الإعلامي للانتفاضة الشعبية الفلسطينية والرأي العام العالمي". في **مجلة الفن الإذاعي**، العدد ١١٧، نيسان ١٩٨٨.

العبد، عاطف عدلي. **الاتصال والرأي العام، الأسس النظرية والإسهامات العربية**، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩٣.

العبد، عاطف عدلي. **الإذاعة والتلفزيون في مصر الماضي والحاضر، والآفاق المستقبلية**، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩١.

عمر، السيد أحمد مصطفى. **البحث الإعلامي، مفهومة وإجراءاته**، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩٤.

غنام، عبد العزيز. **المدخل إلى وسائل الإعلام**، ط٢، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٩٩.

القبانجي، السيد صدر الدين. **علم السياسة**، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٧.

مجمع اللغة العربية. "المعجم الوسيط"، الجزء الأول، ط٣، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٥.

مرزوق، يوسف. **فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨.

مكاوي، حسن عماد. **إنتاج البرامج للراديو والتلفزيون بين النظرية والتطبيق**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨.

المنجد في اللغة والإعلام. ط٢، بيروت، دار المشرق، ١٩٥٢.

نصر، حسني محمد. **مقدمة في الاتصال الجماهيري**، القاهرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

همام، طلعت. **مائة سؤال عن الإعلام**، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.

يونس، محمد. وأشرف أبو خصيران. **اتجاهات طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية بغزة نحو الاستماع إلى الإذاعات الخاصة في فلسطين**، بحيث غير منشور لاستكمال درجة البكالوريوس، غزة، الجامعة الإسلامية، قسم الصحافة والإعلام، ٢٠٠٣.

نشرات ودوريات وأبحاث غير منشورة:

إذاعة صوت الشباب، نشرة تعريفية، تصدر عن إذاعة صوت الشباب، غزة، ٢٠٠٤.

إذاعة صوت الأقصى، نشرة تعريفية"، غزة، صوت الأقصى، ٢٠٠٤.

إذاعة صوت الأقصى، نشرة تعريفية.

صوت عمال فلسطين، نشرة تعريفية، تصدر عن صوت عمال فلسطين، غزة، نيسان ٢٠٠٣.

إذاعة ألوان، نشرة تعريفية، تصدر عن إذاعة ألوان ٢ أيار ٢٠٠٣.

شادي أبو عمرة، "اتجاهات طلاب قسم الصحافة والإعلام بالجامعة الإسلامية نحو الاستماع لإذاعة صوت العرب"، بحث غير منشور لاستكمال درجة البكالوريوس، غزة، قسم الصحافة والإعلام بالجامعة الإسلامية، ١٩٩٩.

منصور إسماعيل وافي، "اتجاهات طلاب الجامعة الإسلامية نحو الاستماع لإذاعة لندن (القسم العربي) بهيئة الإذاعة البريطانية"، بحث غير منشور،غزة، قسم الصحافة والإعلام، الجامعة الإسلامية، ١٩٩٩.

سلاح الدواوسة، "استخدامات الجمهور الفلسطيني للقنوات الفضائية العربية والإشاعات المتحققة"، بحث غير منشور.

نشأت الأقطش، "مصداقية الإذاعات كمصدر للمعلومات"، **مجلة الجامعة**، المجلد السادس، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٩٨.

المقابلات:

مقابلة أجراها الباحث مع هاني حبيب في مكتبه بوزارة الإعلام، بتاريخ ٢٥ آذار ٢٠٠٤، الساعة ١٢ ظهراً.

مقابلة أجراها الباحث مع ماجد العرابيد، مدير إذاعة صوت الحرية ، في الإذاعة بتاريخ ١٥/آذار/٢٠٠٤.

مقابلة أجراها الباحث مع محمد قنيطة، مدير البرامج في إذاعة صوت الحرية في الإذاعة ١٥/ آذار/٢٠٠٤.

مقابلة أجراها الباحث مع عبد الحكيم عوض مدير إذاعة صوت الشباب في الإذاعة، غزة، ٢٥/ آذار/٢٠٠٤.

مقابلة أجراها الباحث مع جهاد أبو حليب، مدير البرامج في صوت الشباب في الإذاعة، غزة، ٢٥/ آذار/٢٠٠٤.

مقابلة أجراها الباحث مع سعيد الحمري، المدير الإداري في صوت الشباب في الإذاعة، غزة، ٢٥/آذار/٢٠٠٤.

مقابلة أجراها الباحث مع رائد أبو داير، مدير إذاعة صوت الأقصى، في الإذاعة، غزة، تشرين الأول ٢٠٠٤.

مقابلة أجراها الباحث مع طلال أبو رحمة، مدير إذاعة المنار في الإذاعة ٣٠ آذار ٢٠٠٤، الساعة العاشرة صباحاً.

مقابلة أجراها الباحث مع خالد صيام، مدير إذاعة صوت فلسطين البرنامج الثاني، في المكتب الإعلامي لحركة "فتح"، ٢٠٠٤/٤/١. الساعة العاشرة مساءً.

محكمو الاستمارة:

د. ناجي شراب، أستاذ العلوم السياسية

د. مخيمر أبو سعدة، أستاذ علم الاجتماع

أ. محمد البردويل، أستاذ الصحافة والإعلام

د. نصر عباس، أستاذ محاضر في جامعة الأزهر

د. موسى طالب، أستاذ الإعلام الفلسطيني

أ. سلاح الدواوسة، محاضر زائر في جامعة الأزهر بغزة

الفصل الثالث

قضايا الشباب في الصحافة العربية المكتوبة

"الحيـــاة" ... نموذجـاً

قضايا الشباب
في الصحافة العربية المكتوبة
"الحيـــاة" ... نموذجـــاً

إعداد: سلام ماجد كيالي*

مقـــدمة

توصف المجتمعات العربية بأنها مجتمعات فتية، لأن الشباب يشكلون الشريحة الأوسع فيها، مقارنة مع غيرها من الشرائح. وعلى ذلك، فإن دراسة أوضاع الشباب وهمومهم تحتل أهمية كبيرة في وقتنا هذا، كونهم مستقبل الأمة والعجلة المحركة لمسيرتها والطاقة المتجددة لتطويرها. إن البحث في قضايا الشباب وأزماتهم يعني البحث في قضايا المجتمع الأساسية.

من هذا المنطلق، فمن الطبيعي أن نبدأ الحديث عن مشكلات المجتمع التقليدية التي مر بها الآباء ولم يستطيعوا إيجاد الحلول المناسبة لها، فبقيت عائقاً أمام الشباب في وقتنا الحالي، كارتفاع معدلات التزايد السكاني، وما ينتج عنه من بطالة بسبب قلة فرص العمل، ومن انخفاض فرص التعليم بسبب تزايد عدد الطلاب وارتفاع التكاليف بالنسبة للعائلة، ومن تدني المستوى المعيشي واتساع حجم الفئات الفقيرة، هذا إضافة إلى الأزمات السياسية المتمثلة بالإحباط نتيجة للفشل العربي في مواجهة التحديات الخارجية، من احتلال وهيمنة وتبعية وعدم التوصل إلى نتيجة إيجابية في الصراع العربي - الإسرائيلي، إضافة إلى

وجود أنظمة تسلطية تحارب التجارب كافة في بناء الديمقراطية وتضيق مجال المشاركة الشعبية، ومن ضمن ذلك مشاركة جيل الشباب في النشاط العام، ولاسيما في المجال السياسي.

والمشكلة الأكبر حاضراً أن المجتمعات العربية عامة (وفئات الشباب خاصة) باتت تواجه مشكلات من نوع جديد بنتيجة مسارات العولمة والثورة العلمية والتكنولوجية، وما نتج عنها من تطور وسائل الإعلام والاتصالات والإنترنت، هذه التطورات التي أدت إلى تعميق الفجوة بين المجتمعات العربية والدول المتقدمة، التي أصبحت تتمتع بالرفاهية والازدهار، ما جعلها محط الأنظار والإعجاب، وأشعل الرغبة عند الشباب العربي في الهجرة والاغتراب أو محاكاة الغرب، إضافة إلى ضعف الانتماء القومي وحتى الوطني. من هنا تظهر أهمية دراسة واقع الشباب العربي والبحث في مشكلاتهم وتقديم الصور الصحيحة عنها.

كما يبرز دور الإعلام في تبيان التحديات التي تواجه الشباب، ولا سيما بعد انتشار وسائل الإعلام والمعلوماتية على صعيد جماهيري واسع ومتشعب، كالتلفاز، والستلايت، والإنترنت. إذ لم يعد يقتصر الإعلام على لعب دور وسيلة الترفيه أو التسلية، ولا على مجرد كونه أداة لنقل الخبر، بل تعداه إلى لعب دور المربي والمنشئ للأجيال إلى جانب المدرسة والأسرة والجامعة والمنظمات الاجتماعية. ومن الملاحظ أن وسائل الإعلام العربية باتت تفرد برامج خاصة تعنى بقضايا الشباب وتبحث في الحلول لمشكلاتهم. وهنا لا يتم الحديث عن البرامج الترفيهية فقط، بل عن مساحة إعلامية متخصصة لبحث قضايا الشباب والأزمات التي يعانون منها.

وقد بات لافتاً للانتباه تخصيص بعض الصحف العربية ملاحق خاصة للشباب، تهتم بقضاياهم وأزماتهم وتعرضها، ومن هذه الصحف النهار، والسفير، والحياة.

من هنا جاءت فكرة دراستي لهذا الموضوع ساعياً وراء تقصي دور هذه الصحف في تغطية هذه القضايا وعرضها. وكيفية التعاطي معها ومدى جدوى هذه الملاحق.

قد يسأل أحدهم عن دور الإعلام في التنشئة الاجتماعية وتكوين الوعي؟

إن الأدوار التي يلعبها الإعلام أساسية في إدارة حياة الناس وقضاياهم في الداخل والخارج، وفي تشكيل آرائهم ومفاهيمهم ومعلوماتهم وسلوكهم.

يقول عبد القادر طاش: "يعتمد الإنسان في اتخاذ مواقفه وصياغة اتجاهاته – كما هو مشاهد ومحسوس– على ما يستقيه من وسائل الإعلام من معلومات وأفكار وآراء".[١] فرسائل الإعلام رسائل مضامين تتحكم فيها قلة من ممتلكي هذه الوسائل كل حسب مصلحته. كما كان يحدث في الحروب التي تخدم فيها الحرب النفسية. وتقول عواطف عبد الرحمن: "تحاول بعض وسائل الإعلام التي تقودها الاحتكارات العملاقة، أن تدعي الحيادية والموضوعية في نقل الأخبار وإعداد المواد المتنوعة، لكنها تغرس في حقيقة الأمر قيمها هي القائمة على تمجيد المجتمع..."[٢] لذا، فلا يمكننا التنكر لهذه الوسائل التي تستطيع تغيير وتبديل الآراء والأفكار". إن وسائل الإعلام اليوم ليست بعيدة عن التربية، بل إنها وسائل تعلم وتؤثر في السلوك".[٣]

وقد أصبح للإعلام في وقتنا الحاضر دور أساسي إلى جانب المدرسة والجامعة في بناء الشباب والأطفال وإكسابهم المبادئ والقيم. وقد اعترفت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال التابعة لهيئة اليونسكو ونشر في كتاب العام ١٩٨١ تحت عنوان "أصوات متعددة وعالم واحد"، حيث يقول "اضطرت المدارس والجامعات إلى التخلي عن احتكارها للعلم نظراً لأن الاتصال يؤدي جانباً كبيراً في وظيفتها التقليدية، حيث بات يعمل اليوم النظامان (المدرسة والاتصال) في تنافس علانية وسراً".[٤] أي أن هذه الوسائل لم تعد للترفيه والإعلام فقط، بل للتنشئة، وعامل مهم في بناء الثقافة والإدراك وكيفية فهم الأشياء التي قد تنعكس سلباً أو إيجاباً على الشباب. وقد تناول هؤلاء الباحثون مسألة التأثير الإعلامي من خلال مستويات هي "التأثير في المعرفة، والتأثير في المواقف، ثم التأثير في السلوك". وهذا ما يؤكده الباحث الأمريكي هربرت شيللر في كتابه **المتلاعبون بالعقول**، إذ يرى في ادعاءات التسلية والترفيه "أيديولوجية مضمرة في كل أنواع القصص الخيالية، فالترفيه الشعبي هو في الأساس دعاية للوضع الراهن ... إن التسلية هي التعليم والتعليم هو الأيديولوجيا".[٥]

في دراستي هذه اعتمدت على تقسيم البحث إلى أربعة أقسام كالتالي:

- القسم الأول: وهو الجزء التمهيدي، وفيه سأقدم دوافع البحث وأهدافه وموقعه بين البحوث الأخرى، إضافة إلى الإشكالية والمنهج والفرضيات، كما سأتحدث عن جريدة الحياة وملحق الشباب الصادر عنها، وأهميته. ودور الإعلام في قضايا الشباب واهتمامه بها.
- القسم الثاني: هو الجزء النظري، وفيه سنتحدث عن قضايا الشباب العربي وهمومهم ومشاكلهم بطريقة مدعمة بالإحصائيات، وهي المشكلات المطروحة في الملحق.
- القسم الثالث: وسنعرض في هذا القسم أهم مشكلات الشباب في المجتمعات العربية، كما وردت في الملحق، في إطار منهجية تحليل المضمون والاستمارة.
- القسم الرابع: وخصصته لطرح الاستنتاجات والملاحظات والخاتمة.

يتمحور البحث التالي حول الشباب العربي، وما يواجهونه من أزمات وقضايا، وكيفية تعاطي الصحف العربية معهم، وبخاصة أن الشباب العربي يعاني في مجال التنشئة الاجتماعية الصحيحة، من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ما يجعلهم يعيشون في جو من الإحباط والتخبط بين الواقع والأحلام.

وتأتي ضرورة دراسة أوضاع الشباب ليس فقط من وزنهم الكمي، بل من وزنهم النوعي أيضاً. فهم الطاقة المولدة، وأكثر فئات المجتمع ديناميكية، فهي التي تبادر وتنفذ وتشق الطرق للأفكار والاتجاهات الجديدة.

لذا، فإن واجب التنشئة لا يرجع إلى الدولة والأسرة فقط، بل للإعلام دور كبير وفعال، كونه من أهم العناصر المؤثرة في السلوك، فهو يحيط بنا من كل جانب، وبكل الأوقات، أي أن له دوراً في تشكيل الفهم والإدراك. وقد اتخذتُ صحيفة **الحياة** لتكون نموذجاً عن وسائل الإعلام.

نادرة هي الصحف العربية التي تتمتع بما تتمتع به صحيفة الحياة من حيث الجدية والموضوعية والليبرالية والتنوع في عرض القضايا وتناول الموضوعات

وإثارة الإشكاليات. فهذه الصحيفة -كما هو معروف عنها- صحيفة عربية تعنى بالشؤون السياسية والثقافية والاجتماعية. وتم تأسيسها العام ١٩٤٦ على يد كامل مروة، حيث تم صدور أول عدد في بيروت كانون الثاني، وتم تطويرها إلى شكلها الحالي العام ١٩٨٩، أي في العام الذي عاودت فيه الصدور بعد انقطاع دام سنوات.

ويترأس تحرير أسرة الحياة الكاتب جورج سمعان، ويوجد نائب لرئيس التحرير هو الكاتب عبد الوهاب بدرخان، ومدير للتحرير هو الكاتب محمد فرحات، وثمة محرر (مدير) لكل قسم أو ملحق من أقسام الصحيفة وملاحقها، يتمتع بنوع من الاستقلالية.

وعلى الرغم من وجود مقرها الرئيسي في لندن، فإنها لم تتوانَ عن استغلال التطور التكنولوجي في إمكانية إيصال المعلومات بسرعة عبر الأقمار الصناعية لتتمكن من الطباعة في معظم العواصم العربية، وبعض الدول الأجنبية. فهي توزع في أكثر من ثلاثين بلداً.

ويعرف عن هذه الصحيفة سعيها إلى عرض الرأي والرأي الآخر في محاولة للانتقال بالقارئ العربي إلى مناخ من الموضوعية والحياد واختيار الأفضل. كما أنها تتعامل مع كتاب ومحللين عرب وغربيين من مختلف الاتجاهات والانتماءات. أما في مجال الأخبار، فقليلة هي الصحف التي تعتمد على كوادرها في جمع الأخبار، وبذلك فإنها تتوخى الدقة والسرعة والمصداقية. وهذا ما تسعى إليه وسائل الإعلام كافة، حيث تتمتع الصحيفة بوجود مكاتب تحرير في عواصم العالم، وأكثر من ١٠٠ مراسل حول العالم.

أما أهم مميزات هذه الصحيفة، فهي تنوعها واهتمامها بكافة شرائح المجتمعات العربية، ومختلف الانتماءات والاهتمامات. فتتراوح صفحاتها ومواضيعها من أخبار العالم والوطن العربي، إضافة إلى تخصيص صفحات ثابتة للشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما يوجد صفحات متخصصة للرأي والأفكار والقضايا. وللصحيفة ملاحق أسبوعية تهتم بقضايا المجتمع العربي وطبقاته مثل:

- الأحد: تيارات وتعنى بالفكر السياسي.
- الاثنين: الوسط وهي مجلة الحياة الأسبوعية.
- الثلاثاء: شباب، ويبحث في هواجس الشباب ومشاكلهم.
- الأربعاء: آفاق، وهو مختص بالثقافة والفنون.
- الخميس: صفحات متخصصة كالعلوم والسيارات.
- الجمعة: ملحق خاص بالسينما والتلفزيون ومستجدات الفن السابع.
- السبت: ملحق المجتمع ويهتم بأحوال المجتمع.

أما قراء الحياة فهم من المتحدثين باللغة العربية، يميل إليها الذكور أكثر من الإناث فوق العشرين عاماً من كل التخصصات. وتوزع الحياة في الخليج العربي، ولبنان، وسوريا، والأردن، وأوربا (فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا)، وإفريقيا، إضافة إلى كل من مصر، والمغرب، والولايات المتحدة، وكندا. كذلك ثمة موقع لصحيفة الحياة على شبكة الانترنيت، وهو موقع مرن وجميل وفيه أرشيف يمتد على مدار سنوات عدة.[٦]

ملحق الشباب

تأسس الملحق في العام ١٩٩٩ ويرأسه حالياً الأستاذ حازم أمين، ويضم فريق عمل نشطاً. ومقالات الملحق قائمة على نظام الاستكتاب في معظمها. وهو يهتم بقضايا الشباب العربي المعاصر من مختلف الأقطار العربية، إضافة إلى بعض اللمحات عن مشكلات الشباب العالمي.

إن المقالات المنشورة ليس الهدف منها إيجاد الحلول، بل عرضها وعرض أسبابها. كما يعمد الملحق إلى نشر ردود الأفعال التي يتلقون معظمها عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني أو الفاكس. ويتم العمل في الملحق يومي الخميس والجمعة. ويتم إصداره يوم الثلاثاء. وغالباً ما يتكون الملحق من أربع صفحات يمكن أن يتم اختصارها إلى اثنتين بحسب الحاجة أو مقتضيات الصحيفة، حيث يصدر من أربع إلى خمس مرات شهرياً. وتتنوع موضوعاته من عنف

وتطرف إلى هجرة واغتراب فتعليم وبطالة. أي أن الملحق عام وشامل، ومليء بالتجديد من خلال اهتماماته وطريقة تحقيقاته.[٧]

لقد اخترت دور الإعلام في إبراز قضايا الشباب العربي كموضوع لرسالتي تحت تأثير نوعين من الدوافع:

١. **دوافع ذاتية:**

- كوني أحد أفراد شباب هذا المجتمع أواجه مشاكلهم، وأزهو بزهوهم، وأتأثر مثلهم بما يحيط بنا من عوامل سلبية: سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، لما تلعبه من دور كبير في بناء هذا المجتمع.
- الرغبة في استشفاف ما للإعلام من دور سلبي أو إيجابي في نشر وحل واستيراد هذه القضايا.

٢. **دوافع موضوعية:**

- المعرفة من خلال الجداول والإحصائيات والاستقصاء والتحليل، التي تحصلت عليها خلال بحثي عن المشاكل الجديدة التي استوردناها من الخارج نتيجة العولمة وتطور الاتصالات، الأمر الذي كان من شأنه تحويل العالم إلى قرية صغيرة بإمكان سكانها معرفة ما يدور في أنحائها في الوقت نفسه وبسهولة متناهية، وكأنهم في قلب الحدث، إضافة إلى ما ورثناه من مشاكل آبائنا لم يستطع معظمهم تجاوزها أو أن تخطيها قد كلفهم تنازلات كثيرة.
- أيضا إعطاء زملائي بعض المعلومات عما يواجهه غيرهم من الشباب في مختلف المجتمعات العربية.

بات الإعلام العربي بمختلف وسائله وبرامجه يبدي اهتماماً خاصاً بالنسبة للشباب. فأصبح التعرض لهموم الشباب أحد المضامين الأساسية لوسائل الإعلام. ومن هنا، وفي محاولة لتوضيح مدى اهتمام الإعلام بشريحة الشباب، فإنني ابتدئ دراستي من خلال إشكالية أسعى إلى الإجابة عنها من خلال منهجية بحث عملية علمية:

الإشكالية:

كيف غطت الصحافة العربية المكتوبة ("الحياة" نموذجاً) قضايا الشباب العربي (مجرد عرض للحالات أم إيجاد الحلول)؟

الفرضيات:

يعتمد البحث على فرضيات نضعها للتوصل إلى حل الإشكالية. إلا أنها ليست بالضرورة صحيحة في نتائج التحليل أو الاستبيان. وهذه الفرضيات هي:

١. إن الشباب المعاصر يواجه العديد من المشكلات والأزمات تختلف من بلد إلى آخر ومن طبقة إلى أخرى.(تطرف، سكن، بطالة، أمية ...).

٢. إن الإعلام العربي بات يبدي اهتماماً خاصاً بقضايا الشباب، ويفتح النقاش بشأن سبل حلها: كإفراد برامج خاصة بالشباب وهمومهم وأحلامهم وتطلعاتهم نحو المستقبل.

٣. دور الإعلام الكبير في إثارة قضايا الشباب وفي فتح نقاش بشأن سبل حلها. والهدف الأساسي هو الوصول إلى الحكومات والمؤسسات الحكومية لإيجاد الحلول.

٤. إن القضايا التي يطرحها الإعلام عامة، والصحافة خاصة، هي ذاتها التي يواجهها الشباب على أرض الواقع.

تعريف المصطلحات:

وجب تعريف بعض المصطلحات التالية لتكرار ورودها في الرسالة، للتأكيد على المعنى الصحيح لها وتبيان المقصود منها في متن الرسالة:

- الشباب: هم القوة الخلاقة والطاقة المتدفقة والحيوية والعنفوان والطموحات الكبيرة والأحلام والحماسة الوطنية. فهم القوة العاملة والمحركة للأمة.[٨] وبحسب سامية الساعاتي: فالشباب هي ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي واضحة.[٩]

- الاغتراب: هو مرحلة عابرة في تاريخ المجتمع، نابعة من تقسيم العمل والملكية الخاصة، حيث أن الروابط الاجتماعية بين الناس تقام عفوياً، وتخرج عن نطاق تحكمهم، فتغدو كل الأنشطة حكراً بيد جماعة معينة، فيتحول كل شيء إلى غريب بالنسبة لباقي أفراد المجتمع، وبالنتيجة يتغرب الأفراد عن ثمار نشاطات المجتمع.[١٠]

- الحرب: حالة نزاع مسلح بين الدول أو الشعوب أو الطبقات. والحرب استمرار لسياسة الطبقات بوسائل العنف. لذا، فإن فهم مضمون الحرب، وطابعها وأهدافها يتطلب تبيان ما هي المصالح الطبقية التي تنعكس في الحرب المعنية.[١١]

  الحرب من منظور آخر هي القتال المسلح الذي ينشب بين دولتين أو أكثر في سبيل تحقيق هدف سياسي عسكري، وتخوض غمارها جيوشها النظامية لحل النزاع القائم بينها بعد إخفاق جميع المساعي الدبلوماسية. وتحاول كلتا الدولتين فرض إرادتها على الأخرى بالقوة.[١٢]

- السياسة: ميدان من النشاط، يرتبط بالعلاقات بين الأمم والطبقات وغيرها من الفئات الاجتماعية. إن محور السياسة هو الاستيلاء على سلطة الدولة والاحتفاظ بها واستخدامها. ويدل هذا المفهوم على منظومة المجتمع السياسية ودور الدولة والأحزاب في القيادة، وعلى مشاركة مختلف الفئات الاجتماعية في الحياة السياسية.[١٣]

- التطرف والعنف: الرؤية التي تتخذ من الأصل، سواء أكانت نصوصاً دينية أم مذهباً دينياً أو سياسياً أو جذراً عرقياً، أو مرجعاً أساسياً وسنداً مطلقاً نهائياً في مفاهيمها وسلوكها. فليست كل مرجعية إلى أصل ثابت تتسم بالأصولية. وإنما تصبح هذه المرجعية أصولية إذا تكررت هذه المرجعية واحتكرت وطغت بشكل مطلق وأصبحت نهجاً مسيطراً، وهي سعي إلى فرض النصوص الدينية المقدسة على كل شؤون الحياة والمجتمع.[١٤]

- البطركية: النظام البطركي مفهوم يستخدم لتعريف نوع معين من التفكير والعمل ونمط متميز من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي. ويتسم المجتمع

البطركي بسيطرة الأب على العائلة، شأنه في المجتمع، فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة بشكليها الطبيعي والوطني، إذ أن العلاقة بين الأب وأبنائه وبين الحاكم والمحكوم، علاقة هرمية، فإرادة الأب، في ظل من الإطارين هي الإرادة المطلقة.[١٥]

- الانحراف: هو الموقف أو الفعل الذي يقوم به أو يقفه الفرد ويكون مضاداً للمجتمع، ويتجلى ذلك في رد هذا الرفض رداً غير منسجم مع الخصائص الفعلية للآخرين، ويعلل هذا الرد اجتماعياً من وجه نظر سبنسر بسلسلة من الأدوار التي يخضع تتابعها لبعض قوانين النمو الأساسية.[١٦]
- الاستمارة: هي حلقة تقنية من حلقات متابعة تعبر عن عمليات تركيب وتحليل تهدف كلها لفهم الظاهرة في العمق. فهي مشدودة للخلفيات النظرية، وستصبح بعد تنفيذها مجالاً لاختبار الإطار النظري وللتدليل على مدى صلاحيته.[١٧]
- تحليل المضمون: بحسب بيرلسون، فهو وسيلة بحث يستخدمها الباحث لوصف "المحتوى الظاهر للرسالة الإعلامية وصفاً كمياً وموضوعياً ومنهجياً".[١٨]

منهجية العمل

إن خصوصية البحث، وقضاياه، ونكهته العملية، جعلت من الصعب التوصل إلى الإجابة عن الإشكاليات الموضوعة بشكل موضوعي، وبنتائج موثوق إما سلبياً وإيجابياً، إلا إذا كان المنهج عملياً، أي بطريقتي تحليل المضمون والاستمارة بشكل متوازي، فالقيام بدراسة الموضوع بطريقة عملية تتيح التعرف على طريق عرض الصحيفة لهذه القضايا (تحليل، وعرض، وإيجاد حلول) ومقارنتها مع آراء الشباب حول هذه القضايا.

لذلك فقد استلزم البحث اتباع الخطوات التالية:

١. إجراء تصنيف وإحصاء للمقالات (ترتيبها في جداول) التي نشرت في ملحق الشباب في جريدة الحياة على مدار عام (نوع الأزمة أو القضية، وعدد تكرارها).

٢. تقديم عرض موجز لأهم القضايا التي تناولها الملحق مدعومة بإحصائيات وشهادات لباحثين.

٣. إجراء تحليل مضمون للقضايا التي تناولها ملحق الشباب في صحيفة الحياة.

٤. تنظيم استمارة(استبيان) لعينة من طلاب الجامعات في تونس حول أهم القضايا والمشكلات التي تشغلهم. وليس الهدف منها علمياً بل كمقاربة تجريبية، وهذا فقط للقيام بمقارنة بين نتائج الاستمارة وبين نتائج تصنيف القضايا التي تناولها الملحق والتي تم تنظيمها في جدول.

وفيما يلي لمحة بسيطة عن طريقتي الاستمارة وتحليل المضمون:

.. الاستمارة:

إن الأشخاص الذين سنجري عليهم اختبار الاستمارة سيخضعون للمتغيرات التالية:

- نوع النشاط أو العمل (طالب، موظف، عاطل عن العمل).
- الجنس (ذكر أم أنثى).
- الفئة العمرية.
- القضايا التي يجب الاهتمام بها.[١٩]

.. تحليل المضمون:

إن التحليل الذي قام البحث عليه في الأساس كطريقة للإجابة عن الإشكالية في سبيل تبيان صحة أو خطأ الفرضيات يقوم على خطوات متتالية لتسهيل سير البحث، هذه الخطوات تبدأ بتحديد المفاهيم والفروض العلمية. والفرض هو تعميم مبدئي تظل صحته وصلاحيته موضع اختبار. ودقة الفرضيات تؤدي إلى دقة البحث ونتائجه.

أما اختيار العينة، فيجب أن تكون شاملة من حيث الخصائص والوحدات، لكي لا يكون البحث منقوصا.

بعد اختيار العينة يجب تحديد وحدات تحليل المضمون التي سنعتمد عليها خلال الدراسة. وتختلف الوحدات من وحدة الكلمة وهي أصغر الوحدات المستخدمة ويترتب عليها الحصول على قوائم تسجل فيها تكرارات ورود الكلمات أو فئات أخرى مختارة في المادة موضوع التحليل. إن الموضوع يمكن أن يكون وحدة مستخدمة (جملة بسيطة) أو فكرة تدور حول مسألة معينة. والمساحة والزمن والشخصية هي أيضاً من وحدات تحليل المضمون. وقد استعملت وحدة الفكرة في البحث كونها أشمل من الكلمة.

كما يعتمد تحليل المضمون على الوصف الكمي، أي أن تنظم الوحدات المكونة للرسالة (الكلمات، الجمل، المقاطع، الزمن ...) ذات وزن متساوٍ في الأهمية.

قياس ثبات التحليل: وهو مقارنة الفرضيات بنتائج التحليل.[٢٠]

عينة البحث:

إن أسلوبي البحث (تحليل المضمون والاستمارة) أوجبا علينا إن نختار عينة من أعداد الملحق، وأن نختار العينة التي سنجري عليها الدراسة ونحددها.

كما يجب التنويه بأن الشرط الأساسي لانتقاء العينة هو أن تمثل مجتمع الدراسة تمثيلاً موضوعياً. لذا، فإن أعداد الملاحق التي سنجري عليها الدراسة ستكون على مدار سنة من (سبتمبر ٢٠٠٢) ولغاية (آب ٢٠٠٣)، وسنختار عددين من كل شهر بشكل عشوائي، لكي تجمع الأعداد كافة تقريباً في بداية الشهر ونصفه وآخره.

وبما أننا سنعتمد العينتين العشوائية والقصدية في الدراسة، فيتحتم علينا إذاً أن نعرفهما:

١. العينة القصدية أو العمدية: هي التي تتم عن طريق الاختيار العمدي أو التحكمي، أي الاختيار المقصود من جانب الباحث لكل من وحدات المعاينة، حيث يرى الباحث هنا (طبقاً لمعرفته التامة بمجتمع البحث) أنها تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً صحيحاً.[٢١]

وسأستخدم هذه الطريقة في حصر أعداد العينة من الفترة ما بين (سبتمبر ٢٠٠٢) ولغاية (آب ٢٠٠٣).

٢. العينة العشوائية أو الاحتمالية: وهي طريقة اختيار العينة بطريقة عشوائية عن طريق حصر جميع مفردات مجتمع البحث، ومن ثم تحديد حجم العينة المطلوب، ثم سحب وحدات العينة بطريقة عشوائية.[٢٣]

وفي هذه الطريقة من العينة وقع توزيع الاستمارة على مجموعة من الشباب من مختلف البلدان العربية، والفئات العمرية، سواء أكانوا طلاباً أم عاطلين أم يعملون. كما سأستخدمها في سحب أعداد العينة المحصورة ما بين التاريخين السابقين، بحيث اختار يومين من كل شهر.

تعددت البحوث في معهد الصحافة وعلوم الإخبار التي تتناول الشباب ووجودهم في مضامين وسائل الإعلام، سواء أكانت مكتوبة، أم سمعية، أم بصرية. كما اختلفت هذه الرسائل والبحوث من حيث محاورها ومواضيعها كالهجرة والعنف وتأثير وسائل الإعلام على الشباب والتعليم. ومن المواضيع التي قدمت في هذا المجال يمكن ذكر الدراسات التالية:

- "الصحافة الموجهة للأجيال الجديدة للهجرة .. الجيل الثاني والثالث" للطالبة عواطف مهدي في دورة ٢٠٠٣ كان آخر هذه البحوث، حيث اهتم بظاهرة الهجرة عند الشباب.
- سبقها في العام ٢٠٠٢ محمد إبراهيم ولد مالك، وتحدث عن إعلام الشباب في هذه الوسائل من خلال رسالة تخرجه وعنوانها "الإعلام الشبابي في موريتانيا".
- في العام ١٩٩٥ وتحت عنوان "الشباب والبرامج التلفزيونية الغربية عبر الأقمار الصناعية"، قامت الطالبتان سيدة العوني وهدى الركيكي، بالبحث بمدى تأثر الشباب بوسائل الإعلام الغربية، ونتائج ذلك عليهم.
- في العام ١٩٩٠ نشر بحث "الشباب قضايا وآراء من خلال بريد القراء"، في جريدتي الصباح والشروق لآمال الوسلاتي. وهو بحث يشابه بحثي نوعاً ما، لأنه يتعرض لكافة قضايا الشباب ومشاكلهم تقريبا.

تتجلى أهمية البحث من كونه جديداً في نوعه، ففي مراجعتي لما كتب حول هذا الموضوع تبين لي ندرة الدراسات التي بحثت فيه، فثمة دراسات تتحدث عن تأثير التلفزيون على الأطفال مثلا أو الهجرة عند الشباب، وثمة دراسات تتحدث عن دور الإعلام بشكل عام في تأثيره على المجتمع، ولكنني لم ألحظ دراسات معنية بدراسة مدى اهتمام وسائل الإعلام بقضايا الشباب، ولاسيما وسائل الإعلام المكتوبة، وهو ما شجعني على خوض غمار هذه التجربة.

هذه الدراسة تحتاج بالطبع إلى مزيد من الإغناء والتطوير، كون وضع الشباب يتغير بتبدل الظروف الزمانية والمكانية.

وفي واقع الأمر، فإني لم أتعرض إلى أية مشاكل قط إلا فيما يتعلق في عينة الدراسة، حيث اضطررت إلى السفر إلى مقر الصحيفة في بيروت، للحصول على باقي أعداد العينة، وقد قدمت لي أسرة تحرير "الحياة" مشكورة كل عون لازم، وأخص بالذكر المسؤول عن الملحق الأستاذ حازم الأمين، والآنسة بيسان الشيخ، وكذلك المسؤولين عن برنامج مدرسة "الحياة"، الذي تنظمه الصحيفة لتقديم المشورة للطلبة في الجامعات، ولاسيما في قسم الصحافة، بهدف تعزيز العمل الصحافي العربي. وقد ساهمت هذه الزيارة بتعريفي بشكل عملي بصحيفة الحياة، بزخمها وغناها، وبمشاكلها وصعوباتها، وتركت لدي أثراً كبيراً ساهم في تشجيعي وفي إغناء دراستي.

واقع الشباب العربي ومشكلاته

في هذا القسم سأقدم شروحات لأهم القضايا المذكورة في الملحق مدعمة بإحصائيات وأفكار لكتاب ومفكرين لإثراء البحث بالمعلومات المفيدة.

يقول الشاعر الفيلسوف الألماني غوتة:"مستقبل الأمة تابع لطاقات عناصرها الفتية".[٢٣]

الشباب هم صلة الوصل بين حاضر الأمة ومستقبلها، وهم الأمل المجدد، وبهذا فإن صلاح أوضاعهم وخلو حياتهم من الأزمات يعني تماسك المجتمع وتطوره وازدهاره.

بات الحديث عن قضايا الشباب وهمومهم واقعاً لا بد منه ولا مهرب من معالجته، فالشباب هم الشريحة الأوسع مقارنة بباقي شرائح المجتمع، حيث يكونون ما يقارب الأربعين بالمائة من السكان في الوطن العربي،[٢٤] وبالتالي فما يواجهونه من مشاكل هي بالضرورة مشاكل وهموم المجتمع. أي أنهم مقياس تقدم المجتمعات ودليل معرفة تطورها.

والشباب العربي في وقتنا الحاضر يواجه أزمات وقضايا تمتد جذورها وتتفرع في قلب الواقع العربي. وسأقوم بالتعرض لها، ولكن أولاً سأوضح أحد أهم الأسباب الرئيسية المؤدية لها وهي:

التزايد السكاني

ليس التزايد السكاني مشكلة بحد ذاته، إلا أن التزايد غير المرفق بخطط تنمية وبتزايد الاستثمارات لزيادة فرص العمل في السوق أدى إلى جعله مشكلة تتولد وتتفرع عنها مشكلات البطالة، والفقر، والتعليم، والسكن، ... وغيرها.

فبحسب التقرير الاقتصادي العربي الموحد (العام ٢٠٠١)، فإن الدول العربية لها أعلى نسبة نمو بين الأقاليم الرئيسية في العالم. [(٢,٣٪) بينما العالم (٠,٦٪) وفي الدول النامية (١,٩٪)]، عدا إفريقيا جنوب الصحراء، حيث تتميز ببطء انخفاض معدلات الخصوبة، يصاحبه انخفاض سريع في معدل الوفيات؛ أي أن نسبة الشباب كثيرة، وبالتالي فهي ستحافظ على ارتفاع معدل النمو، وبالتالي ستتفاقم مشكلات البطالة والفقر والسكن، بسبب تدني مستوى التنمية والاستثمار، وبسبب التخلف الاقتصادي والاجتماعي.

ويقدر عدد سكان الوطن العربي بحسب إحصائيات ٢٠٠١ بحوالي ٢٨٨ مليون نسمة، ومن المتوقع ارتفاعه إلى نحو ٣١٥ مليون نسمة العام ٢٠٠٥. ويشكل عدد سكان مصر نسبة كبيرة من إجمالي عدد سكان الوطن العربي(٢٢,٦٪). وثمة خمس دول عربية كبرى: كالعراق، والسودان، والمغرب، والجزائر، ومصر يتجاوز عدد سكان كل منها ٢٠ مليون نسمة، بينما ثمة دول أخرى مثل البحرين وجيبوتي وقطر وعمان يقل عدد سكانها عن المليون. وقد نجحت بعض الدول العربية في فرض برامج الأسرة وتخفيض معدل النمو السكاني مثل تونس التي بلغ معدل النمو السكاني نحو (١,٢٪).[٢٥]

١) **التعليم:**

تواجه أغلبية متلقي التعليم في الوطن العربي مشاكل في كيفية التعليم ونوعيته مع قلة الإمكانيات المستثمرة في هذا المجال، وطبعاً ترجع إلى شخصية وظروف كل بلد من حيث وضعه الاقتصادي، أو سياسته، أو تطبيقه لطرق التعليم، وذلك يرجع لأسباب عدة من وجهة نظر د. نبيل علي:[٢٦]

١. جمود مناهج التعليم: فهي لا تواكب التطور في العلوم الإنسانية والتقنية. ومعظم المناهج المقررة في الأقطار العربية قديمة ولم تواكب التطور في مجالات العلوم.

٢. التلقين وسيطرة التعليم الأكاديمي: إن التعليم في معظم الأقطار العربية هو مجرد تعليم نظري يغلب عليه التلقين والحفظ، دون اللجوء إلى تفعيل دور الطالب (سواء في المدارس أم الجامعات)، وبالتالي تخفي هذه الطريق عند الطالب روح المشاركة والمبادرة والابتكار.

٣. قلة فرص التعليم وعدم مساواتها: فرص التعليم ليست متوفرة للجميع (مثل أهل الريف)، حيث تتفاوت الخدمات بين الريف والحضر، وإن توفرت من قبل الدولة فإن ظروف المدارس سيئة من حيث التجهيز وعدد الطلاب. كما أنها ليست بجودة ومكانة التعليم الخاص الذي بدوره ليس متوفراً للجميع بسبب ارتفاع كلفته. كما أن الدروس الخاصة ألغت ما للتعليم المجاني من ميزة.

٤. انفصال شبه تام بين التعليم وسوق العمل: أي انعدام التخطيط بين التعليم ومتطلبات سوق العمل والمشاريع.

وبحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢، فإن نسبة الأمية في المجتمعات العربية تبلغ حوالي ٤٣٪، وأنه ثمة ٦٥ مليون عربي بالغ أمي ثلثهم من النساء. وحل المشكلة سيستغرق أكثر من ربع قرن. أما التعليم العالي، فإن نسبته محدودة لا تتجاوز ١٣٪، بينما في الدول الصناعية تصل إلى ٦٠٪.[٢٧]

أما الإنفاق على التعليم فهو ضئيل، إذ بلغ نصيب الفرد في العام ١٩٩٤ حوالي ١١٠ دولارات أمريكية، بينما وصل في البلدان المتقدمة إلى ١٢١١ دولاراً أمريكياً.

الجدول التالي يبين الفرق في الإنفاق على التعليم بين دول العالم الثالث والدول الأوربية والبلدان العربية:[٢٨]

جدول ١: الفرق في الإنفاق على التعليم بين دول العالم الثالث والدول الأوربية والبلدان العربية

العام 1998	مليار دولار	% إنفاق من الناتج القومي	متوسط نصيب الفرد من الإنفاق العام على التعليم دولار
الدول العربية	27.5	5.2	110
الدول النامية	206.6	3.9	48
الدول المتقدمة	1123.3	5.1	1211

أما البحث العلمي، فبحسب دراسات التقرير الاقتصادي الموحد للعام ٢٠٠٢، فإن نسبة الإنفاق على البحث والتطوير في العالم العربي تبلغ ٠,٥ بالمائة من الناتج المحلي في أواخر التسعينيات. ففي مصر بلغ ٣٤٩ مليون دولار، وفي السعودية ٢٩١ مليون دولار، أما في إسرائيل فبلغ ٢٤١٩ مليون دولار، والولايات المتحدة ٢٧٧١٢٦ مليون دولار وفرنسا ٣٤٢٥٣ مليون دولار، أي أن حجم الإنفاق في إسرائيل ٢,٤ بالمائة، وفي الولايات المتحدة ٢,٦٪، وفي فرنسا ٢,٤٪، ومصر ٠,٤٪، والسعودية ٠,٢٪، وهذا يدعو للتشاؤم، إذ أن حصة الفرد في البلدان العربية تبلغ ١٨ دولاراً سنوياً بينما تزيد عن ٢٥٠ دولاراً في الدول المتقدمة.[٢٩]

ويرجع كل من د. زهير حطب، ود. عباس مكي مشاكل التعليم إلى أسباب تشبه نوعاً ما سبق ذكره مثل:

- مشكلات مطروحة داخل مؤسسة التعليم.
- مشكلات مرتبطة بالمعلمين.
- مشكلات ذات صلة بإدارة مؤسسة التعليم.
- مشكلات مناهج التعليم.
- مشكلات الإطار المادي والتجهيزات الأساسية.[٣٠]

٢) البطالة:

يشكو المجتمع العربي من ضآلة فرص العمل أو عدم تزايد هذه الفرص بشكل موازي للتزايد السكاني. إذ تبلغ نسبة العاطلين عن العمل ١٥ بالمائة؛ أي لا يقل عن ١٢ مليون عاطل عن العمل. وإذا لم يتم إيجاد الحلول فمن المتوقع أن يصل عدد العاطلين عن العمل نحو ٢٥ مليون بحلول العام ٢٠١٠ (تقرير التنمية الإنسانية، ٢٠٠٢). علما أن الوطن العربي يحتل ١٠ بالمائة من مساحة العالم، وعدد سكانه ٣٠٠ مليون نسمة (٤,٥) بالمائة من سكان العالم.[٣١]

وتطال البطالة في العالم العربي الشباب وغالبيتهم من المتعلمين، وليس من الغريب بهذه النسبة من البطالة وبمختلف أنواعها (مقنعة، موسمية، دائمة) أن ينتشر الفقر في الوطن العربي، وبخاصة في ظل سوء توزيع الثروة والموارد والمقدرات، وخصوصاً أن مفهوم الرفاهية الذي تقوم عليه التنمية الإنسانية يقوم على مبادئ غير متوفرة في البلاد العربية، كاحترام حقوق الإنسان، وحقوق المرأة.[٣٢]

فبحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢، فإن الناتج المحلي لكل البلدان العربية يقدر بـ(٥٣١,٢) بليون دولار أمريكي؛ أي أقل من دخل دولة أوربية واحدة كأسبانيا، والبالغ ناتجها المحلي الإجمالي ٥٤٥,٥ بليون دولار.

كما أن معدل نمو دخل الفرد العربي خلال العقدين الماضيين هو الأقل في العالم باستثناء إفريقيا جنوب الصحراء، وبهذا المعدل فالمواطن العربي يحتاج إلى ١٤٠ عاماً ليضاعف دخله. بينما في مناطق أخرى يتضاعف دخل الفرد كل عشر سنوات.[٣٣]

٣) التطرف:

إن التفتت الفكري والتعصب لرأي أو لسياسة أو دين هو بمثابة مرض مستشرٍ في المجتمعات العربية. وربما يرجع هذا إلى فقدان التجربة الديمقراطية وانعدام الحريات. فالتطرف بشكليه السياسي والديني أصبح ملحوظاً. طبعاً هذا خطأ كبير. فلكي نتمكن من تجميع الآراء وجذب الناس حول فكر معين، علينا اتباع طرق انتعاش وتبادل الآراء وطرح الأفكار للتطوير. فمثلاً الحركات الأصولية الدينية المنتشرة في مصر والجزائر وغيرهما من البلاد العربية ابتعدت كل البعد

عن طابعهما الديني الإسلامي، وجردت الإسلام من معنى التسامح بمجرد أن استعملت القوة لإرهاب الناس. وفي الفترة ما بين ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠١ ازدادت الضغوطات التي يمارسها الأصوليون الإسلاميون ضد حرية الثقافة والإبداع في العالم العربي، بدعوى الحفاظ على العقيدة الدينية.[٣٤] أي أن الإنسان العربي وبسبب ظروف حياته الصعبة من ضغوطات وتسلط الأنظمة الحاكمة ودكتاتوريتها أصبح معتاداً على أسلوب التطرف والتعنت دون الوقوف في أواسط الأمور.

٤) السياسة:

من الغريب وفي منطقة مثل الوطن العربي محاطة بالتحديات والضغوطات أن لا تتمتع المجتمعات العربية بشيء من الحرية أو الديمقراطية، وأن تتسم بالركود السياسي فتبقى السلطة والسياسة حكراً على أشخاص ثابتين لم يتغيروا منذ سنوات (حكومات)، حتى أنهم لم يحولوا تطوير الوضع السياسي في البلاد بما يتلاءم مع التغيرات في العالم.

كما احتكروا كل المناصب الرفيعة في الحكومة، والجيش، والاقتصاد، والمؤسسات، ما جعل وجود الشباب شبه معدوم، وبالتالي فإن الأفكار الحديثة والتغيرات ظلت نادرة.

كما أن السلطة في الحكومات العربية ترجع إلى شخص واحد يتخذ جميع القرارات على مختلف الأصعدة، ويسيطر على مؤسسات الدولة بما فيها التجارية والاقتصادية لمصلحته وحاشيته. وبرأي شرابي فإن المجتمع العربي تقليدي يتصف بالأبوية أو البطريركية والنزوع إلى الاستبداد.[٣٥]

كما أن هذا النظام لم يتوانَ عن اعتماد الأجهزة الأمنية كعناصر فاعلة في الدولة لكبح جماح الجماهير من أية فكرة أو محاولة للتغيير، حيث يقول الدكتور هشام شرابي: "الجدير بالذكر أن أكثر العناصر تقدماً وفاعلية في الدولة البطريركية الحديثة (الأنظمة المحافظة والتقدمية على سواء) هو جهاز الأمن الداخلي؛ أي جهاز المخابرات". كما يضيف: "إن الأنظمة البطريركية ترتكز على ازدواجية الدولة بمعنى أن هناك تنظيماً عسكرياً بيروقراطياً إلى جانب تنظيم سري بوليسي مهيمن وأداة ضبط في الحياة المدنية".[٣٦]

وقد رصد تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢ (الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي) ثلاثة نواقص أساسية تواجه جميع الدول العربية، وهي نقص الحرية، ونقص تمكين المرأة، ونقص المعرفة. أما نقص الحرية، فما زالت المشاركة السياسية في المنطقة العربية دون المستوى المتحقق في جميع مناطق العالم على الرغم من الإنجازات المتحققة في بعض البلدان العربية في ربع القرن الأخير، ومازالت منظمات المجتمع المدني تعاني من عقبات تحد من إنشائها وعملها بفاعلية.[٣٧]

٥) الحروب:

إن موقع الوطن العربي الإستراتيجي وطبيعته التي جعلته غنياً بالموارد والثروات، جعلته محط أنظار لكل الطامعين منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر، فتتالت عليه الحملات الاستعمارية من الروم والفرس ثم المغول والصليبيين إلى الاحتلال العثماني فالأوروبي، ومؤخراً الاحتلال الإسرائيلي الذي بات مزروعاً في حلق الوطني العربي، مهدداً كل محاولات التقدم وتدمير أفكاره الوحدوية. كل هذا أدى إلى خلق حالة من عدم استقرار، وبخاصة أن الكيان الصهيوني لم يفوت على نفسه أية فرصة في سبيل التوسع والاحتلال، ما أدى إلى جعل شباب الوطن العربي يعانون من ضعف مواجهتهم لهذا الكيان. وبحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢، فإن الاحتلال الإسرائيلي غير المشروع للأراضي العربية يعد إحدى أكبر العقبات المهددة للأمن والتقدم في المنطقة. وبالنسبة لبعض الدول العربية، فقد احتلت أجزاء منها أيضاً، واستضافت اللاجئين، ما زاد في المعاناة والضغط على الموارد، وزاد الإنفاق العسكري والتوتر الأمني. واستخدم الاحتلال كذريعة لعدم الاستجابة لمطالب الحرية والتعددية السياسية.[٣٨]

٦) الرغبة بالسفر والهجرة:

حسب تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢، فإن الشعور بالإحباط ظاهرة لافتة للانتباه اتجاه الوطن الأم. فما يقلق أن ٥١ بالمائة من المراهقين صرحوا برغبتهم في الهجرة لعدم رضاهم عن الأوضاع الحالية.[٣٩] فالانهزامات المتتالية التي حلت بالأمة العربية والانحلال وعدم الإجماع على كلمة واحدة جعلت الشباب يشعرون بالضياع والاغتراب حتى داخل الوطن.

إن تردي الأوضاع الاقتصادية في البلدان العربية (ضعف نمو الصادرات بنسبة ١,٥ بالمائة، وهي أقل كثيراً من المعدل العالمي بـ ٦ بالمائة، كما يقل دخل الفرد من السكان عن دولارين يومياً) جعل السفر إلى الخارج الهدف الأساسي للشباب سعياً وراء فرصة عمل تؤمن له العيش الكريم. وبعد حلول العام ١٩٧٦، غادر البلدان العربية نحو ٢٣ بالمائة من المهندسين، و٥٠ بالمائة من الأطباء، و١٥ بالمائة من جميع حملة الشهادات الجامعية الأولى إلى المهجر.[٤٠]

٧) الأسرة:

تلعب الأسرة دوراً كبيراً في تكوين مدارك الأبناء وقيمهم وعاداتهم. إلا أن الفجوة تتسع يوماً بعد يوم في العلاقة بين الآباء والأبناء بسبب الاختلاف الحاصل في المسلك العام والتصرفات والقيم. ويرجع هذا إلى ثورة الإعلام والاتصالات التي أدت إلى النقل السريع لأشكال مختلفة من التغيرات في الحياة الفكرية ومظاهر العادات والقيم. هذه التغيرات جعلت الهوة كبيرة ثقافياً واجتماعياً بين ما هو قديم وما هو جديد.

"لعقود طويلة سابقة لعبت الأسرة والقبيلة والمدرسة وأماكن العبادة الدور الأكبر في تكوين مدارك الإنسان وثقافته وتشكيل منظومة القيم التي يتمسك بها، وما يفرزه ذلك من عادات وتقاليد في السلوك. أما اليوم، فإن هذا الدور انتقل بشكل كبير إلى التلفاز والإنترنت وألعاب الكمبيوتر والهاتف النقال".[٤١]

كما أن المجتمع العربي يتصف بالأبوية أو البطريركية، بمعنى أن هناك نزعة استبدادية عند الآباء في اتخاذ القرارات كافة. ففي كتابه أوضح د. هشام شرابي (البنية البطريركية) أن السمات الأساسية لهذا النوع من المجتمع؛ سواء أكان محافظاً أم تقدمياً، هي سيطرة الأب في العائلة؛ أي أن العلاقة بين الأب والأبناء علاقة هرمية. فإرادة الأب هي الإرادة المطلقة والعلاقة مبنية في الإجماع القسري الصامت المبني على الطاعة والقمع.[٤٢]

٨) العلاقة مع الجنس الآخر:

معروف عن المجتمعات الشرقية والعربية بالذات التشدد في العلاقات مع الجنس الآخر. فعادات وتقاليد هذه المجتمعات تعارض قيام علاقات بغير زواج أو خطبة.

"التقاليد الاجتماعية المحافظة والحرمان العاطفي والكبت الذي تعانيه الفتاة، تدفعانها إلى خوض تجارب الحب داخل الجامعات".[٤٣]

كما أن المرأة ليست كاملة الحقوق (كما في الخليج)، فهي لا تملك حق التصويت والانتخاب. وهذا يرجع إلى العادات البالية التي لم تتجدد، فحافظت على تخلفها في هذه الأمور. بينما تطور وضع المرأة في المجتمعات الغربية، فأصبحت المرأة تمسك بزمام الأمور إلى جانب الرجل وتتحكم بالأحداث السياسية والاقتصادية. وهذا ما جعل المجتمعات الغربية تتطور، فالمرأة نصف المجتمع، ولا نستطيع نكران دورها في مختلف المجالات. ونلاحظ اليوم أن بعض البلاد العربية تحررت من بعض هذه القيود فأصبحت المرأة تعمل في مختلف المهن.

وكما ذكرنا سابقاً النواقص الثلاثة الأساسية التي تواجه الدول العربية (نقص الحرية، ونقص تمكين المرأة، نقص المعرفة)، فإن نسبة استخدام طاقات المرأة العربية من خلال المشاركة السياسية والاقتصادية هي الأكثر تدنياً في العالم، وفي عدد من البلدان العربية تعاني النساء أيضاً من عدم المساواة في حقوقهن كمواطنات.[٤٤]

٩) الـزواج:

إن الفقر والبطالة هي من أهم المعوقات بالنسبة أمام طريق الشاب إلى الزواج. فالظروف المعيشية أصبحت قاسية، بحيث جعلت بناء أسرة تنعم بحياة متواضعة هنيئة من ضروب الحظ.

وحتى بعد الزواج، فان شبح الفقر وسوء المعيشة يطارد الشباب، ما يؤدي في بعض الأحيان إلى حصول الطلاق بعد الزواج بسنوات أحياناً.

كما أن غلاء المهور عند بعض الأسر وتكلفة مراسم الزواج هي العقبة الثانية بعد المسكن الذي بات حلماً عند البعض. وهذا يعود إلى قلة التسهيلات في شراء المنازل، وقلة الرواتب وغلاء الأسعار، حيث تشير سميرة الخياري رئيسة تحرير ملحق الأسرة الأسبوعي في صحيفة الثورة في لقاء مع الحياة إلى أن تأخر الشباب عن الزواج يرجع إلى سوء الوضع الاقتصادي، وغلاء المهور عند بعض العائلات.[٤٥]

١٠) الفراغ:

من الواضح أن شبابنا اليوم يعيش في حالة من الفراغ الكبير لعدم وجود قضية تشغل تفكيرهم، وهذا عائد إلى سياسات الأنظمة العربية التي -للأسف- تسعى إلى إبعاد الشباب عن التفكير في الأمور السياسية والحكم والديمقراطية في البلاد. كما يرجع هذا الفراغ إلى سلسلة الانهزامات العربية في مواجهة الكيان الصهيوني، ما جعله يعيش في حالة من اليأس. ففي كتابه المجتمع العربي في القرن العشرين يرى د. حليم بركات أن هناك أوضاعاً تحيل العربي إلى كائن مغترب عن نفسه ومجتمعه ومؤسساته، وتضطره لأن يساوم ويتكيف مع واقعه الأليم بدلاً من العمل على تغييره في سبيل تحقيق النهضة التي حلم بها العرب.[٤٦]

ولعل هذا كله أبعد الشباب عن التفكير المنطقي والعقلاني وإلى اتباعهم لبعض مظاهر الحياة السخيفة التي تفرغ قلب الشباب من معاني التحدي والثورة والسعي إلى التطور. وهذا أيضاً ما تشجع عليه بعض الأنظمة.

إن للأنظمة أو الحكومات، وبخاصة التي تعشش عشرات السنين في زوايا الحكم طرقاً عدة لإبعاد الشباب عن مجرد التفكير في الأمور السياسية والحكم، وعلى سبيل المثال: أن تبقي الشاب في حاجة إلى المال، حتى ولو كان في وظيفة محترمة، وذلك لكي لا يفكر بأكثر من طعامه وقوت عياله، ما يؤدي وبطريقة غير مباشرة إلى العمل كمخبر لكي يكسب المال، أو أن يعمل بوظيفة بعد دوامه الأول، وبهذا ينشغل حتى عن عائلته.

أما الطريقة الثانية، فهي أن يتم إتاحة المجال للشباب بالحصول على المسكرات وبعض الأنواع من المخدرات، إضافة إلى الفساد الأخلاقي بسهولة، وبهذا يبتعد عن أحلامه وأهدافه. ويقول زكي حنكوش: "الشباب يعانون من إرهاب اقتصادي (الأزمات الاقتصادية)، وإرهاب اجتماعي (ظلم اجتماعي)، وإرهاب عدلي (ضياع الحقوق وعدم تكافؤ الفرص)."[٤٧]

كما نلاحظ اليوم صراع الشاب مع عادات مجتمعه وتقاليده القديمة في محاولة لركوب موجة التطور ومحاكاة الغرب وتقليده في الموضة والموسيقى الصاخبة، التي أصبحت اليوم منتشرة بين فئات واسعة من الشباب. وتتعمق الفجوة بين مقلدي الماضي ومقلدي الآخر المختلف. ويقول حليم بركات: "إن زعزعة القيم

والمفاهيم تتجلى في ازدواجية التمسك بالتقاليد المتوارثة من ناحية، والإقبال العشوائي على اقتباس كل ما يرد من الخارج من ناحية أخرى".[٤٨]

طبعاً معظم هذا الاختلاف يعود إلى التطور الكبير في وسائل الإعلام التي أصبحت ضعيفة المحتوى ومختلفة الوظائف التي ابتعدت عن استخدام مقص الرقيب بحسب واقعنا وعاداتنا. وبحسب الدور الذي يلعبه الإعلام في التنشئة الاجتماعية، فقد أسهم في بناء وعي مشوه عند الشباب، فما يحمله التلفزيون اليوم من قيم وأفكار وعقائد كثيراً ما تتناقض مع ثقافتنا وعاداتنا القائمة، أي أن أسلوب حياتهم الجديد جعل التقليد والمحاكاة لمظاهر الحياة الغربية نمطاً اجتماعياً في حياتهم. وبحسب زكي حنكوش: "تتسابق القنوات العربية على إرضاء الجمهور العربي، وبخاصة الشباب واجتذابهم بأية صورة من خلال المواد الترفيهية وعرض الأفلام والمسلسلات المليئة بالعنف والجريمة وقصص الحب والمغامرة العاطفية والإثارة".[٤٩]

١١) الانحراف:

وهو نتيجة ضغوطات وعوامل خارجية أو داخلية تدفع الفرد إلى التخلي عن القيم والمبادئ وانتهاج طرق غير مشروعة للتخفيف من هذه الضغوطات.

فالإنسان العاطل عن العمل، وبدافع الفقر والحرمان، قد يلجأ إلى السرقة ليؤمن قوته، وليحد من الحرمان الذي يعانيه. كما هو الحال عند الفتاة التي قد تمارس الشذوذ والانحراف الجنسي نتيجة فقدان الأسرة ورقابتها، أو الفقر أيضا.

علم النفس الاجتماعي يرى في الانحراف : "سوء تكيف اجتماعي بسبب وجود عوائق نفسية أو مادية تحول دون إشباع الفرد حاجاته بالشكل الصحيح".[٥٠]

ويعرف علم النفس الانحراف بأنه سلوك خاطئ للفرد أثناء محاولته شق طريقه في الحياة طمعاً في تحقيق عمل أو مركز اجتماعي، أو في الاندماج في جماعة معينة.[٥١]

وفي هذا القسم سأجيب عملياً عن إشكاليتي باتّباع طريقة علمية للتوصل إلى الإجابة، بالاعتماد على طريقتي تحليل المضمون بشقيه الكيفي والكمي، بالإضافة إلى الاستبيان أو الاستمارة للوصول إلى نتائج اكثر موضوعية في نهاية البحث.

تحليل المضمون:

١- التحليل الكمي:

كما ذكرنا في منهجية العمل، فإننا سنقسم القضايا في الملحق ونحصي عدد تكرار كل قضية خلال سنة كاملة محددة من إصدارات الملحق.

جدول ٢: تكرارات القضايا

الشهر	القضية	التعليم	العمل	العنف	الحرب	تطرف	الفراغ	الهجرة	السياسة	العلاقات الأسرية	العلاقة بين الجنسين	الزواج	الإنحراف	المجموع
أيلول		8	6	3		4	2	1	2		4	2		29
تشرين الأول		3	1			3	7	4		11	4	1	2	36
تشرين الثاني		4	4			2	1	2			3	8		23
كانون الأول		3	6	2			2	1	3	6	3	5		31
كانون الثاني		3	5	6	3		2		4	2	1	1	1	28
شباط		4	8	3			3	10	2	2	4		2	40
آذار		2	6	2		1	6	3	1	3	2	2	1	29
نيسان		3	2	3			3	1	2		3	1		18
أيار		2	5	6			6	3	1		2			26
حزيران		6	1	7	3	1	1	1	10		4	1		34
تموز		2	2	8	3	3	3		2	7		1	13	41
آب		2	3	3	2				1		1	3		14
المجموع		42	49	43	21	36	26	28	31	31	31	25	19	351

ويبدو واضحاً من الجدول السابق أن قضايا التعليم والعنف والعمل قد تربعت على "العرش"، وربما لما تجره هذه القضايا على الشباب من تبعات كالفقر وإمكانية الانحراف. كما أن هذه القضايا هي التي تؤثر سلباً على بقية القضايا الأخرى كتأخير الزواج، أو تفكك الأسرة، والفراغ والرغبة في السفر.

إن القضية الأولى والأكثر تكراراً في مقالات الملحق كفكرة هي العمل (٤٩)، والواضح أنها لم تشهد انقطاعاً ولو مرة واحدة في مضمون ملحق الشباب. أي أن العمل بات الهم الأول للشباب العربي بسبب التقهقر الواضح لفرص العمل ونسب البطالة المتزايدة عاماً بعد عام.

وحازت قضية الحرب على ثاني أعلى تكرار، وبخاصة أن أعداد العينة واكبت فترة الحرب على العراق، سواء قبل أو خلال أو بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وسقوط نظام صدام حسين، وقد كررت (٤٣) مرة.

التعليم احتل المركز الثالث بـ (٤٢) تكراراً، فتزايد أعداد الأميين العرب ومشاكل التعليم في ظل الغلاء والخصخصة وتردي مناهج التعليم جعل منها مشكلة متداولة في مختلف المنابر.

أما الفراغ الذي يعاني منه الشباب كنتيجة لما سبق من أزمات، فقد تكررت الفكرة في مواقع عدة (٣٦) مرة. فالأوضاع السيئة وعدم رقابة الأهل أو وجود ما يشغل، إضافة إلى وسائل الإعلام تغير اهتمامات الشباب نحو أمور هامشية.

بينما تعادلت القضايا الاجتماعية فيما بينها في عدد تواترها وتكراراتها. فالأسرة والعلاقة بين الجنسين ووضع المرأة حصلتا على (٣١) تكراراً.

السياسة بدورها كان لها حظ وافر في التواتر خلال مقالات الملحق، والتي لم تنقطع من الملحق سوى مرة واحدة (٢٨) وهي تعنى بسياسة الأنظمة والطموح بالمشاركة في إدارة مؤسسات الدولة.

أما الرغبة في السفر والهجرة بسبب العوامل الاقتصادية والاجتماعية، فقد أعطاها الملحق حيزاً كبيراً في عدد واحد (١٠)، وهي من القضايا القليلة التي حظيت بهذا العدد من التكرارات في عدد واحد. وقد حصلت على (٢٦) تكراراً.

الزواج بمشاكله من سكن وتكاليف هو الآخر حظي باهتمام ملحق كامل (٨ مقالات) ولم ينقطع عن الحضور سوى في عددين من أعداد العينة، (٢٥) تكراراً.

التطرف، سواء الديني أو السياسي منها، حصل على (٢١) تكراراً. وهو القضية ما قبل الأخيرة في الترتيب النهائي لتكرارات القضايا.

وفي نهاية المطاف، فقد احتلت قضية الانحراف عند الشباب حيزاً لا بأس به، حيث حصلت على (١٩) تكراراً، بفارق تكرارين مع التطرف، وقد أفرد ملحق لهذه القضية تتمحور المقالات فيه حول الإصلاحات في بعض البلدان العربية.

٢ ـ التحليل الكيفي:

في بداية عملية تحليل المضمون يجب أن نذكّر أولاً بنوعية المقالات المنشورة في الملحق، التي تشمل أنواع المقالات الميدانية مثل الاستجواب الخاطف، أو استجواب النقل، أو اليوميات (الخواطر). وهي مقالات يرسلها مستكتبون من فئة الشباب يروون فيها هموم الشباب وآراءهم وتجاربهم في مواضيع وقضايا معينة تهم هذه الفئة.

١. الاستجواب الخاطف: وهو الذي يهدف إلى نقل مجموعة من الآراء حول موضوع معين على اختلافها، وتطلب هذه الآراء على قارعة الطريق، أو يقع اختيار عينة من الشخصيات يتصل بهم الصحافي لمعرفة آرائهم. ويكون استجواب بسؤال واحد بردود مختلفة.[٥٢]

٢. استجواب النقل: وهو مشابه للنقل، يتم فيه سؤال شخص شاهد حدثاً ما، فتنقل شهادته، أو كأن يتناول الاستجواب رواية رواها شخص أو حديث عن ظروف حدث ما أو وصف لحالة معينة. ويكون هذا في قالب استجواب يغلب طابعه على الوصف والسرد.[٥٣]

٣. اليوميات: أهم أفكار الكاتب وخواطره وهمومه التي تجمعت خلال أسبوع أو أكثر يكتبها في إطار ذاتي يفصح عن طريقته في التفكير، وثقافته، وتجاربه، وأسلوبه في التعبير.[٥٤]

وبحسب عبد العزيز شرف، فإن هذا النوع من المقالات يعبر عن خوالج النفس وروح المذهب الذي يعتنقه الكاتب ونظرته إلى الحياة، حيث يسجل في هذا الفن المقالي خواطره المتناثرة التي تؤثر في القارئ.[٥٥]

إن هذا النوع من المقالات التي يظهر فيها نوعاً من استطلاع الآراء، يعطي نوعاً من الموضوعية والمصداقية في نقل الفكرة. وهذا يساعد في التوصل إلى نجاح الملحق في التعاطي مع الشباب وقضاياهم. وتقسم المقالات في الملحق إلى الأنواع السابقة من المقالات بحسب التوزيع في الجدول التالي، مع العلم أن عدد المقالات في الملحق تساوي ٣١٥ مقالاً.

جدول ٣: أنواع المقالات

النوع	العدد	النسبة المئوية
الاستجواب الخاطف	195	٪64
استجواب النقل	100	٪33
اليوميات	20	٪ 3
المجموع	315	٪100

وبعد عملية التحليل الكمي والتي اعتمدنا فيها على وحدة الفكرة، وبعد أن تعرضنا إلى أنواع المقالات المنشورة في الملحق، ننتقل الآن إلى التحليل الكيفي واستعراض القضايا التي تناولها الملحق من زاوية تحليل المضمون، على الشكل التالي:

I. العمل والبطالة:

هذه القضية حصلت على أعلى تكرار من بين القضايا (٤٩)، فاحتلت المركز الأول. وكان أعلى تكرار حصلت عليه هو (٨)، وهي تتكلم عن البطالة في العالم العربي وأسبابها وحلولها.

إن الفقر الشديد في الوطن العربي، والناتج عن تدني مستوى التنمية وقلة فرص العمل وضعف الأجور، يبعث مشاعر القلق والخوف في نفوس الشباب، خشية عدم الحصول على فرصة عمل تضمن لهم لقمة العيش. وقد تناول الملحق هذه المسألة باحثاً عن أسباب تفشي هذه الظاهرة في أكثر من بلد عربي.

فقد عزا محمد الجماح انتشار ظاهرة البطالة في دول الخليج العربي إلى انتشار العمالة الآسيوية. يقول الجماح: "من بين ٧ ملايين أجنبي في السعودية يعمل نحو مليونين منهم من الآسيويين في الأعمال المنزلية كخدم، وسائقين، وطباخين، ومديري منازل، وبعضهم يتقاضى أجوراً أصبحت اليوم في السعودية، حلماً للكثير من الشباب، قد يصل بعضها إلى ألف دولار شهرياً تبعاً للخبرة والجنسية" (الحياة ١٥ أبريل ١٩٩٣).

وهذه الفكرة أكدها ماهر عبد الجليل في مقاله (يوميات تونسي في أبو ظبي) عندما كتب: "هنالك ظاهرة لافتة، هي ذلك الغزو على عدة أشياء، وبصمت رهيب للماركة الكورية والعمالة الأجنبية". (الحياة في ٢٥ شباط).

أما فيصل عباس، فيحيل انتشار ظاهرة العمالة الآسيوية في الخليج العربي إلى ابتعاد الشباب الخليجي عن الأعمال الخدمية، نقلاً عن لسان أحمد النقلي، وهو أحد المستفيدين من عرض إحدى الشركات السعودية للعمل كسائق سيارة أجرة تنتقل إلى ملكيته بعد فترة من دفع مرتباتها: "إنني أجني دخلاً صافياً يتراوح ما بين ٤٠٠٠ و٧٠٠٠ شهرياً"، وهذا يكفيه لإعالة أسرته المتكونة من أربعة أشخاص. ويعتبر أحمد أن الحاجة الاقتصادية وتغير نظرة الناس إلى العمل، جعلت من مزاولته لهذه المهنة مسألة عادية بعد أن كانت شيئاً معيباً: "لم يتعرض لأية تعليقات سلبية، بل لاقى تشجيعاً من مواطنيه".

وفي ١١ مارس (٢٠٠٣) نشرت الحياة في ملحقها مقالاً تحت عنوان: "يوم في حياة شاب عاطل يستيقظ ظهراً وينام فجراً"، أشارت فيه إلى أن "عدد العاطلين من العمل في مصر بات يقدر بنحو ١١ مليون شاب عاجزين عن تحقيق أحلامهم". وتساءلت: "هل يجد العاطلون حلولاً من الحكومة لمشكلاتهم لإيجاد متنفس لتفريغ طاقاتهم، فهم أشبه بقنابل موقوتة". وعرضت الصحيفة في مقالها أوضاع الشباب من الخريجين الذين اتجهوا إلى العمل في اختصاصات أخرى غير اختصاص دراساتهم: "وهذا يرجع إلى ضعف تخطيط الدولة وعدم ربط التعليم بخطة موازية لفرص العمل وحاجيات السوق لكي يؤمنوا حياة كريمة". أما ملحق الحياة (في ١١ مارس) فقد ذكر على لسان هشام، وهو متخرج من كلية الهندسة وعمره ٢٩ عاماً أنه حاول مراراً الالتحاق بمهنة مثل "مندوب مبيعات، ومدرس رياضيات في مدرسة خاصة، لكني لم أشعر أن هذا العمل يناسبني".

ماهر عبد الجليل تحدث في مقال له (٣ سبتمبر ٢٠٠٢) تحت عنوان: (طالب الآداب الذي أصبح زبالاً في مدن البلاستيك)، عن شاب اسمه منير درس اللغة العربية في الجامعة. إلا أن قلة فرص العمل بالنسبة لخريجي الفروع الأدبية –على حد قوله– دفعاه إلى العمل في مدن البلاستيك. فيقول: "قلة قليلة

تجتاز امتحان الكفاية في التدريس وتلتحق بعملها في الثانويات. إن الكثير ممن سبقوه بعضهم يعمل في ورش البناء، أو في تجارة الشنطة ...".

وفي ١١ مارس شدد الدكتور عبد السلام الجوفي، نائب رئيس جامعة صنعاء لشؤون الطلاب في مقال إبراهيم محمود على دور الدولة في مشكلة البطالة، حيث قال: "إن الطلاب الخريجين ليسوا سبب البطالة، بل بسبب عدم مواكبة مخرجات التعليم لسوق العمل وضعف الاستثمار والضعف الاقتصادي.

أما عمل المرأة، وقبولها من أصحاب القرار أكثر من الشباب، فقد أثر سلباً على فرص الشباب. ففي ملحق الشباب (١٧ كانون الثاني) ذكرت شذا فرزلي بحسب تصريح محمد ديب في إشارة إلى ندرة العنصر الذكري للشباب في التلفزيون السوري: "إن المذيعات انتقلن أيضاً لتقديم النشرات الرياضية، فلماذا لا يتم استقدام شباب مؤهلين يتمتعون بالطلّة الجذابة والحضور الجميل والقادرين على تقديم برامج منوعة تشد المشاهد إلى متابعة التلفزيون السوري؟".

أما الأكثر رواجاً من بين معيقات الشباب لإيجاد فرص عمل، فهي أن الفرص متاحة فقط للكبار وأصحاب القوة والنفوذ. ففي رسالة القاهرة (الملحق ٤ شباط)، ذكر حول مشكلة بعض الرسامين الشباب في إيجاد صالات للعرض أنه: "إلى جانب قلة صالات العرض، واقتصار المعروض على كبار الفنانين، يعاني هؤلاء الشباب من اقتصار العرض على الأكاديميين". وفي مقولة أخرى على لسان نجلاء فتحي، وهي خريجة فنون جميلة: "نعرض أعمالنا من خلال الفنانين الكبار، لأنه لا يوجد متنفس آخر لقاعات العرض، وللأسف مسألة العرض تخضع للوساطة الكبيرة والروتين".

يلجأ بعض الآباء ومن منطلق تسلطي أحياناً إلى فرض العمل للأبناء للحفاظ على إرث العائلة التي يمكن أن تكون هي مهنة الأب والجد ... فذكر الملحق في العاشر من سبتمبر في مقال لمحمد الخضر وعلى لسان عبد الرحمن: "تعلمت هذه المهنة القاسية في سن مبكرة، إذ كان والدي يصطحبني إلى الورشة لأراقبه ... حتى التقطت المهنة ... وبعد مرور الأيام أصبح لكل واحد منا أنا وأخي له ورشته الخاصة".

إن الحرص الأبوي على نقل المهنة إلى الأولاد أصبح تقليداً لا يمكن التنازل عنه، إلا أن الكل لا يقبل بهذه السلطوية، فالخضر يذكر في مقاله رفض إحدى خريجات كلية الحقوق التي تعمل حالياً عند والدها أنها كانت ترغب في العمل كإعلامية.

أما مشكلة البطالة في العراق فذكرت على منحى آخر، ففرص العمل كانت تحت حكم الحزبيين، حيث ذكرت مروة إبراهيم الموسوي حول هذا الموضوع في ١٠ كانون الثاني: "في السابق فقدت الشهادات قيمتها لأن الكثير من الخريجين لا يحظى بوظيفة مناسبة. أما الأشخاص الذين يحظون بفرص جيدة فهم من أعضاء الحزب الصدامي".

وقد كان للحرب دور فاعل في تقليل فرص العمل وانتشار البطالة، وبالتالي الانحراف والسرقات، فقد ذكر الملحق في مقال لعلي عبد الأمير في رواية لصحيفة الزمن الأسبوعية العراقية أن سيارات أمانة بغداد (سيارات نقل القمامة) تبيع القمامة في خان بني سعد لبعض التجار، ووفق سعر معين بحسب المنطقة التي تأتي منها، ليتم فصلها لتباع إلى المعالف ومعامل النايلون والبلاستيك، فيقول: "المنقبون من الشباب والفتيان يروون حكايات عن حسن الطالع، وإن كانت تلال النفايات مصدره ... وعند فتح الأكياس وجدنا قطع الخبز فيها مغلف بورق، وعند إخراجها سقط خاتم من ذهب بعته بـ١٢٠ ديناراً...".

أما في اليمن، فقد دفع الجوع الأطفال الصغار إلى العمل في أعمال لا تناسب عمرهم كمزارع القات وبأجور قليلة. فقد ذكر الملحق في مقال لإبراهيم محمود إحصائيات لعدد الأطفال الذين يعملون وهم في سن بين ١٤ ـ ١٦ سنة ازداد من ٢٤٠ ألف في العام ١٩٩٤ إلى ٣٢٧ ألفاً في العام الماضي (٢٠٠١)، وفي الريف يعمل حوالي ٩٥٪ من إجمالي الأطفال العاملين. كما أكدت الإحصائيات أن ٤٠ في المائة من الأولاد يعملون أسبوعياً، وأكثر من ٤٠ في المائة منهم يعملون بمتوسط أجر لا يتعدى ٤٣ في المائة من الأجر الوطني.

كما أرجع إبراهيم محمود أسباب عمل الأطفال إلى الفقر والزيادة السكانية بنسبة ٤,٣ في المائة، وانخفاض دخل الفرد إلى أقل من ٣٠٠ دولار سنوياً،

وإلى البطالة التي تقدر نسبتها بحدود ٣٠ بالمائة، إضافة إلى التفكك الأسرى، واليتم، وكبر حجم الأسرة، ومشكلة السكن.

وطبيعي أن البطالة وقلة فرص العمل تؤدي إلى مشاكل أخرى، كالأزمات النفسية والاكتئاب، فتحت عنوان (شباب سوري محبط من الفشل الدراسي والعاطفي ... والبطالة)، سرد محمد الخضر قصة هناء التي هي مسؤولة عن مصروف ٨ من أفراد عائلتها، وهي تقول: "أعمل منذ أربعة أعوام وأصرف على أخوتي الذين يعتمدون على راتب أبي المتوفى وراتبي، ولا أصرف شيئاً على نفسي ... عمي أجبرني في ظل شكاوى أمي المتكررة إلى الذهاب إلى الطبيب الذي أعطاني أدوية ومهدئات أعود إليها من فترة إلى أخرى". والأخطر من ذلك أن البطالة ربما تقود إلى الانحراف والاتجاه نحو تعاطي المخدرات أو السرقة والشذوذ الأخلاقي، وهذا ما اعترف به هشام في تحقيق لـ"الحياة" نشر في ١١ مارس، حيث قال: "أظل ساهراً طوال الليل مع مجموعة من الحرفيين والعاطلين، تأثرت بهم بمرور الأيام فكرياً وأخلاقياً ... فتعلمت قضاء السهرات الحمراء وتناول الخمور والمخدرات".

كما وجد شباب آخرون أن السفر هو الحل لإيجاد فرصة عمل، ففي ملحق ١٢ نوفمبر وفي مقال لخالد زنكلو ذكر على لسان أحد محاوريه من الذين نجحوا في المغادرة إلى قبرص، وألقي القبض عليه بعد أحداث سبتمبر، وأعيد إلى سورية: "لقد مللت الوقوف أمام السفارات الأجنبية في سبيل الحصول على تأشيرة دخول بغرض السياحة، لقد زرت قبرص وعملت هناك لمدة سنتين، والآن أنا أحاول العودة بأية طريقة". علماً بأن المقال تحدث عن محاولات آخرين للسفر إلى قبرص وأغلبها باءت بالفشل.

لم يغفل مستكتبي الملحق عن ذكر بعض الحلول أو المشاريع التي يمكن أن تساعد على الحد من هذه الظاهرة، سواء أكانت حكومية أم غير حكومية:

فنبيل شمسان وفي ملحق ١١ مارس وفي إجابة لإبراهيم محمود أشار إلى خطة حكومية لخفض الموظفين الأجانب بنسبة ٢٥ في المائة لتغطية الشاغر بالكادر المحلي. وأضاف: "سعت وزارة التدريب المهني إلى إعداد تنفيذ برامج

تدريبية وتأهيلية ودورات قصيرة لتطوير المهارات الفنية لديهم وإعدادهم لسوق العمل". وقد وصل كما ذكر الملحق عدد برامج التدريب المكثف إلى ١٣٠٣ برامج في ٦٤ مركزاً موزعاً على ١٤ محافظة.

أما في لبنان، فقد كانت فكرة المساعدة بطريقة أخرى، وهي القروض البنكية التي تمنح للشباب لمساعدتهم على إنشاء مشاريع صغيرة تمكنهم من إنشاء مشاريع صغيرة لبدء حياتهم، وظهرت الفكرة في مقال دنيال الضاهر في ١٩ نوفمبر: "وشاركت الدولة اللبنانية القطاع المصرفي في توسيع مروحة التوظيفات التي بادرت المصارف الخاصة إلى فتح أبوابها لها مستخدمة أموال الودائع، أو قروضا منحتها مؤسسات دولية للقطاع المصرفي، وخصصت هذه القروض لتشجيع تأسيس المشاريع الصغيرة والمتوسطة الحجم ...".

وهكذا، فإن البطالة آفة متزايدة ومستمرة، ومن الطبيعي أن السبب الأول والأخير هو نقص التخطيط الحكومي وعدم ربط التزايد السكاني أو فرص التعليم بخطة تستوعب هذا التزايد، كما أن عدم اهتمام الدول بإنشاء استثمارات والاعتماد على الشباب وطاقاتهم أدى إلى انتشار الفقر، ما يعني أن الحكومات العربية في معظمها لم تعن بعد بالشباب ولا باستثمار قدراتهم.

II. الحروب والأزمات في الوطن العربي:

الحروب كان لها نصيب في الصدارة بين القضايا (الثانية) التي حازت على اهتمام الشباب العربي، حيث تكررت فكرة الحرب (٤٣) مرّة، وهي تتكلم عن الحروب العدوانية من الخارج والاقتتال الداخلي العربي.

هذه الظاهرة ذات منشأ خارجي وداخلي:

يتعلق الخارجي بـ:

١. تداعيات اغتصاب فلسطين وقيام إسرائيل في المنطقة العربية واحتلالها لأراضي العرب واعتداءاتها عليهم.

٢. دعم الولايات المتحدة لإسرائيل.

٣. الحرب العراقية ـ الإيرانية ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

٤. المشاكل في جنوبي السودان.

أما الداخلي فهو ناشئ عن الظروف السياسية (مثل الخلافات السياسية العربية بين الدول، والخلافات بين التيارات السياسية والفكرية العربية القومية واليسارية والدينية)، وعن الظروف الاجتماعية (مثل التخلف الاجتماعي، وانقسام المجتمع العربي إلى مذاهب وطوائف) وعن الظروف الاقتصادية (تدني مستوى التنمية، والبطالة، انعدام فرص العمل، الفقر) وعن الظروف الثقافية (الأمية - وتنامي نفوذ التيارات الدينية المتطرفة).

المهم أن هذه الأوضاع تؤدي إلى تزايد التوترات وتدفع إلى تفاقم اليأس، وإلى تأجيج شحنة العنف لدى الشباب العربي، للتعويض عن القهر، والحرمان، والبؤس، وانعدام الفرص (على المستويين الشخصي والوطني العام).

ولا شك أن قضية فلسطين ونضالات شعبها، وممارسات حكومة شارون الإرهابية التدميرية جعلت اهتمامات الشباب تبدو متركزة كثيراً على هذا الموضوع، كما بين الملحق.

تقول ماري وهي فرنسية طالبة في جامعة السوربون في حوار مع ندى الأزهري: "شارون كالشيطان لأنه رفض التحقيق في أحداث جنين" (١٠ سبتمبر، ٢٠٠٢).

شارون الذي لم يلاق أية ضغوطات في مختلف الجرائم التي وقعت خلال الانتفاضة، شأنه شأن من سبقه من رؤساء حكومات كما صرح جيسلان، وهو فرنسي يدرس القانون الدولي: "لم يكن على المجتمع الدولي السماح لإسرائيل في بداية حرب العام ١٩٦٧ بما لم يسمح به لبلدان أخرى. ويضيف: لا يمكن إنجاز شيء مع شخص كشارون، وعرفات يحتفظ بالغموض حول بعض الأمور، وعليه أن يكون حازماً كي لا يعطي الذريعة لشارون".

أما العراق الذي عايش أيام الحرب لما يقارب الثلاثين عاماً من الحروب فيقول علي عبد الأمير: "أجيال كاملة من العراقيين عاشت في حروب البلاد التي امتدت من الحرب المنظمة على الأكراد في العام ١٩٧٥، وصولاً إلى أم المهالك كما يصفها عراقيون شاركوا أو عاشوا حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١، مروراً بأطول حرب في التاريخ المعاصر الحرب العراقية - الإيرانية".

هذه الحرب التي بدأت في شهر سبتمبر العام ١٩٨٠، كان كلا الطرفين قد أعد لها وبدأ بشحذ الهمم لخوضها. فيعبر هاشم حسن في حوار مع علي عبد الأمير عن الاستعدادات في ملحق ٧ كانون الثاني: "التعبئة النفسية والسياسية ضد إيران كانت وصلت أقصاها، لذا جاءت الحرب محصلة طبيعية لحالة هستيريا جعلت أغلب الذاهبين إليها يتوقعون إنها ستكون نزهة الجيش القوي...".

أما الطرف الإيراني، فقد اتخذ شكلاً آخر التعبئة النفسية؛ فالحرب مع العراق كان لها طابع ديني على حد تعبير أحد المسؤولين الإيرانيين الذي رفض ذكر اسمه لمحسن ي.، فقال: "المشاركة في الحرب كانت ذات أبعاد متعددة، أولها الدفاع عن الوطن، وثانية الدفاع عن الثورة، وثالثاً الدفاع عن الإسلام".

أما بخصوص احتلال العراق للكويت، فلم يتناول الملحق جوانب وأسباب الاحتلال، بل اكتفى بعرض بعض تجارب المقاومة الكويتية. فإبراهيم الناصري الذي شارك بالمقاومة في عمر الثانية والعشرين، يقول: "استيقظنا صبيحة الخميس لنجد الجيش العراقي يجوب الشوارع، قالوا إن الحكومة هربت إلى السعودية وأن جيشنا أخذ على حين غرة".

أما عن المقاومة وعملياتها، فيقول: "أول عملية نفذناها كانت في ٦ آب كانت عملية قنص لشاحنة عسكرية ... كنا ثلاثة أشخاص، ومعنا بندقية ... أطلقنا النار ليلاً ثم انسحبنا من غير أن ندري إن كنا أصبنا شيئاً".

أما بخصوص هذه العمليات، فلم ينكر أبو عمر أن بعضها لم يكن ذا فائدة، بل العكس: "بعض الشبان قالوا إن علينا ترشيد المقاومة لئلا يكون ضررها أكثر من نفعها ... أنا الآن أكثر قناعة بأن قسماً من عمليات المقاومة لم يكن له داع، بل جر على الناس انتقام قوات الاحتلال".

بعض الكويتيين انضموا للقوات الأمريكية مثل حمد السبيعي الذي نوه إلى عدد المتطوعين في إحدى القطع الأمريكية، حيث قال: "انخرطنا مع ٢٥٠ متطوعاً كويتياً في دورة تدريبية لثمانية أيام" ٧ كانون الثاني ٢٠٠٣.

بعد الحرب على الكويت وتحريرها عانى العراق من حصار تواصل لأكثر من عشر سنوات تخللتها في العام ١٩٩٨ ضربة أمريكية شديدة للعراق في محاولة

لضرب صدام حسين وزعزعة العراق وتدمير بناه التحتية. وفي النهاية تمكنت قوات التحالف من دخول العراق في شهر أبريل من العام ٢٠٠٣، وبدأ العراق مرحلة جديدة في حياته، وهي مرحلة الاحتلال الأمريكي، التي يزعم الأمريكان أنها أمر ضروري لأسباب وحجج عدة، كما وردت في الملحق. ففي مقال لهشام زكي في ١٠ حزيران أشار إلى التخبط الذي تمر فيه الإدارة الأمريكية باتهاماتها للعراق مبررة احتلاله فيقول: "فتارة تتهم الإدارة الأمريكية العراق بأنه على صلة بتنظيم القاعدة وأحداث سبتمبر، وأن النظام العراقي يرعى الإرهاب ويمول أنشطته وهو الاتهام الجاهز دوماً بعد فشلهم في إقناع العالم بامتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل والسعي لانتزاعها".

أما يوسف جبر، وفي الملحق نفسه فقد كان أكثر موضوعية في طرحة للأسباب والحجج الأمريكية، حيث بدأها بقوله: "الحرب اندلعت لأسباب متعلقة بمصالح أمريكية جيوسياسية واقتصادية في الشرق الأوسط".

وقد نقد يوسف في مقاله الذرائع الأمريكية لاحتلالها العراق، سواء أكانت أسلحة الدمار الشامل، أو دعم الإرهاب، أو دكتاتورية صدام، فيوضح: "قالوا إنها تشكل محطة من الحرب على الإرهاب مع العلم أن نظام صدام حسين المتهم بالإرهاب دعم من قبل الأمريكيين في حربه على إيران، وكان قائماً منذ أكثر من ٣٠ عاماً "أما أسلحة الدمار الشامل، فقال: "حتى اليوم وبعد سيطرة قوات التحالف على جميع الأراضي العراقية لم تظهر أي ملامح لسلاح دمار شامل في العراق". وبخصوص حجة بناء عراق ديمقراطي بعد النظام الدكتاتوري، فالاحتلال اليوم يمارس شتى أنواع القهر والعدوان: "قالوا إنها حرب لتحرير العراق من ديكتاتورية صدام حسين. تحرير الشعب حصل لكننا نشهد الآن احتلالاً جديداً يسيطر على القرار السياسي والموارد النفطية، وهو العنصر الجيوسياسي الذي دفع الأمريكيين إلى خوض هذه المعركة".

وإضافة إلى الثروات، فقد كان موقع العراق سبباً أخر لاحتلاله، حين قال: "إن موقع العراق في منطقة الشرق الأوسط، وغناه بالنفط، وكونه النظام العربي الأخير المعادي للسياسية الأمريكية في المنطقة، وبخاصة بما يعرف الصراع العربي - الإسرائيلي"، دفع الأمريكيين لاحتلاله.

أما عن كيفية احتلال العراق وسرعة سقوط بغداد فقد تعرض الملحق لقصص بعض المتطوعين العرب في ١٠ حزيران في مقال سامح فوزي. فبدأ بعرض عدد المتطوعين: "قدرت المصادر العراقية الحكومية السابقة المتطوعين العرب الذين ذهبوا لمقاومة قوات التحالف بـ٤٠٠٠ شخص، بينما هو رقم يرى المتطوعون أنفسهم بأنه مبالغ فيه، حيث لم يتعدَّ العدد بضع مئات".

وبرواية محمد لسامح: "عندما وصلنا إلى بغداد لم نستقبل بمشاعر الحفاوة المتوقعة ... أعطوا كل واحد من المجموعة التي تعد عشرين شخصاً سلاحاً آلياً ... انتظرنا الأمريكيين الذين وصلوا نهاية الطريق. عندما اشتد القتال وجدت فجأة المتطوعين يهربون الواحد تلو الآخر".

كما تطرق سامح لفرار الجيش من المعارك "كما كانت الدهشة عندما وجدت القائد العراقي يضعنا في مقدمة الصفوف حتى قبل قوات الحرس الجمهوري، وبعد أيام لم نعد نرى هذا القائد أو غيره".

أما الشعب الأمريكي، فقد أبدى استياؤه من سياسة حكومته اتجاه العرب ومن حربها على العراق. فخولة فرزلي وبتحقيق مع بعض الطلبة الأمريكيين في ١٥ أبريل أظهرت هذا الامتعاض، فسارة كروننفلد وهي طالبة اللغة العربية، تؤكد أن "نصف الأمريكيين لا يعرفون لماذا تشن حكومتهم حرباً على العراق".

أما مايك دالي الذي درس تاريخ الشرق الأوسط فقد أرجع الحرب على العراق إلى: "أمريكا تحتاج إلى وجود عدو لها في المنطقة من أجل أن تحقق أكبر مكاسب ممكنة، وتشعر بعظمتها وقوتها ... وأضاف أنه عندما يعود إلى الولايات المتحدة فإنه لن يعمل في حكومتها".

أما الحروب الأهلية التي حصلت في الوطن العربي، والتي تعرض الملحق لاثنتين منها، فهي الحرب الأهلية اللبنانية، وأحداث جنوب السودان، وكلتاهما تتشابهان من حيث أسباب نشوئها الدينية والتعصبية البحتة. فالحرب في جنوب السودان ومن وجهة نظر جون أتيم أحد المشاركين في هذه الحرب منذ أن كان عمره ١١ عاماً كما ذكر النور أحمد النور في مقال له في ٧ كانون الثاني عن التفرقة بين سكان الجنوب الذين يعتبرون كمواطنين من الدرجة الثانية، وسكان الشمال،

حيث قال: "كانت بعض المحاضرات تقدم لنا تتحدث عن إساءة الشماليين إلى الجنوبيين باعتبارنا مواطنين من الدرجة الثانية، وهضم حقوقنا والاستئثار بخيرات الوطن".

بينما يرى الشماليون أن حربهم المعلنة كجهاد في سبيل الله، حيث يقول الطيب وهو خريج جامعة الخرطوم العام ١٩٩٤: "إنها حرب مقدسة ضد أعداء الله والوطن الذين دنسوا بلادنا. أما من شايعوهم من المتمردين الذين ينتمون إلى حركة جون قرنق، فإنهم بلا قضية يخدمون أجندة الأعداء".

لا يختلف الوضع في السودان عنه في لبنان، فالحرب الأهلية التي استعرت في ثمانينيات القرن الماضي كانت بسبب النعرات الطائفية وكثرة الانتماءات. وهذا ما تؤكده شهادة أحد المشاركين في الحرب الأهلية إلى جانب العماد ميشيل عون، حيث نشر المقال في ٧ كانون الثاني تحت عنوان (قاتلت مع العماد ميشيل عون رغم رفضي الحرب): "أردت أن أنتصر من أجل من قتل في عمليات الذبح على الهوية". ويوضح هذا التصريح أن الكثيرين في لبنان قد قتلوا على أيدي مسلحين لانتمائهم إلى طوائف أو ديانات أخرى.

تتعدد الأسباب والنتيجة واحدة، فالخراب والدمار والخسارة الاقتصادية والبطالة وغيرها هي نتائج الحرب. فلبنان وفي المقال السابق نفسه عبر الراوي عن شعوره اتجاه افتقاده لأصدقائه، فقال: "أشعر بالظلم لأن ثلاثة أرباع أصحابي ماتوا في أعمار فتية، ومن بقي منهم على قيد الحياة هاجر أو يتعاطى المخدرات".

بينما ذكر النور على رواية موسى تاب قرنق: "إننا نسكن في أطراف الخرطوم في معسكرات النازحين من الجنوب، حيث لا تتوافر فيها الخدمات الضرورية ولا نجد فرصاً للتوظيف أو العمل وإن وجدت، فإنها وظائف هامشية، فإننا لا يمكن أن نكون دبلوماسيين، أو في شركات النفط، أو وزارة المال".

كما ذكر في المقال نفسه على رواية جون أتيم: "لكن الحرب التي نتمنى أن تتوقف هي سبب تخلف البلاد، لأنها تهدر مواردها".

كما يمكن أن تظهر آثار الحرب على التعليم بصورة واضحة، حيث تتوقف الجامعات والمدارس، ويمكن أن تتعرض للخراب. ففي العراق مثلاً، تعرضت

الجامعات للنهب والحرق والتخريب، حيث قدم الملحق في مقال وصفاً لهذه الظواهر: "ما إن بدأت الحرب تنحسر حتى عاد طلبة الجامعات العراقية إلى كلياتهم ومعاهدهم، وهالهم ما رأوه من الخراب الذي امتد إلى صفوفهم الدراسية، والحرائق التي التهمت مقاعد الدراسة، وجعلت من بياض الجدران سواداً خانقاً، الكتب والمراجع ممزقة ومهملة في الممرات".

أما في فلسطين المحتلة التي تعتبر الحالة الاستعمارية الأقدم في العالم، فلم تقل ظاهرة الحرب وغطرسة الاحتلال الذي عمل على تهجير السكان من أرضهم بالقوة، بناءً على وعد بلفور، إلا أن الشباب الفلسطيني بدأ يشعر بالحنين إلى بلده بعد الغربة والتعسر في حياة الملاجئ، من حدود إلى حدود، وبدون أي تقدير أو احترام. وحول هذا كتبت منى الجعفراوي في مقال لها يوم ٥ آب تقول: "في ظاهرة لافتة للنظر بين شباب الجاليات الفلسطينية في المهجر، سواء العربي أم الغربي، بدأ الحنين إلى الوطن يدفع الكثيرين إلى عبور المصاعب أو المتاهات من أجل العودة".

III. التعليم:

ويأتي التعليم في المركز الثالث بعد العمل والبطالة، حيث حصل على ٤٢ تكراراً، أي بفارق ٥ تكرارات، وبفارق تكرار واحد عن البطالة.

لكل بلد ظروفه ووضعه اللذان يتحكمان بسياسته التعليمية كضعف الإمكانيات المادية، وتدني مستوى الخبرات، وعدم الاستقرار السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي. إلا أن مجمل الأقطار العربية -إن لم نقل جميعها- تعاني من مشاكل في التطوير ومواكبة العلوم، حيث أن مناهجها تعفنت من الجمود والقدم، ولا تحاكي الواقع الذي نحن فيه. وحول هذه الفكرة، فقد ذكر الدكتور يحيى المتوكل مستشار وزير الصناعة والتجارة في مقال إبراهيم محمود في ١١ مارس وجود جمود في مناهج التعليم والاختصاصات في المؤسسات التعليمية، وبخاصة التعليم العالي.

وهذا الأمر أكده محمد الخضر في ملحق ٢١ كانون الثاني حول ضعف مناهج اللغة الإنكليزية، حيث قال: "يبدو من الواضح أن ضعف مناهج اللغات في مراحل التعليم المختلفة أدت إلى الضعف لدى الدارسين في المراحل الثانوية أو خريجي الجامعات".

أما مشكلة التعليم من حيث النوعية، فهي ناتجة عن تفاوت مستوى التعليم الخاص والحكومي. فقد اتجه الطلاب في السنوات الأخيرة إلى الانتساب إلى الجامعات الخاصة بسبب ضعف مستوى الجامعات الحكومية. فنادية سعد في مشاركتها في ٤ مارس قالت: "ولن تقع على مسمعك كلمة فرنسية إلا إذا مررت بقسم اللغة الفرنسية في كلية الآداب أو اللغات، ولن تصادف من يبادلك جملاً باللغة الإنكليزية أو حتى حواراً قصيراً، اللهم إلا الذين تخرجوا في مدارس أجنبية للغات".

إلا أن التعليم الخاص ليس بمتناول الجميع بسبب وضعهم الاقتصادي، حيث أن هذه المراكز أو الجامعات تتميز بغلائها وارتفاع أسعار الانتساب إليها، نظراً لتطور وسائلها التعليمية، وقد ذكر خالد موسى في مقالته في ملحق الشباب يوم ٢٥ شباط وعلى لسان ملك عاتكة خريجة الأدب الإنكليزي التي تعمل في قسم الخدمات في المركز الثقافي البريطاني: "الآن فقط عرفت لماذا يطلبون في مثل هذه المراكز بكل هذه الدولارات، لأنهم يعتمدون صفوفاً منهجية ومختبرات لغوية" (حيث تصل تكلفة التعليم في المراكز الثقافية البريطانية حول العالم إلى ٢٠٠ دولار أمريكي للكورس الواحد).

كما تواجه بعض الدول العربية ازدياداً كبيراً في عدد الطلاب، وبالتالي عدم التمكن من توفير الراحة ومستلزمات الدراسة أو قلة فرص تعليمهم، فبرأي ندى دعبول وهي طالبة أدب عربي في حوارها مع خالد موسى: "إلى الآن لم تحل مشكلة الأعداد الكبيرة المتوافدة إلى القسم، فهناك أكثر من ألفي طالب في السنة الأولى وحدها، حيث لا يتسع أكبر مدرجات الجامعة لأكثر من ربعهم، ومعظم المحاضرات تعطى في الهنغارات مع غياب أبسط وسائل الشرح كالميكروفون وورقة والامتحان". وبهذه الطريقة، فإنه لا توجد صلة بين الطالب والأستاذ، حيث أن أغلب الطلاب يتغيبون عن المحاضرات، حيث تنعدم الرقابة

على الحضور. فتتابع قولها: "ورقة الامتحان هي صلة الوصل مع الأستاذ وعدم المطالبة بالحضور يدفع الطالب إلى شراء المحاضرات من خارج الجامعة".

وحول انعدام الرقابة على التعليم والطلاب، ففي مقاله ماهر عبد الجليل في ١٢ نوفمبر قدم إحصائيات لوزارة التعليم في تونس (الحجم الإجمالي لتغيب التلاميذ عن الدرس العام الماضي تجاوز الـ ٣ ملايين ساعة).

لا يمكن إنكار ما للمدرس من دور كبير في تربية الأجيال وإكسابها العلوم، لذا، فيجب اختيار المعلمين من ذوي الاختصاص والخبرة لجذب الطلاب إلى الدراسة وليس إلى الهروب. فمحمد الشرقاوي في عدد ٢٢ تموز يقول على لسان أحد الأحداث الذين القي القبض عليهم: "تركت المدرسة وأنا في الصف الثاني الإعدادي نظراً لقسوة أحد المدرسين وتعديه على بالضرب لدفعي على أخذ الدروس الخصوصية عنده".

بينما يبين إبراهيم حاج عبدي في مقاله في٣١ ديسمبر من خلال أحد محاوريه ويدعى حسن أن ضعف الطالب في بعض المواد يرجع إلى ضعف المدرسين وطريقتهم في التدريس؛ فاللغة العربية تعاني من المدرسين، فيقول: "بل إنهم يدرسوننها بصورة جافة وجامدة على الرغم من أن التراث ...".

أما المشكلة التي تتعلق بدراسة ما يرغبه الشاب وما تدفعه عائلته إليه من فروع يفضلونها تبعاً إلى نظرتهم التي يمكن أن تؤدي إلى فشل الابن في دراسته. وهذه الظاهرة منتشرة، فمحمد الخضر تحدث في مقاله (شباب سوريون يرثون مهن آبائهم طوعاً أو قسراً) في ١٠ سبتمبر، تحدث عن قصة شباب أجبرهم أهاليهم على دراسة تخصصات في الجامعة تبعاً لرغبة الأهل، فأحمد الذي فرض عليه والده دراسة الطب البشري، بينما كان يفضل دراسة المسرح، يقول: "بالطبع الطب مهنة إنسانية وتؤمن مستوى اجتماعياً ومادياً عالياً، إلا أنها لم تكن يوماً ما رغبتي ...".

إن مشاكل التعليم والأمية تؤدي إلى طريق الانحراف والإجرام، فأفرام القصيبي يقول عن هذه المشكلة: "عملية إعادة التأهيل تمر أيضاً بقاعات الدراسة، لكن هذه المسألة أكثر تعقيداً فمعظم الداخلين أميون".

لا يوجد باب من غير مفتاح، ولا توجد مشكلة بدون حل. فالمدرسون -وعلى سبيل المثال- قد تنبهت بعض البلدان حديثاً إلى ضرورة تطوير خبرات المدرسين عندها مثل سورية، حيث يشير خالد موسى في مقالة له في ٢٥ شباط على لسان د. سمير حسن عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، حيث قال: "تشهد الجامعة الآن عملية تجديد المناهج ومسايرة تطور اللغة والاعتماد على أساتذة متخصصين ...".

أما المناهج ومحتوياتها على اختلافها، فتسعى بعض الدول العربية في محاولة لمسايرة التقدم والتطور إلى تعديلها وتطويرها بما يتلاءم مع متطلبات الحداثة. عميد كلية الآداب سمير حسن وفي متابعة لحديثه عن التدريس يقول: "تشهد الجامعة الآن عملية تجديد كبيرة في تدريس اللغات الأجنبية، وبخاصة الإنكليزية لناحية تجديد المناهج ومسايرة تطور اللغة ...".

بخصوص مشكلة التزايد المستمر في أعداد الطلاب فيشير خالد موسى وفي المقال نفسه عن إجراءات جامعة دمشق لتجاوز هذه العقبة على لسان الدكتور نافذ شماس رئيس قسم اللغة الإنكليزية في قوله: "أرسلنا عشرة معيدين للتخصص في الجامعات البريطانية، كما خصص حوالي خمسة ملايين دولار لتوسيع القسم واستيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب".

أما العراق، ونظراً لوضعه الخاص والقريب من فلسطين، حيث تعرض للحصار بعد أن خرج من حربين دامت الأولى زهاء عشر سنوات، وهي الحرب العراقية الإيرانية، والثانية تكللت بالخسارة الفادحة بعد احتلال الكويت، ومن ثم التقهقر والخضوع للحصار لسنوات طويلة أدت في نهاياتها ومنذ سنة تقريباً إلى تعرض العراق إلى هجمة أمريكية سقط النظام على إثرها.

ومشكلة الدراسة في العراق كانت على مستوى المناهج، حيث كانت كلها في خدمة الحزب القائد وتمجد في محتواها صدام واتباعه. فذكرت مروة إبراهيم الموسوي في مقالها (كم هي جميلة جامعتي ...) ذكرت ما كانت المناهج الأدبية تحتويه: "كانت المناهج الأدبية مهيأة لمصلحة صدام وزمرته وتمجد أفعاله. أما المناهج العلمية، فمختلفة لا تصل حدود التطور العلمي الحاصل في خارج العراق".

وفي العدد نفسه، فقد قص أنور طاهر قصة إحدى الطالبات ومحاولة أساتذة جامعة بغداد عرقلة رسالة تخرجها لأنها تمس الحب (فلسفة الحب عند كيركغارد ونيتشه وسارتر)، وهو إحدى نقاط الثالوث الذي تسعى السلطة للابتعاد عنه (ثالوث الدين، والجنس، والسياسة) فتقول: "وبدأت بالأستاذة سهام شيت في معهد القائد المؤسس، فإذا بي في اليوم التالي اكتشف أنها أعادتها لأنها لا تناقش رسائل إباحية وضد السلطة، فهي تخاف أن يحضر (كابس رئاسي)...".

أما في فلسطين، فالهجمات الإسرائيلية المتكررة التي تلزم الفلسطينيين على البقاء في دورهم تخوفاً من البطش، لم تردع أبناء هذا الشعب من العودة إليه لمتابعة الدراسة، متحدين آلة الغدر الصهيونية. فمنى الجعفراوي في مقالها في ٥ آب تروي قصة سامي، حيث يقول: "ربما لعب المعدل الذي حصلت عليه دوراً مهماً في اتخاذي القرار في متابعة دراستي في الجامعات الفلسطينية، كثير من الأصدقاء أشار عليَّ بعدم اتخاذ مثل هذه الخطوة ظناً أني لن أتحمل العيش تحت وطأة الحرب والهجوم الذي تشنه القوات الإسرائيلية...".

لا بد أن ما سبق من تعليقات وتصريحات للشباب عكس صورة التعليم المتردية في العالم العربي، وما يعانيه الطالب من ضغوط تجعله يئن تحت وطأة الظروف، إلا أن ما يدرسه الطالب في الجامعات والمدارس أصبح لا يفيده على أرض الواقع.

IV. الفراغ:

الفراغ، الظاهرة التي تفشت بشكل كبير خصوصاً مع انتشار وسائل الإعلام. وقد حصلت على (٣٦) تكراراً احتلت المركز الرابع.

واضح وضوح الشمس أن بضع فئات من الشباب العربي باتت اليوم تواجه أزمة فراغ كبيرة، تختلف مظاهرها من مجتمع عربي إلى آخر، ومن فرد إلى آخر، تتنوع من تقليد للغرب، أو الاهتمام برقصات المطربين، أو تضييع الوقت على الإنترنت، حيث يبدو أن الشباب انصرفوا عن القراءة أو الاهتمام بقضايا أكبر في سبيل الترفيه والتسلية.

فمحمد علي الشهاري كتب في ١٥ أبريل عن الإنترنت ومرتاديه، وأنواع اهتماماتهم من خلال إحصائية مفادها: "تشكل الفتيات ٤٢ بالمائة من إجمالي من جرت عليهم الدراسة، منهن ٥٧ في المائة يتابعن على الشبكة أخبار الموضة ومواقع المرأة والصحة والجمال، و٩ في المائة يدخلن مواقع الشات، و٦ في المائة يتابعن الأخبار والقنوات الفضائية، و٤ بالمائة للبحث العلمي". هذا يظهر مدى التباين في الاهتمامات عند مختلف الفئات.

أما عن ومطالعة الكتب، فقد بين خالد سميسم انصراف الشباب عن القراءة في ٢٩ أبريل، حيث صرحت له ماجدة علي طالبة كلية التربية: "في منزلنا مكتبة صغيرة خاصة بأبي، ولكنني نادراً ما أجد فيها كتاباً ضمن اهتماماتي، وبعد أن جلب والدي الكمبيوتر والإنترنت إلى المنزل، أصبحت أقضي ساعات أمامه أراسل أصدقائي وأطلع على المواقع المتخصصة بالتجميل، وكل ما يهم فتاة بعمري ... ولا أستطيع بالمطلق أن أجلس ساعات وفي يدي كتاب... ".

كما ينصرف الشباب نتيجة الفراغ في الفكر والتفكير إلى إتباع الموضات وتقليد المطربين وإتباع سلوكهم الجديد، حيث كتب محمد الشرقاوي في مقاله تحت عنوان (مصر: هوس أبطال الفيديو كليب ينتشر بين الشباب) في ١١ مارس: "يقول هشام مصطفى: يعجبني عمرو دياب كثيراً في ما يملكه من قدرة على تغيير مظهره، ولا أجد عيباً في أن أقلده فهو نجم كبير، أتمنى أن أصبح مثله ولا أظن أنني الوحيد الذي يفعل ذلك".

وقد عزا مستكتبو الملحق هذا الفراغ إلى أسباب عدة:

فغياب المرشد للشباب الذي يدلهم على الحلول والمنافذ كان سبب إبراهيم محمود لتبرير هذه الظاهرة في ٢٥ شباط، حيث ذكر على لسان ثائر إليا طالب الأدب الإنكليزي، وهذا بناء على وجوده يومياً في ساحة العزيزة في حلب: "ما دفع بي إلى هنا هو أن أهل + حرية كلمتان لا تلتقيان، إضافة إلى أنه لا يوجد في المدينة أي مكان يتقبلنا أو يحاكي ما نحبه أو نشعر به، فدائماً نحس بأننا غرباء... ".

أما مكتب القاهرة وتحت عنوان شباب الـ (تيك أواي) يجتاح مصر، وفي العدد السابق نفسه، فقد عزا هذا الفراغ إلى اضمحلال المستوى الثقافي عند الشاب:

"الشباب الآن متهم بأنه جيل التيك أواي في كل تفاصيل حياته، حتى أصبح دلالة على أن الشباب سطحي، ولا يأخذ من الحياة سوى القشور بدءاً من الأكل والثقافة مرورا بالعلاقات الإنسانية... ".

كما أضاف لما سبق الغزو الثقافي لفئة الشباب، وهذا من وجهة نظر محسن العرقان: "هناك أسباب عدة وراء تشكيل أسلوب الغالبية العظمى من الشباب في الحياة، منها تدعيم وسائل الإعلام، وبخاصة السينما والتلفزيون لمفهوم عصر السرعة، الذي أدى إلى حال من اللهوجة عند الشباب في كل شيء من دون التركيز على شيء واحد وإتقانه، وينطبق هذا على العمل أو الدراسة... ".

لا يمكن إهمال ما للعامل المادي والبطالة أو العمل من دور في إشغال وقت الشاب بما هو مفيد، وقد تنبه الملحق لهذا العامل في مقال لمكتب الحياة في ١١ مارس تحت عنوان (يوم في حياة شاب عاطل يستيقظ ظهراً وينام فجراً): "هكذا بادرني هشام بكالوريوس هندسة وله من العمر ٢٩ عاماً ... " لا أفضل الخروج نهاراً تجنباً لنظرات الجيران التي تسبب لي حرجاً كوني لا أعمل، وألتقي في المساء أصدقائي في المقهى، حيث نبقى حتى طلوع الفجر، نلعب طاولة وندخن شيشة ... وأحياناً نتحدث عن الجنس الآخر ...".

وفي النتيجة، فإن الشباب يكونون قد ارتكبوا الأخطاء الجسيمة كالانحراف كما ذكر مكتب الحياة في الرياض في ٢١ كانون الثاني :" كل ذلك أفضل وأرحم من سفر الشباب إلى دول مجاورة في العطلة الأسبوعية لفعل المنكرات، أو التجمع في أماكن مستترة قد تقودهم إلى تعاطي الكحول أو المخدرات ...".

V. العلاقات الأسرية

اشتركت هذه القضية مع قضية العلاقة بين الجنسين في المركز الخامس، حيث حصلت كل منهما على (٣١) تكراراً.

إن الأسرة بمشاكلها المتعددة والمختلفة تؤثر حتماً على أعضائها وتصرفاتهم ونفسيتهم، وبخاصة إن انعدم الرقيب على الأولاد، ما يؤدي إلى ضياعهم وتشتتهم، أو إلى توجههم نحو الخطأ دون دراية أو نصح، وهذا ما تكلمت عنه سارة من الرياض في ٢٢ أكتوبر، حيث قالت: "عمل أبي وأمي على تحويل حياة

البيت إلى ما يشبه الفندق، فلدينا خادمتان ورئيس خدم، وكل فرد له غرفته الخاصة، ويمكن لي أو لأي واحدة من أخواتي الذهاب بكل حرية إلى صديقاتها، ولا تهتم أمي ولا أبي كثيراً بمعرفة أين ذهبنا، ومن أين عدنا، ولا تهتم بمعرفة من هم صاحباتنا، ولا ماذا نفعل في جلساتنا".

أما الخطر الأكبر الذي يواجهه الأبناء، فهو تفكك الأسرة، ولها أسباب عدة من فقر، أو موت أحد الوالدين، أو الحروب، كما هو في العراق. وقد جاء في مقال علي عبد الأمير: "الأم مشغولة بعملها أو بزياراتها الاجتماعية، أو أنها في حال ضجر دائمة بسبب انشغال الأب عنها، فتحمل أبناءها وزر بقائها في البيت الزوجي واحتمالها هذه الحياة، ما يشعر الأبناء بالذنب اتجاه تعاسة الأم. كذلك يعاني الفتيان من الحرمان العاطفي بسبب الاعتقاد السائد بأن الدلال، وكما العاطفة، قد تجعل عظم الولد رخواً، لاسيما أن الحياة في البلاد تحتاج إلى خشونة في مواجهة شظف الحياة اليومية".

إن هذا التفكك قد يؤدي إلى أمراض وأزمات نفسية، وفي مقال لسعيد ياسين في ١٠ سبتمبر صرح الدكتور خليل فاضل مستشار الطب النفسي: "يحضر إلى عيادتي شباب تبدو عليهم مظاهر القلق والتوتر والحيرة نتيجة الخلافات الدائمة بين الأب والأم أو الأب الغائب، أو الذي يحاول إلغاء شخصية الابن، ومثل هؤلاء الشباب يدفعون دفعاً إلى الهروب ...".

وتأكيداً على ضرورة وجود الأب في الأسرة، فقد نشر الملحق في ١٧ ديسمبر مقالاً يروي قصة فتاة اسمها هالة، جاوز عمرها الثلاثينيات، والدها يعمل في الخارج، فتقول: "منذ نعومة أظافري كنت أسأل أين والدي؟ كانت أمي تقول لي إنه أستاذ جامعي في دولة الإمارات، سافر منذ نحو ٢٥ عاماً". إن والد هالة يعود في السنة مرتين. وتتابع هالة تساؤلاتها: "ماذا فعلت بحساب والدي بالبنك؟ هل جعلني أعيش سعيدة؟ هل أخرجني من دوامة الوحدة القاتلة والاكتئاب".

وتأبى سلطة الأب وبطركيته إلا أن تكون إحدى هذه المشاكل بالنسبة للأولاد، وبخاصة الذين تجاوزوا مرحلة المراهقة. وحول هذه النقطة تقول حنين غدار في ٢٢ أكتوبر: "كانت سلطتهم أقوى من محبتهم لي، وما كان لينقذني إلا

محاولات أمي الخفية لدفعي خارج الدوامة ... لكنها لا تستطيع أن تمنحني حرية لا تمتلكها، لأن القرار كان أولاً وأخيراً بيد الأب، رمز السلطة الأول ومحرابها الدائم".

ويؤكد مفلح المالكي على هذه النقطة بوصفه الأمور التي يفرض أبوه رأيه فيها مثل الملابس: "أما بالنسبة إلى اختياري ملابسي، فمن المحتم علي أن ارتدي الثوب والشماغ خارج البيت، أي زينا الوطني، وممنوع علي أن أخرج في زي رياضي، أو أخرج بملابس البيت، لأن ذلك قلة رجولة برأيه، ولا يسمح بذلك إلا للصغار، وبالطبع كان من المستحيل أن أقتني وارتدي ملابس غربية كالجينز وما إلى ذلك".

إن سبب هذه السلطوية عند الأب من وجهة نظر محمد نبيل نعيم في الملحق نفسه هي الفجوة بين الجيلين، حيث قال: "جيل الأب حائر ما بين الأصالة وكل ما هو جديد، لا يعرف كيف يتقرب من أبنائه ... هل يتمسك بمبادئه وأخلاقه وقيمة التربوية التي نشأ عليها، أن ينجذب هو الآخر إلى مغريات الحضارة والموضة".

أما رأي الأهل في الموضوع وتبريراتهم التي لم يبخل القائمون على الملحق من عرضها، فتختلف، لكنها تصب في بوتقة الخوف على مصالح الأبناء. فعبد الله السليمان في ٢٢ أكتوبر يرجع تحكمه بابنه إلى الرغبة بالافتخار به أمام الأصدقاء، فيقول: "كنت أحب أن أتفاخر أمام الناس بأولادي، خصوصاً أحمد لأنه أكبرهم، ولذلك كنت أحرص أن يرتدي أحمد لباسنا المعهود أمام الناس ...".

أما مفلح المالكي فقد كانت أسئلة أبوه الموجهة إليه بعد كل اتصال هاتفي ترجع إلى خوفه من أصدقاء السوء: "لا يسألني عن أصحابي في الجامعة، لكن يكثر من السؤال إذا جاءني اتصال هاتفي من أحد أصدقائي، أو اتصلت أنا بأحدهم، ولا بد عندها من أن يعرف من صديقي، وماذا يريد، وما هي طباعه".

أما ندى رمضان، فإن تحكمها بابنها سببه تهوره في اتخاذ قراراته وتسرعه في الحكم على الأمور: "الذكور أقل دراية بمصلحتهم وأكثر أنانية، لماذا يا ترى؟ لا يعي الابن أن الرغبة التي يمتطيها في فورانه وهيجانه تصيب حممها أهله وتخلع ظهورهم".

VI. العلاقة بين الجنسين

وكنا قد ذكرنا سابقاً وبالاعتماد على التحليل الكمي للقضايا، فهذه القضية قد اشتركت مع قضية العلاقات الأسرية بنفس المركز وعدد التكرارات (٣١).

إن العلاقة بين الجنسين في مجتمعاتنا العربية تحكمها ضوابط وعادات قديمة، بعض المجتمعات متمسك بها، والبعض الآخر أدار لها ظهره وفضل اتباع النمط الغربي نوعاً ما.

إلا أن العديد اندفع إلى التساؤل عن مدى أو نهاية هذه العلاقة، مثل إبراهيم محمود في ١٧ حزيران، حيث قال: "التجارب العاطفية بين طلاب الجامعات ... هل هي مراهقة أم حب حقيقي؟ ما هي طقوس هذه العلاقة والأشكال التي يتعامل بها الطلاب؟ وهل تفضي إلى الزواج أم أنها مجرد مغامرات خاوية تستفيد من مناخ الانفتاح الذي توفره الجامعة؟ ...".

وهذا ما أكده أيضا أحمد جهاد أحد الذين أدلوا بتصريحاتهم لإبراهيم طوقان، حيث قال:"إن زملائي الذين أقاموا مثل هذه العلاقات لم يتمكنوا من الزواج بمن أحبوا إلا قلة منهم".

إن أغلب البلدان العربية حريصة كل الحرص على أن تقلل من اختلاط الجنسين ببعضهما البعض بمختلف المراحل، فسلطنة عُمان -على سبيل المثال- سعت لمنع اختلاط الطلاب في المرحلة الابتدائية، حيث ذكر محمد سيف الرحبي في ١٠ أيلول: "عبر منتديات الإنترنت شن الذكور حملتهم على هذا التعليم الأساسي، معتبرين أنه هدم للقيم والأخلاق، وأن هذا الاختلاط سيجلب المآسي على الأمة التي يراد لها الفسوق والانحلال، ووصل الجدل إلى شخصيات محافظة سعت إلى إقناع الجهات المعنية بالتراجع عن هذه الخطوة ". هذا اللغط حصل بعد قرار السلطنة باعتماد نظام تدريس جديد يطلق عليه التعليم الأساسي، ويقضي باختلاط الطالبات والطلاب في الصفوف الابتدائية.

أما في بلدان أخرى، اعتنقت النهج الغربي في أشكال العلاقات بين الجنسين، فتتغير النظم، حيث تكون العلاقات أكثر ظهوراً وانتشاراً وحتى تحرراً. ويظهر هذه في تونس من خلال مقال ماهر عبد الجليل، حيث وصف تونس: "ساحات

الحب في شارع محمد الخامس وسط العاصمة التونسية. ضفاف الشمال من قرطاج إلى سيدي بو سعيد، قاعات السينما المظلمة والزوايا الخلفية للملاهي، ومعشبات الجامعات ... وفضاءات الشبيبة في رحلة اكتشافها لجسدها والآخر".

وقد برر ماهر عبد الجليل نوعاً ما هذه الظاهرة التي لا تقتصر على تونس فقط، فالظرف موجود في الكثير من البلدان العربية. برر ماهر بقوله: "لا زواج عرفياً، ولا تقاليد في الزواج الجماعي، والمساكنة ممنوعة قانونياً، والجميع يعشق الستر وخفض الأعين. ... نسبة العزوبة ارتفعت عند الذكور طبقاً لآخر مسح للسكان للعام ٢٠٠١ إلى ٨,٤٨ بالمائة".

إلا أن وضع المرأة غالباً ما يكون محكوماً بالمحيط الاجتماعي، حيث توضع النواميس والخطوط الحمر التي لا تستطيع المرأة تخطيها. وفي مقال لشذا فرزلي، تظهر فيه تجارب فتيات في عمر الورد يواجهن مشاكل بسبب عادات المجتمع والأفكار السائدة. وفي تصريح لربا.خ ٢٤ عاماً متخرجة من كلية الهندسة قالت: "استقلت من وظيفة حسدت عليها من قبل صديقاتي، حيث كنت قد ابتعدت عن عائلتي شيئاً فشيئاً، وصرت على شجار دائم مع أمي التي أخذت تردد على مسامعي ليل نهار إنني لست بحاجة إلى العمل، وإن مصير البنت بيت زوجها".

وهنا تظهر شذا فرزلي أن نظرة المجتمع للفتاة لا تزال متحجرة رجعية لا تعطي حقوق المرأة. إن هذه النظرة تقلل من ثقة البنت في نفسها فتقول منال، وهي موظفة في شركة اتصالات مديرة مبيعات متحدثة عن خوف قلما تفصح عنه على حد تعبيرها: "أثناء ممارستي لمهماتي أخاف كثيراً فقدان أنوثتي، وكثيراً ما أسمع الموظفين يتهامسون حولي أنني مسترجلة، ما يدفعني لاتخاذ قرارات استفزازية سرعان ما اندم عليها".

إن الشباب حتى في البلد نفسه أو المدينة نفسها يخضعون إلى تقسيم آخر بحسب الانفتاح أو الطبقة المنتمين إليها. والملاحظ أن بنات الطبقات الراقية غالباً ما يكنّ أكثر انفتاحاً. لذا، فهن محط أنظار الغير دائماً. فعلى حد تعبير إلياس ـ طالب جامعي ـ لمحمود درويش في ٢٥ شباط: "جو هذا الشارع أصبح

لا يطاق، فبتنا نخاف منه، ولم نعد ننزل الفتيات في وقت متأخر، لأن أكثر الشباب المسيئين للحي وسكانه من خارجه، والفتاة في هذا الشارع متحررة، أما الشباب فيأتون من مناطق متخلفة ومكبوتة لينفسوا عن كبتهم ...".

VII. الشباب والسياسة

وهي من أهم المشكلات التي تواجه الجيل العربي الجديد الذي يفتح عينيه على رئيس يحكمه لعشرات السنين دون أن يحصل على دور في المشاركة في الانتخابات كحق بسيط، وقد تربعت هذه القضية على عرش المركز السادس بـ (٢٨) تكراراً.

تختلف المشاكل ذات الطابع السياسي التي يواجهها الشباب من بلد عربي إلى آخر، لكنها تتشابه وتشترك مع بعضها البعض باحتكار السياسة عليهم وحاشيتهم، ما يؤدي إلى ندرة المشاركة الشابة في هذا المجال. فكتب موسى برهومة عن هذا الموضوع في ٢ مايو تحت عنوان (فرص الشباب في البرلمان ضئيلة حتى لو كان المرشح عبقري زمانه): "تبدو صورة التمثيل الشبابي في البرلمان في مهب الصدفة البحتة، في غياب تنظيمات شبابية قادرة على إيصال المرشح إلى البرلمان".

وتعود هذه الصورة في الأردن، لأنه يعتمد على العشائرية في الحكم والوصول إلى المراكز الحساسة، حيث يؤكد أمين عام وزارة الشباب ذوقان عبيدات في تصريح له في الملحق: "لو كان المرشح عبقري زمانه ونابغة لا يشق له غبار، فلن يحظى بفرص الفوز إذا كان مقطعاً موصلاً". أي أنه يجب أن يكون الشاب مدعوماً عشائرياً في الأردن، حيث يتابع:"فرص فوز شاب أو شابة في غمرة الحضور العشائري تبدو ضئيلة جداً ومحدودة".

أما في العراق، وهو النظام الدكتاتوري المعروف بسيطرته وانفرادية الحزب الواحد في الحكم، فيختلف عن الأردن في هذا المجال، فسياسة النظام الحاكم هي المشكلة، إضافة طبعاً إلى قلة مشاركة الشباب سوى الحزبيين، فالنظام العراقي السابق أعطى الضوء الأخضر لحرسه لانتهاك الحقوق دون مساءلة، وحول هذا كتب عبد الأمير في ١٣ مايو نقلاً عن مروى إبراهيم: "النظام السابق أشاع مفاهيم وقيماً تقوم على العنف واغتصاب الحقوق بالقوة".

ويؤكد مقال لمكتب الحياة في بغداد هذه النقطة، حيث كتب: "الاتحاد الوطني لطلبة العراق، وكانت بحسب أجيال كثيرة من الطلبة العراقيين، منظمة أمنية مارست إرهاب البعث".

وقد كان النظام السابق يعمد إلى تهميش بعض المناضلين والقادة والرموز لأنهم كانوا ينتهجون نهجاً مخالفاً له، فكتب علي عبد الأمير: "على مدى ٣٥ عاماً كان النظام السابق يحرص على تغييب المعلومات والرموز من أذهان الشباب العراقيين الذين وجدوا أنفسهم في صفوف الحزب مؤيدين ومناصرين قسراً وعنوة وتحت التهديد".

كما كانت هذه السياسة تتبع في مناهج التعليم منذ المرحلة الابتدائية وحتى الجامعية، وحتى وسائل الإعلام، فيتابع علي: "فعلى مدى سنوات طويلة كانت المناهج الدراسية تلقن الشباب خطاب صدام وتهمش أحداثاً ورموزاً كثيرة ... وأكثر ما يسهم في التضليل ما كانت تبثه وسائل الإعلام في شكل يومي من تشويه للحقائق وتزييف للتاريخ".

وتؤكد مروة إبراهيم الموسوي هذه النقطة، حيث تقول: "كانت المناهج الأدبية مهيأة لمصلحة صدام وزمرته وتمجيد أفعاله".

وفي مصر تنبه الشباب إلى ضرورة المشاركة السياسية في مختلف الجهات وحتى النقابات، وكان لافتاً للنظر تزايد المرشحين في انتخابات نقابة الصحافيين، فكتب محمد الشرقاوي في ١ تموز:" إن تدافع الشباب للترشح إلى عضوية المجلس ليس إلا تعبيراً عن رغبة غالبية الصحافيين في التغيير، ومحاولة إصلاح العمل النقابي من الداخل ...".

إن هذا التنبه الشبابي حظي بتأييد البعض وبنقد البعض الأخر، فيقول سيد محمود حسني في تصريح للشرقاوي: "صراع الأجيال مسألة طبيعية في أية مهنة، لكن المهم أن يتم بصورة صحية". وهو أحد أعضاء النقابة.

كما أضاف زميله محمد حلمي وهو أحد المرشحين الشباب: "لا بد من التغيير وضخ دماء شابة وجديدة تكون قادرة على فعل ما فيه مصلحة الصحافيين كمجموعة".

ومن الممكن أن يتعرض الشاب إلى أزمات نفسية نتيجة للضغوطات السياسية والاجتماعية من حوله، وقد ذكر هذا في مقال سامح فوزي في ١٧ ديسمبر، حيث قال على لسان أستاذ الطب النفسي في جامعة الأزهر محمد شوقي العقباوي: "هناك نوع من الاكتئاب يرتبط بظروف اجتماعية ونفسية، مثل أن يعاني الإنسان قهراً سياسياً ... .

في المجتمع المصري تصل نسبة الشباب تحت سن الثلاثين إلى ٦٠ بالمائة من التركيب السكاني، وتعاني نسبة كبيرة من الشباب في ظل التغيير الاجتماعي والظروف الاقتصادية الضاغطة من الإحباط والاكتئاب".

إن معظم الأنظمة تسعى إلى إضعاف الشعب لكي تبعده عن أن يكون قوة محركة ومغيرة في رأي مارك ضو، الذي كتب في ١٠ حزيران: "حال لبنان والعالم العربي اليوم تلخصه كلمتان: العجز والقمع، ... وقمع يصادر آراء الشعوب وحقوقها أو يحتويها لمنع تحولها إلى قوة تغيير حقيقية".

أما بخصوص الانتخابات، فيظهر ضو ضعف الديمقراطية العربية مقارنة بغيرها، كما يبين سيطرة العسكر والجيش على الدول وتسلطها: "رأينا كيف مُني حزب أزنار بخسارة في الانتخابات البلدية في إسبانيا بسبب قدرة الشعب على المحاسبة في ظل الحريات والنظام الديمقراطي. أما العالم العربي، فممنوع من المشاركة في هذه العملية، لأنه محروم من الحرية التي صادرتها السكرتارية المتمسكة بالسلطة...".

ولا يعتقد مارك أن حكم هذه الأنظمة سيطول، بل إن مصيرها هو السقوط طالما لم تنل الولاء من الشعوب بطريقة الديمقراطية أو بتدخل أجنبي أو غيره: "التغيير على الأبواب إما بسلاح أجنبي وإما بأصولية من نوع آخر أو بالحرية والديمقراطية للشعوب من الداخل".

ويبدو في بعض الأقطار العربية أن سياستها تكمن في إشغال الشعب عن التفكير في السياسة والديمقراطية وغيرها، وذلك عن طريق إشغالهم بأمور أخرى كالمأكل والرياضة، فيقول هشام زكي: "تخرجت قبل ثلاث سنوات من كلية الهندسة، كنت في ما مضى لا أعير اهتماماً لما يجري من حولي، سواء

أكانت أحداثاً سياسية أم اقتصادية. وليس ذلك وليد مبدأ اعتنقه أو مؤمن به، ولكنني نشأت في أسرة متوسطة الحال، ليس لأي من أفرادها اهتمامات سوى البحث عن لقمة العيش وتعليم الأبناء، إلى جانب تشجيع نادي الزمالك ...".

ويرى محمود حسن أن على الحكومات أن تفتح المجال أمام الشباب للمشاركة في الحكم واتخاذ القرارات السياسية لأنهم العنصر الأكبر في المجتمع والطاقة المحركة: " ... أن تفتح الأنظمة الحاكمة الباب أمام أجيال جديدة من الشباب لممارسة العمل السياسي، وتولي مناصب سياسة قيادية، وأن ترفع الوصاية عن الجماهير كي تمارس نشاطها السياسي".

أما اليمن، فإن بوادر المشاركة الشبابية في السياسة قد لاحت من بعيد، منذ ظهور محاولات لتوحيد الشباب في منظمة واحدة، وقد كتب إبراهيم في ٤ شباط عن هذا الموضوع: "يجري التحضير لتأسيس الاتحاد الوطني لشباب اليمن". وهو معارض للسلطة وقد جاء في بيانه: "إن الاتحاد يعبر عن شريحة الشباب ويلبي طموحاتها، ويفتح الباب لكل المنظمات الشبابية والشخصيات الإبداعية للانضمام الطوعي إليه".

هذا يعني أن الشباب بدأوا بالتنبه لتشكيل اتحادات ومنظمات شبابية من أجل توحيد جهودهم في سبيل التغيير وانتزاع حق المشاركة السياسية في الحكم، فذكر إبراهيم محمود في مقاله عن تحضيرات شبابية لخوض الانتخابات البرلمانية: "وعكست الصراعات السياسية والحزبية في اليمن نفسها على قطاع الشباب بشكل واضح، رافق الانتخابات البرلمانية المقررة في أواخر أبريل".

VIII. الهجرة والاغتراب

المركز السابع كان من نصيب قضية الهجرة واقتصر ذكرها على (٢٦) تكراراً في مقالات الملحق. لكنه ليس الفارق الكبير بينها وبين السياسة التي سبقتها بتكرارين.

تصريح لمحمود درويش في ٢٥ شباط: "أسخف شيء أن يتضح مستقبلك أمامك، فلندعه يفاجئنا، المستقبل غير موجود هنا، والحل هو السفر ونحن ننتظر".

ففاليا الشامي في ٢٢ ديسمبر تبرر سفرها بأن بلدها لم يحترم حريتها وحد من طموحها، ولم يوفر لها سبل التقدم، بل أعاقها: "لم يحترم حريتي ولم يترك مساحة ولا تقديراً لأي جهد فردي قمت به. لم يتح لي فرصة للتقدم ... هو بلد الحد من الطموح. بلد الفوضى وقلة النظام". تحاول فاليا في كلماتها هذه أن تخلق لنفسها المبررات على سفرها، فتنسب ما سبق من صفات على بلدها، وتحاول أن تحسن تصورها عن البلد المسافرة إليها لتخفف عن نفسها من شعورها بالذنب: "أنا ذاهبة إلى بلد الحريات وحقوق الإنسان، إلى حيث النظام والديمقراطية".

إن الكثيرين يحاولون الهرب من الواقع الذي يعيشونه بالسفر إلى بلد آخر بأية طريقة كانت، وقد تعرض خالد زنكلو لرواية بعض من جازف للوصول من الساحل السوري إلى جزيرة قبرص، فيقول: "ضاقت بسعيد السبل، ركوب المخاطر وولوج البحر أجدى للخلاص من حال الضياع".

يقول سعيد عن مغامرته بقطع البحر بقارب صغير للوصول إلى قبرص: "انطلق القارب بنا بعد منتصف الليل من شاطئ اللاذقية في غفلة من أعين خفر السواحل، افقدنا دوار البحر ومهابته السكينة والأمان".

يقول سعيد ياسين في ١٠ سبتمبر: "لا يزال الحلم بالسفر إلى الخارج، سواء الدول العربية أم الأجنبية يراود الكثير من الشباب المصري".

إن تحسين الوضع المادي هو الهدف من وراء السفر إلى الخارج فيقول محمد العسلي: "على الرغم من أنني كنت أعمل في مدينة شرم الشيخ أحقق دخلاً جيداً، فإنه كان موسمي ومرتبطاً بظروف السياحة ... أود في الحصول على دخل منتظم".

ويرجع استشاري الطب النفسي الدكتور خليل فاضل هذه الظاهرة في تصريح لسعيد ياسين: "أصبح المجتمع المصري في شكله الحالي قوة طاردة نتيجة وجود خلل وتوتر وإرهاق، وبالتالي ضغوطات نفسية تنتج اللهاث وراء لقمة العيش".

ليس العمل وحده هو السبب في الهجرة أو السخط على الأوضاع، بل التعليم أيضاً سبب وجيه عند البعض. فشادي الخوري الذي يحلم بالسفر إلى الغرب لإتمام دراسته الجامعية هناك: "معظم دراسات ما بعد المرحلة الجامعية في الخارج بالإنكليزية". وهو هنا يبرر سعيه لتعلم الإنكليزية.

العراق كان له ظرفه الخاص، فهجرة أبنائه كانت بسبب الحرب والحصار وما آلت إليه البلد بسببهما من خراب وتردي الأوضاع، فيقول علي عبد الأمير في ٤ مارس: "السلطات العراقية تقول: "عدد المهاجرين العراقيين في حدود مئات من الآلاف، وتؤكد السلطات أنهم تركوا البلاد بحثاً عن تحسين ظروف حياتهم التي أضر بها الحصار الظالم".

بينما يرفض أسامة عبد الرحمن وهو محامٍ عراقي مقيم في عمان أن يكون الوضع الاقتصادي هو السبب الوحيد فيقول: "الانتهاكات حقوق الإنسان في العراق العامل الأبرز في لجوء العراقيين وهجرتهم وليس مجرد تردي الأوضاع الاقتصادية".

IX. الزواج

استطاعت قضية الزواج بين صفوف الشباب بـ(٢٥) تكراراً، أن تحصل على المركز الثامن، لكن الفارق بينها وبين المركز السادس مثلاً ليس بكبير (ثلاثة تكرارات).

والزواج هو العلاقة الأسمى بين العلاقات الاجتماعية ومراد كل شاب وشابة، حيث يحلم كلا الطرفين ببناء أسرة وبإنجاب الأطفال، إلا أن الظروف تقف سداً منيعاً في سبيل تحقيق هذا الحلم، حيث تختلف المشاكل من مشاكل مادية ومالية مثل القدرة على تحمل تكاليف الزواج أو شراء مسكن في ظل ارتفاع أسعار الشقق السكنية وغلاء الإيجارات، أو مشاكل ما بعد الزواج كعدم التفاهم أو عدم القدرة على الإنجاب، أو تدخل الحموات، إضافة إلى عدم موافقة أحد الشريكين، أو الزواج المبكر.

وقد تعرض الملحق لكافة تلك الحالات السابقة في عديد المقالات، وأول هذه المشاكل هي تكاليف الزواج، من مهر، وشبكة، ومستلزمات، وأثاث الدار، حيث

أكدت سميرة الخياري رئيسة تحرير ملحق الأسرة الأسبوعي في صحيفة الثورة في لقاء مع إبراهيم محمود في صنعاء في ملحق ١ تموز أن الوضع المادي السيئ يحرم الكثيرين من إتمام نصف دينهم، وبخاصة غلاء المهور: "الأوضاع المادية تحرم عدداً كبيراً من الشباب من إتمام نصف دينهم بسبب غلاء المهور وعدم حصول البعض على وظيفة تؤمن له دخلاً".

كما أشار حسن فحص في ٤ مارس وعن أهمية الوضع المالي، ودوره في عزوف الشباب عن الزواج: "ويبدو أن تفاقم أزمة البطالة وتراجع فرص العمل تسببا في بروز ظاهرتي الهجرة والعزوف عن الزواج واتساعها".

إن سوء الوضع المالي ينجم عنه صعوبة شراء السكن أو عش الزوجية، ما يضطر الرجل إلى السكن مع عائلته فتتوالد مشاكله مع زوجته أو بين زوجته وأمه، أو أن يستأجر ويبقى تحت وطأة تسديد أجور شهرية، فتتعب كاهله وتحرمه من الترفيه على نفسه.

فوفاء من سورية وتحت عنوان أحلم بمنزل جميل صرحت لملحق الشباب في رسالة لها في ١٩ نوفمبر تقول: "حاولت في الأشهر الأولى أن أشجع بسام الذي كان ينتابه الإحباط من فترة لأخرى بسبب ضخامة الأعباء مقارنة مع دخله الشهري، وبالفعل أقدم على سحب قرضين دفعة واحدة كما اشترك في جمعية مع أخوته وجيرانه".

أما سميرة من القاهرة، فقد أفضت في رسالتها عن مشكلتها مع حماتها التي تغار منها كونها أخذت ولدها منها، فتقول: "لا يوجد حوار بيني وبين حماتي، وفي بعض الأحيان كنت أشعر أن حماتي تغار مني لأنني أخذت ابنها منها ... وهي تقوم بتفتيش غرفة نومي، وكثيراً ما تقلب في ملابسي ... انهارت خصوصيتي كزوجة".

إن المشاكل المادية أدت إلى تأخر سن الزواج بشكل ملحوظ، فقد ذكرت سمر ازمشلي في مقال لها في ١٩ نوفمبر أن المعدل العمري للزواج قد ارتفع، حيث أيدت مقالها بإحصائيات رسمية: "تدل الأرقام إلى ارتفاع متوسط سن الزواج عند الفتيات من ١٨ عاماً إلى ٢٨ عاماً، وعند الشباب من ٢٢ عاماً إلى ٣٢ فما فوق".

أما تونس، وبحسب ماهر عبد الجليل في ٢١ كانون الثاني فإن معدل العزوبة ارتفع: "أبرز آخر مسح للسكان للعام ٢٠٠١ بأن نسبة العزوبة ارتفعت عند الذكور إلى ٨,٤٨ بالمائة ووصلت لدى الإناث إلى ٤٠ في المائة، فأصبحت الغالبية لغير المتزوجين في تونس الألفية الثالثة".

توجد أسباب كثيرة غير تلك المادية مثل صغر عمر الزوج أو الزوجة، ما ينقص الوعي والمعرفة ويؤدي إلى نشوب خلافات، والملحق في ١٩ نوفمبر يروي قصص فتيات تزوجن في أعمار صغيرة. وتنقل منال نحاس إحصائيات رسمية في لبنان عن نسبة الفتيات اللواتي يتزوجن في أعمار ما بين ١٥ ـ ١٩ عاماً: "٢,٦ في المائة هي نسبة النساء اللبنانيات المتزوجات في الفئة العمرية ١٥ ـ ١٩".

وفي نقل منال لروايات شيرين ومنى ولمى اللواتي تزوجن في سن السادسة عشرة من العمر تقول: "شيرين في السادسة والعشرين من عمرها، وهي اليوم مطلقة، وأم لطفلين يبلغان ثمانية أعوام وتسعة أعوام. لقد دام زواجها ستة أعوام تركت أثناءها البيت الزوجي لمدة عامين لكثرة الشجار والتوتر".

كما أن نقص معرفة كلا الشخصين بالآخر هو سبب قوي لفشل الزواج، فتروي منال على لسان شيرين: "يضحك هذه الأخيرة عدم معرفتها بعمل زوجها ونوع دراسته وسنه يوم قبلت الزواج به، فهو تقدم لخطبتها بعد أن شاهدته في كشافة المدرسة".

أما سامية وفي روايتها لمنال تقول: "التقيت شريك حياتي في منزل زوجين من الأصدقاء، وبعد زواجي اكتشفت أن زوجي يستشير أمه في الشاردة والواردة، فإن أردت أن اشتري طاولة رافقتني أمه أو أخته ...".

الزوج وتسلطه أو نزوع الرجل إلى التحكم وإعطاء الأوامر له نصيب في التقسيم وإعطاء الأدوار. فإحدى الزوجات من تونس وفي روايتها للملحق، ـ حيث تزوجت ممن أحبت خلال سنوات الدراسة ورضيت العيش معه في بيت مكوّن من غرفتين صغيرتين ـ هذا الزوج الذي راح يتحكم بصديقاتها وخروجها ودخولها للمنزل حيث تقول: "انتظرت كل شيء، لكنني لم أتوقع أن يكون زوجي المتفتح والمتعلم وحامل الشهادات الجامعية شرقياً ومتسلطاً، فقد كان يمنعني من زيارة صديقاتي قائلاً: (فلانة لا أحبها ولا أريدها في بيتي، ولن تذهبي إليها ثانية)".

الحماة وتدخلاتها لها حصة الأسد في الملحق ومشكلات مراسليه، فخالد في الرابعة والثلاثين من العمر يروي مشكلته مع حماته قائلا: "المشكلة الأولى هي تدخل حماتي في حياتي، زوجتي عبير ضعيفة الشخصية تردد دائماً كلام حماتي، وغالباً ما تسير وفق كلامها".

إن لكل المشاكل السابقة كسوء الوضع المالي والاختلافات وغيرها نتائج وخيمة، مثل الطلاق والزواج العرفي أو عقد المتعة.

فمنال نحاس أعطت مثالاً في مقالها لثلاث فتيات لم يوفقن بزيجاتهن لأسباب مختلفة، فمنى مثلاً طُلقت لأن زوجها كان يخونها: "منى خالفت زوجها قبل مرور عام على زواجها، وبعد أن تبين لها أنه يعاشر غيرها من النساء المشبوهات".

إن المرأة المطلقة في مجتمعاتنا العربية محاصرة من مختلف الجهات، حيث العادات والتقاليد إضافة إلى كلام الناس وألسنتها التي تلوك الجميع. فعادل وتحت عنوان زوجتي خاتم في إصبعي يروي قصة حبه لأخت صديقته المطلقة التي رغب بالزواج منها، إلا أن كونها مطلقة جعل أهله يعارضون الفكرة ويسرعون في تزويجه من أخرى: "بدأت أفكر جدياً في الزواج، فقد كانت أخت صديقي مرحة ولطيفة، وتجاهلت كونها أكبر مني، وتجاهلت حالتها الاجتماعية وذهبت في زيارة عاجلة إلى أهلي وفاتحت أمي بالموضوع التي سرت في البداية لإقدامي على الزواج، لكنها سرعان ما رفضت الموضوع عندما علمت بالحالة الاجتماعية لفتاتي". أما الزواج العرفي، فقد كشفت الصحف في اليمن، مؤخراً، مفاجآت تتمثل في اكتشاف العديد من حالات الزواج العرفي وخاصة بتلميذات المدارس، بحسب ملحق الشباب في (١ تموز ٢٠٠٣).

وقد علق إبراهيم محمود على هذا الموضوع بحسب آراء بعض المختصين: "إن الظروف الاقتصادية هي التي جعلت بناتاً في عمر الزهور يقدمن ويوافقن بقناعة كلية على الزواج العرفي الذي لا يوجد فيه اشتراط ولي الأمر أو ذكر المهر".

وقد أشارت الباحثة تقوى الجرموزي لإبراهيم محمود أن ظاهرة الزواج العرفي تعود إلى انسياب الأخلاق وغياب الرادع الديني. كما وصفت هذه الظاهرة بفورة الشباب التي لم تجد من ينظمها.

عقد المتعة أصبح ظاهرة لافتة للنظر في معظم البلدان، حيث أصبح هذا الشكل من العقود موجوداً من منطلق ديني وللابتعاد عن الحرام. منال سويدان في ملحق ٤ مارس أطلقت العنان لجنى كي تفرج عن همهما بعدما تعاملت بهذا العقد مع رجل أكثر بوعوده لها، إلا أنه بعد معرفة أهلها بالموضوع تفلت من وعوده والتزاماته، فتقول:"أخذت جنى تتردد إلى محله باستمرار فنشأت بينهما صداقة ... بعد مقابلات سرية حاول التقرب منها وتقبيلها رفضت، لكن مقاومتها لم تصمد طويلاً ... ".

تقول جنى: "كنت واعية لما أقوم به ومستعدة لتقديم كل شيء بدافع الحب". في ذلك الوقت عرفها حبيبها بعقد المتعة، فتقول:"ارتحت نفسياً أكثر وأحسست أنني أرضيت ربي". عندما علم أبوها ضربها ضرباً مبرحاً دون أن يحرك الحبيب ساكناً. فعلمت أن الرجل الذي ضربها أبوها لأجله لا يكنُّ لها الحب.

بعد فترة أحبت جنى شخصاً وعرض عليها الزواج، وترددت في إخبار خطيبها بالموضوع، فتقول: "فكرت في أن أجري عملية رتق غشاء البكارة لكنني خفت من عدم نجاحها".

جنى -برأيها- لم تخطئ، ولم تفعل شيئاً حراماً، ولكن هناك تضارباً بين الدين والواقع الاجتماعي الذي نعيشه. وفي استشفاف للآراء حول هذا العقد كان كالتالي:

جهاد الزين: "أنا مع عقد المتعة وبأي حال من الأحوال مهما كان عمر الفتاة".

محمد الأيسر ملتزم دينياً: "لا أقبل تلك الفكرة وبخاصة العذراء".

محمد عبيد وهو ملتزم: "عقد المتعة غير مقبول للعذراء ولكنه غير منتقض للمطلقة أو الأرملة".

أما نورما وهي ملتزمة فتقول: "زواج المتعة في أيامنا أصبح حلاً، نظراً للظروف الاقتصادية التي يعيشها الشاب".

X. التطرف

حصل التطرف على المركز ما قبل الأخير في ترتيب القضايا (المرتبة الثامنة) بـ (٢١) تكراراً.

وتنقسم هذه الظاهرة إلى تطرف سياسي أو ديني. بدأت ظاهرة التطرف تظهر في هذه الفترة في مختلف البلدان العربية بعد انقطاع دام سنوات طويلة، بعد أن تم قمعها من قبل الأنظمة، كما في سورية والأردن ومصر وغيرها. وتظهر الحركات الأصولية المتطرفة في بلدان مثل مصر والجزائر والمغرب والسعودية. فعن عملية الرباط كتب ياسين عدنان في ملحق ١٧ حزيران يقول: "هي أكبر عملية إرهابية في تاريخ المغرب المستقل، أكثر من أربعين قتيلاً وعشرات من الجرحى كانت حصيلة التفجيرات الانتحارية...".

أما في اليمن فلم يختلف الحال عنه في المغرب، فبحسب مقال محمود إبراهيم في ٢١ كانون الثاني فإن عمليات التقتيل والاغتيالات تعددت وانتشرت كثيراً: "صبية الإفتاء في اليمن قضية تتصدر اهتمامات الرأي العام اليمني إثر سلسلة من الأعمال الإرهابية والتخريبية والاغتيالات من شبان يمنيين يعتقدون أنهم على حق بعدما تلقوا فتاوى ...".

سياسة الحكومات هي الدافع الأساسي لانتماء الشباب إلى الحركات الأصولية واتباعها العنف. فمحمد مقدم كتب على لسان عبد الكريم علوان في ٧ كانون الثاني وهو جزائري قصة انتمائه إلى كتيبة الغرباء التابعة للجماعات الإسلامية، حيث قال: "بعد إلغاء المسار الانتخابي التحق أخي محسن بالجماعة المسلحة، وكان يأتي إلى البيت من حين إلى آخر في جنح الظلام، غير أن المداهمات التي قامت بها قوات الأمن لبيتنا وعدم احترامهم مشاعرنا عمقا القناعة بضرورة الالتحاق بالجماعة المسلحة".

وكذلك حليم سعداوي في روايته أكد على أن انتمائه للحركة كان نتيجة انتهاك قوات الأمن لحرمة عائلته وعززت هذه الخطوة قناعته من أن ما يقوم به هو عين الصواب.

لا يمكن تجاوز ما للعامل الاقتصادي والمادي من تأثير وجذب لجيل الشباب للانتماء في هذه الحركات، حيث الدين والتشدد في تعاليمه هي المفر الوحيد، وفي مقال ياسين عدنان جاء: "... اعتادوا على مواجهة الفقر بالتدين والمخدرات...".

ويؤكد إبراهيم محمود هذه الفكرة في مقال له نشر في ٢١ كانون الثاني فيقول: "هؤلاء الشبان الذين... يشكلون في نظر الفاعليات السياسية والاجتماعية في اليمن خطراً داهماً ليس لأنهم يغلقون باب الاجتهاد ... بل لأنهم تغلغلوا داخل أوساط شباب مأزوم نفسياً واقتصادياً ويعاني البطالة لإغوائه بالانضمام إلى معسكر تجهيل المجتمع وتكفير الغير".

كما أن الخوف يمكن أن يكون من أهم أسباب الانتساب والتعامل مع هذه الحركات، فغالبية هذه الحركات تسعى إن فشلت بالترغيب المالي إلى إجبار الإنسان على الانتماء قسراً في عملياتها، فكتب ياسين عنان: "وعلى الرغم أنهم كانوا يحاولون فرض أفكارهم على أهل الكاريان بالعنف أحياناً...".

التنشئة الخاطئة سواء من طرف العائلة أو مؤسسات التربية كالمدارس والكتاتيب في الجوامع لها حصة في نشر هذه الظاهرة، فيقول إبراهيم محمود في مقاله: "وبدأت الأوساط الثقافية والفكرية في اليمن توجه أصابع الاتهام إلى المدارس والجامعات في شأن زيادة التطرف والإرهاب وزيادة المشايخ المصطنعين".

أما عن دور الأسرة، فكتب إبراهيم نقلاً عن الدكتور عبد الله معمر أستاذ علم الاجتماع المساعد في جامعة صنعاء: "هناك عدة عوامل تدفع بعض الشبان إلى ثقافة العنف والارتماء في أحضان الإرهاب، منها العامل الاجتماعي، ويتمثل في أسلوب التنشئة الخاطئة من جانب الوالدين والمتمثلة في الضغط الأبوي على الأبناء أثناء عملية التربية التي يسودها الضغط والحرمان". كما تتذرع الجماعات الإسلامية في الجزائر محاربة النظام الحاكم للإسلام وتعاليمه، لذا فهي تحاربه وفي رواية توفيق حمادي لمحمد مقدم يقول: "اقتنعت بجدوى محاربة نظام الحكم الذي يرفض الشريعة الإسلامية والذي يقتل الإسلاميين ويرميهم في السجون".

إن أغلب المنتمين إلى الأحزاب المتطرفة هم صغار غرر بهم، ويتعرض إبراهيم محمود في مقال له نشر في ١٢ كانون الثاني إلى هذه النقطة، حيث كتب: "بعضهم لا يتجاوز عمره الـ١٦ عاماً، أو أكثر بقليل وغالبيتهم لا يزيدون عن الثلاثين". إن الصفة المشتركة لكل هذه الحالات هي المغالاة في التكفير، وقد

ذكر جميل الذبياني هذه النقطة في مقاله في ١ تموز: "وأكد شهود للحياة أن عبد الحميد الراوي الذي لقي حتفه في المداهمة كان يعمد إلى تكفير الكثيرين، وكان ينتهج أسلوباً متشدداً ومغالياً في الدين". وقد حاولت بعض البلدان العربية اتخاذ غير طريق الرد بالمثل لوأد مثل هذه الحركات، حيث قام الرئيس اليمني علي عبد الله صالح إلى اتخاذ الحوار كوسيلة للإقناع كما ذكر إبراهيم محمود: "شكل الرئيس اليمني لجنة من العلماء برئاسة القاضي حمود الهتار مهمتها الحوار مع المغرر بهم من الشبان ...".

كما أن الجزائر أيضاً قد حققت خطوة في طريق مكافحة التطرف، وذلك بقانون الوئام المدني الذي طرحة الرئيس بوتفليقة. وقد عبر حليم السعداوي في روايته عن سعادته بهذا القانون، حيث قال: "أشعر اليوم أن ما حدث صفحة في الماضي، واستفادتي من تدابير قانون الوئام المدني في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٩٩ هي هبة من السماء لأعيش حياتي مجددا ...".

لا يقتصر التطرف على التطرف الديني، بل يتعداه إلى التشدد والمغالاة في نشر الأفكار السياسية، وهذا يحصل في معظم البلدان العربية ذات الحزب الواحد، كما في العراق، حيث وصل الأمر إلى التحكم بمواضيع رسائل تخرج الطلبة، حيث تقول أنوار طاهر في ملحق ١ حزيران: "وتدخل في تقويم الموضوع اعتبارات كونه مع السلطة الحاكمة أو ضدها، وما إذا كان يمس ثالوث الدين، والجنس، والسياسة ...".

XI. الانحراف

كان للانحراف الحظ الأضعف في التواتر في مقالات الملحق، حيث اقتصرت فرص ذكره على (١٩) تكراراً، ويكون بهذا قد احتل المركز العاشر والأخير بين القضايا. لكن هذا لا يعني أنه قضية غير مطروحة.

إن الانحراف كقضية يمكن أن تكون محصلة لمختلف القضايا السابقة كالأمية أو الفراغ أو البطالة وحتى مشاكل الأسرة والحروب. فأفرام القصيمي كان قد زار إصلاحية وعمل فيها لمدة، عرض في مقال له في ٢٢ تموز لبعض جوانب

حياة الأولاد في هذه الإصلاحية وأسباب وصولهم إليها، فيمر على دور التعليم في توجيه السلوك وتهذيبه، فيقول: "عملية إعادة التأهيل تمر أيضاً بقاعات الدراسة، لكن هذه المسألة أكثر تعقيداً فمعظم الداخلين أميون، وقلائل هم الذين وصلوا إلى مستوى علمي مقبول. تنسيق الدروس بين كل تلك الفئات المتفاوتة يطرح مشكلة تزيد من حدتها معركة الدخول وإخلاء السبيل".

أما علي عبد الأمير فقد عزا سبب الانحراف من وجهة نظر ضابط الشرطة الرائد شاكر محمود إلى العوز المادي والفقر والأسرة: "إن غالبية الجرائم سببها العوز المادي وصعوبة الظروف المادية والاقتصادية، وهذه تدفع الحدث وهو قاصر بتفكيره لارتكاب جريمته، وقسم من الأحداث يرتكبون جرائمهم من خلال شذوذهم ... وهي ترتكب عادة في الأحياء التي تعيش وضعاً اقتصادياً سيئاً".

وقد ذكر علي أنواع التهم الموجهة للمنحرفين: "سجن الرشاد وبأقسام منفصلة من الذكور والإناث كانوا يقضون عقوبات سجن بين سنة وعشرة سنوات؛ لارتكابهم جرائم سلب وتعاطي مخدرات وتناول الكحول وعددهم ٣٥٠٠".

وفي رسالة إلى الملحق من مكتب الحياة في القاهرة، وهي قصة إحدى الفتيات التي انتهجت الدعارة لكسب الرزق بعد تفتت أسرتها، فاضطرت إلى بيع جسدها: "مات والدي وأنا في الخامسة عشرة، وفي غضون أشهر قليلة ترك أخوتي الواحد تلو الآخر البيت، وتفسخت الأسرة، وبعد عام توفيت أمي، وجدت نفسي في الشارع أجلس في أحد الميادين استعطي المارة. بدأ الشباب يتحرشون بي، سيما أنني أمتلك قدراً من الجمال ...".

قاسم محمود في ١ تموز شدد على دور الأسرة أيضاً في توعية الابن وإبعاده عن الانحراف، فيروي على لسان ربى الأمين: "هناك هوة كبيرة بين الأهل والأولاد في مجتمعنا لأن الأهل لا يعملون على إيجاد حوار واعٍ مع أولادهم، ولو أن هناك تواصلاً مستمراً لساهم ذلك في اكتشاف مشكلات الأولاد في وقت مبكر، وجنبهم مخاطر الوقوع في عالم المخدرات".

وتعطي جانيت غاريوس إحصائية عن عدد متعاطي المخدرات في العالم: "نسبة تعاطي المخدرات في العالم نسبة إلى هيئة الأمم المتحدة بلغت ١٨٠ مليون شخص. وقدمت مدير عام تجمع أم النور، وهو منظمة غير حكومية في لبنان

دراسة تقويمية سريعة عن لبنان أشارت إلى أن ٨٦ في المائة من طلاب المرحلة التكميلية جربوا مرة واحدة مادة مخدرة كالحشيشة".

وقد عزا ماهر عبد الجليل ظاهرة تعاطي المخدرات في مقال له في العدد نفسه إلى ضعف الوازع الديني، حيث قال: "بحسب مركز تأهيل المدمنين في الشارقة، فإن أحد أسباب تعاطي المخدرات تعود إلى الوازع الديني ورفقاء السوء وحب التجربة ... والفراغ يشكل نسبة ٤٦ في المائة من أسباب العودة إلى التعاطي".

ودعم ماهر مقالهَ بإحصائيات للدكتور قاسم أحمد عمر من مركز بحوث شرطة الشارقة: "إن هناك ارتفاعاً في المتوسط السنوي لعدد جرائم سوء استخدام المؤثرات العقلية في الإمارات، حيث كان المتوسط السنوي في الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦ نحو ١١١، ثم في الفترة ما بين ١٩٩٨ إلى ٢٠٠١ شهدت الشارقة زيادة بنسبة ١٩ بالمائة".

وترجع جانيت غاريوس أيضاً سبب الانحراف إلى اختيار الأصحاب الذين من الممكن أن يجروا أصدقاءهم إلى تعاطي المخدرات أو السرقة أو غيرها من الأمور، وبخاصة إذا كانوا ضعاف الشخصية، وتنقل رواية شخص بدأ بتعاطي المخدرات من أنه كان في الخامسة عشرة من عمره، حيث قال: "كنت مع رفاقي وأردت أن أجربها بداعي الحشرية، وبخاصة أنه كانت لدي القدرة المادية لأشتريها، وانتقلت من تدخين الحشيشة إلى تعاطي مخدرات أقوى، وأصبحت أتناول بين ٣ و٤ غرامات يومياً ومن دون توقف".

أما مكافحة هذه الظواهر، فقد تعددت برأي ماهر عبد الجليل مثل التوعية، والعقاب، والتوجيه: "تعددت آليات مكافحة المخدرات من قوة القانون الذي يوقع أشد العقوبات بهذه الفئة من الجرائم تصل إلى حد الإعدام إلى دعم فاعليات التثقيف والتوجيه في أوساط الشبيبة ... والسعي إلى إعادة إدماجهم في الحياة العامة ...".

إن للإصلاحيات دوراً في إعادة تشذيب وتهذيب وصقل تصرفات المنحرفين، حيث تؤكد خبيرة علم الاجتماع في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية الدكتورة عزة كريم :"أن مؤسسات ودور الأحداث لها دور مهم في إعادة تأهيل بعض الفئات من الجانحين الذين بداخلهم باعث للاستقامة والعودة للطريق المستقيم ... يتم إيداعه في المؤسسة المفتوحة التي يكفل لها إعطاء تدبير للحدث، سواء بتعليمه حرفة ما، أم إعادة تأهيله نفسياً واجتماعياً".

ثانياً- الاستمارة

كنت قد تحدثت في القسم التمهيدي عن الاستمارة وأهميتها بالنسبة للبحث الذي أعده للمقارنة بين نتائجها والقضايا التي يعرضها الملحق، وبنتيجة هذه المقارنة أكون قد أجبت عن إشكالية البحث، وحددت الفرضيات الصحيحة والخاطئة.

وقد تكونت العينة من ٢٥ شخصاً من مختلف الفئات العمرية (١٨ – ٣٥)، ومختلف مجالات العمل والدراسة (تجار، وطلبة، وعاطلين عن العمل)، كما ينتمي أفراد العينة إلى بلدان عربية مختلفة من المغرب العربي ومشرقه.

وقد كانت الاستمارة مكونة من الأسئلة التالية:

هل القضايا التالية هي التي يواجهها الشباب العربي؟

(القضايا هي سابقة الذكر التي تم تحليلها)

ما أهم القضايا السابقة؟

ما القضية التي لم تذكر؟

ما المحاور التي تطلع عليها في قراءتك للصحف؟

وسأنظم في الجدول التالي تكرارات الإجابات عن أسئلة الاستمارة:

السؤال الأول: جدول ٤

الإجابة	نعم	لا
هل هذه القضايا هي التي ...؟	25	0

وبنتيجة هذه الاستمارة، فإن نسبة المجيبين بنعم هم مائة بالمائة من العينة. وهذا يعطي نقطة إيجابية من ناحية تناول القضايا والأطروحات في الملحق.

السؤال الثاني: ما أهم القضايا السابقة؟

وقد احتلت البطالة في الجدول السابق المركز الأول، وهو تماما المركز ذاته الذي احتلته في التحليل الكمي، بينما احتل الوضع السياسي المركز الثاني بتسعة تكرارات.

حصل التعليم على المرتبة الثالثة بعد الوضع السياسي، وهو ما حصل عليه في التحليل الكمي، بثمانية تكرارات. أما المركز الرابع، فكان من نصيب قضيتي الفراغ والانحراف معاً بسبعة تكرارات. والملاحظ هنا أن الفراغ كان في المركز الأخير في التحليل الكمي. كما اشترك كل من الحروب والعلاقة بين الجنسين ووضعية المرأة بالمركز الرابع بستة تكرارات. أربعة تكرارات لقضية العلاقات الأسرية، حيث انفردت في هذه المركز بعدما اشترك في المركزين السابقين زوج من القضايا بالتكرار نفسه. وفي النهاية، فقد اشتركت قضايا الزواج والتطرف والهجرة في المركز الأخير بثلاثة تكرارات؛ أي أن الفارق كبير بين هذه القضايا.

وكانت الإجابة على النحو التالي:

جدول ٥

القضية	التكرار
تطرف	3
بطالة	12
زواج	3
تعليم	8
علاقة بين الجنسين	6
الحروب	6
العلاقات الأسرية	4
الهجرة والإغتراب	3
الوضع السياسي	9
الفراغ	7
الإنحراف	7

هكذا لا تختلف نتائج الجدول السابق كثيراً عن نتائج جدول التحليل الكمي. فكافة القضايا حصلت على اختيار أعضاء العينة بغض النظر عن مركزها، فاهتمامات الشباب ترجع إلى ظروفهم الحياتية. والمهم هنا ذُكرت في إجابات أفراد العينة.

أما السؤال الثالث، وهو ما يخص القضايا التي لم يذكرها الملحق، فقد عانت الإجابات من ضعف، وهو راجع لسبب من حالتين:

١ ـ إما أن السؤال لم يكن واضحاً.

٢ ـ وإما أن أعضاء العينة لم يكن لديهم تصور ما لطبيعة المشكلات غير التي وردت.

فنتائج هذا السؤال كانت على نوعين، إما دارت حول قضايا لا دخل للملحق فيها أصلاً من حيث قضايا الشباب وأزماتهم:

جدول ٦

القضية	الفكر العربي	اتحاد الدول العربية	التراث العربي	الرياضة
التكرار	2	1	1	1

أو أن القضايا مذكورة في محتوى ومضمون القضايا السابقة. إلا أن المجيب لم يمتلك القدرة على تفسير معاني هذه القضايا ومضامينها. فقد تضمنت الإجابات مشاكل المخدرات والخمر والإثارة والأخلاق والعنف الموجه ضد الأطفال، وهي موجودة تحت عنوان الانحراف، أو الدين، والمرأة، والغزو الثقافي الغربي، وهي بمجملها ذكرت بشكل مباشر أو غير مباشر.

السؤال عن المواضيع التي يطالعها في الصحف اليومية كانت الإجابة عنه كالتالي:

جدول ٧

القضية	سياسة	الحروب	فرص عمل	رياضة
التكرار	10	10	15	20

وهذا الجدول يبين الاختلاف الكبير في اهتمامات الشباب. العدد الأكبر اهتماماته بالرياضة، وهذا ناتج عن فراغ كبير عند الشباب بدلاً من التوجه نحو اهتمامات أخرى (٢٠).

فرص العمل لها المركز الثاني، ما يعكس البطالة أو الخوف من البطالة عند الشباب، وبخاصة الطلبة (١٥).

السياسية والحروب بالتساوي (١٠)؛ فالشارع العربي موجه الأبصار نحو العراق وفلسطين، بخاصة مع عدم القدرة على التنبؤ بالمستقبل في ظل المستجدات المتغيرة بسرعة.

نتائج البحث

بعد تطبيق منهجية البحث المذكورة في الجزء التمهيدي (تحليل مضمون والاستمارة) تبين ما يلي:

من خلال تحليل المضمون:

- إن المقالات في الملحق هي عبارة عن تصريحات وحوارات مع شباب يروون فيها تجاربهم ويعرضون ما يمرون به من أزمات بشكل دائم.
- إن القضايا التي قدمها ويقدمها الملحق هي نفسها قضايا الشباب العربي، وبخاصة أن المقالات هي نتاج بعض منهم.
- إن الملحق يعرض وقائع تحصل.
- الملحق يوضح الأسباب والنتائج والحالات.
- الملحق لا يقترح حلولاً.

الاستمارة:

كافة أفراد العينة كانوا مؤيدين لفكرة السؤال الأول.

- تغيرت المواقع التي احتلتها بعض القضايا في جدول تحليل المضمون عنه في الاستمارة، لكن ليس بشكل كبير.
- اهتمامات الشباب في الرياضة تغلبت على غيرها من الاهتمامات وحتى على البطالة، وهذا يدل على الفراغ الذي يعيشه الشاب العربي.

بالنظر إلى النتائج السابقة، يبدو واضحاً أن فرضيات البحث صحيحة. فمن خلال تحليل المضمون(كمي وكيفي) والاستمارة، ومقارنة النتائج ببعضها البعض، فإن ملحق الشباب في صحيفة "الحياة"، قارب إلى حد كبير قضايا الشباب ومشاكلهم واهتماماتهم. فالشباب العربي إذاً يواجه أزمات ومشكلات، والملحق قام بوظيفته على أكمل وجه، حيث عرض هذه القضايا من ناحية الأسباب والنتائج والحالات، كما عرض خواطر بعض الشباب بما يخص التعليم والهجرة.

بما أن الملحق عرض هذه القضايا من خلال تصريحات لشباب، فإذاً هو قد قدّم لأزمات الشباب الواقعية. وبالتالي، فللصحافة المكتوبة دور كبير في جعل قضايا الشباب خاصة والمجتمع عامة موضع نقاش وجدل. والإجابة عن الإشكالية هي أن ملحق الشباب بتماس دائم مع قضايا الشباب، وهي دائماً في موقع اهتمام. فيعطيهم المجال للشرح والشكوى في ظل عدم وجود أية آذان صاغية من مختلف الأطراف. والدليل هو نجاح صحيفة الحياة بملحقها "الشباب"، والنظرة الإيجابية التي خلفتها هذه الدراسة.

صحيح أن الملحق لم يقدم إرشادات أو حلول للشباب لتخطي مشكلاتهم أو لتوعيتهم بها، إلا أنه في ذلك ابتعد عن الأساليب التلقينية المدرسية، وانتهج خطاً قوامه عرض المشكلات والهموم وتحليلها ونقدها، علّ ذلك يمكن من أن يضع الجيل الشاب على سكة ملائمة تمكنه في مواجهة مشكلاته بنفسه.

ولعل هذا ما يفسر أن معظم المقالات تعرضت لنشر الأزمات من حيث الأسباب، والأعراض، والنتائج، وذلك من خلال اعتماد الملحق على أساليب استجواب النقل والاستجواب الخاطف واليوميات والملاحظة، بدلاً من الكتابات الإنشائية. وثمة ميزة لصالح الملحق وهي اعتماده في تحرير مادته على جيل الشباب من الكتاب تحديداً، لأنهم أعرف بمشاكلهم وبهمومهم والإشكاليات التي تواجههم.

فالشباب هم الذين يعيشون الواقع في انحداراته وإحباطاته وهفواته، وهم الذين يصدمون كل يوم بتقهقر جديد، سواء أكان اقتصادياً أم سياسياً أم اجتماعياً. لا هم محسوبون على جيل آبائهم جيل الأحلام أو الأوهام ... جيل المشاريع الكبرى (التحرر والتقدم والوحدة)، ولا هم محسوبون على الجيل

الجديد؛ كونهم تنقصهم كافة متطلبات العصر التي تتماشى مع هذا العصر، أو مع أبناء جيلهم من الحضارات الأخرى، وهذا بسبب حالة الضياع الذي تعيشه الأمة العربية اليوم.

وفي كل ما تقدم يمكن القول إن صحيفة الحياة نجحت في اختيار مقالاتها وموادها المنشورة في ملحق الشباب، ونجحت في طرح القضايا التي تمس واقع الشباب العربي ومشكلاته.

معنى ذلك أن الصحافة المكتوبة، (والحياة كصحيفة) اهتمت بالشباب وبقضاياهم، ولكن هذا الاهتمام يتفاوت من صحيفة إلى أخرى، سواء أكان من حيث الكم أم من حيث الكيف، ما يعني أن الإعلام العربي مازال مطالباً بالكثير في هذا المجال، لاسيما أن الاهتمام بجيل الشباب يعني الاهتمام بالمستقبل، ويعني الاهتمام بمعنى الحرية ومعنى الوجود.

الخـاتمة

أصبحت وسائل الإعلام على اختلاف مضامينها تحيط بنا في كل زمان ومكان بسبب التطور التكنولوجي الهائل وبعد اختراع الستلايت، ما أدى إلى تعاظم دورها في بناء شخصية الإنسان وأفكاره، كما احتلت المرتبة الأولى على الأسرة والمدرسة في مجال تنشئة الأجيال. من هذا الدور والمكانة كان هدف هذا البحث في اكتشاف ما إذا كان الإعلام بمكانته يهتم بقضايا الشباب ومشاكلهم، وبخاصة أنهم الشريحة الأوسع في المجتمعات العربية (ما يقارب الـ٤٠ بالمائة)، وبخاصة أنَّ هذه المشاكل تتفاقم يوماً بعد يوم مع ازدياد متطلبات الحياة وتعقيداتها، ولا يمكننا أن نغض الطرف عن الظروف التي يمر بها الوطن العربي من تخلف وجهل وفقر وحروب، والتي تنعكس على الشباب سلباً، فتنشر البطالة والأمية التي ستؤدي حتماً إلى أزمة فراغ وإلى رغبة في الهجرة بحثاً عن ظروف معيشية أفضل.

ونتيجة لهذا الهدف وضعت الإشكالية وهي:

كيف كانت تغطية الصحافة العربية المكتوبة لقضايا الشباب العربي وهمومه؟

ولدراسة هذه الإشكالية اتخذت من ملحق "الشباب" في صحيفة الحياة نموذجاً للصحف العربية، باعتبار أن هذه الصحيفة ذات طابع عربي، وتتميز بكونها صحيفة ليبرالية، تتيح تعدد الآراء، وهي توزع في أغلب الأقطار العربية، ولأن ملحق الشباب فيها يعتمد على مستكتبين شباب من جميع البلدان العربية.

وحصرت العينة في مدة سنة واحدة من سبتمبر ٢٠٠٢ ولغاية آب ٢٠٠٣، مع انتقائي عشوائياً لعددين من كل شهر.

- أما فرضيات البحث فتخدم الإشكالية وتسهل التوصل إليه، وهي:
- إن الصحافة المكتوبة باتت تبدي اهتماماً بقضايا الشباب وتفتح نقاشا وتعزز برامج خاصة بها.
- إن الشباب العربي يواجه أزمات ومشاكل.
- إن الملحق بمقالاته يمثل واقع الشباب وطروحاته.

وقد قدمت في سياق البحث في الجزء التمهيدي تعاريف لأهم المصطلحات اللازمة لتوضيحه، مثل البطريركية، والتطرف، والانحراف.

أما في الجزء النظري، وليكون البحث ذا منفعة ومتفقاً مع الشروط الأكاديمية للدراسات والبحوث الجامعية، فقد عرضت القضايا التي طرحها الملحق من خلال كتابات لمفكرين ومحللين وإحصائيات، لتدعيم البحث بمعلومات كثيرة وتعطيه نوعاً من الجدية.

وحرصت أن تكون دراستي موضوعية. لذا، ففي الجزء التطبيقي عملت بمنهجية عمل تخدم التوجه الموضوعي للبحث، وهي تحليل الموضوع والاستمارة، فاتخذت الفكرة كوحدة في تحليل المضمون، واعتمدت عليها في التحليل الكيفي وفي استخراج التكرارات في التحليل الكمي. كما أعطيت لمحة عن الأشكال الصحافية المستخدمة في كتابة مقالات الملحق، مثل استجواب النقل، أو اليوميات، التي تؤكد على تعاطي الصحيفة مع قضايا الشباب، بما أن هذه المقالات تعبر عن آرائهم، وتشرح همومهم، حيث أن الكتابة في الشباب ومقالاتهم الميدانية تستطلع رأي الشباب، وتنقل وضعياتهم. أما الاستمارة، فقد تم توزيعها على ٢٥ شخصاً من مختلف الأعمار ومختلف الاختصاصات، لكي تكون شاملة لكل فئات الشباب.

وفي النتيجة تارة بين نتائج الاستمارة وتحليل المضمون، حيث تبين أن الصحيفة، كنموذج عن وسائل الإعلام، استطاعت أن تفرض مكانتها، حيث كانت الإجابة عن الإشكالية إيجابية، والتغطية لقضايا الشباب تامة، فالملحق عرض لكل مشكلات الشباب وأسبابها وبعض الحالات.

أما أهمية البحث فتكمن في نقطتين:

- إن هذا البحث يبين مدى اهتمام الإعلام بقضايا المجتمع.
- إنه يتعرض لمشكلات فئة الشباب التي هي بالتالي مشكلات المجتمع كونهم يشكلون أوسع شريحة.

كما كان للإحصائيات في البحث دور في إعطائه أهمية، وذلك لأنها دعمت الأفكار المطروحة.

الهوامـــش:

* نوقش هذا البحث في معهد الصحافة وعلوم الأخبار – جامعة مانوبة، تونس، صيف ٢٠٠٤. بإشراف الأستاذ محمد بن شعبان.

١ عبد القادر طاش، "الإعلام والشباب ... أفق مسدود ودور مفقود"، **صحيفة الوطن السعودية**، ٢٠٠٣/٧/١٨.

٢ عواطف عبد الرحمن. "الإعلام ... البعد الغائب في تقرير التنمية الإنسانية"، **الحياة**، ٢٠٠٣/١٠/٠.

٣ عبد القادر طاش. "الإعلام والشباب... أفق مسدود ودور مفقود"، **صحيفة الوطن السعودية**، ٢٠٠٣/٧/١٨.

٤ **اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال**. "أصوات متعددة وعالم واحد"، ١٩٨١.

٥ هربرت شيللر. **المتلاعبون بالعقول**، عالم المعرفة الكويتية، ط١ ، ١٩٨٦. ص ١٣٠.

٦ موقع صحيفة الحياة على شبكة الإنترنت. WWW.DARALHAYAT.COM

٧ حوار مع بيسان الشيخ، محررة في قسم ملحق الشباب في مقر الصحيفة في بيروت.

٨ محمد علي حافظ. **مستقبل الشباب العربي**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣، ص ٢١٨.

٩ سامية الساعاتي. **الشباب العربي والتغير الاجتماعي**، الدار المصرية اللبنانية، كانون الثاني ٢٠٠٣، ص١٥.

١٠ **المعجم الفلسفي المختصر**. ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، الاتحاد السوفييتي، ١٩٨٦، ص٤٨.

١١ المصدر السابق نفسه. ص ١٨٤.

١٢ سموحي فوق العادة ـ **معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩، ص٤٦٣.

١٣ **المعجم الفلسفي المختصر**. ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، الاتحاد السوفييتي، ١٩٨٦، ص٢٦٠.

١٤ محمود أمين العالم. "الفكر العربي المعاصر بين الأصولية والعلمانية"، سلسلة كتاب قضايا فكرية، القاهرة الكتاب الثالث عشر والرابع عشر، تشرين الأول ١٩٩٣، ص ١٠.

١٥ هشام شرابي. **البنية البطركية .. بحث في المجتمع العربي المعاصر**، دار الطليعة، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص٢٩.

١٦ سليم نعامة. **سيكولوجيا الانحراف**، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، ط١ ١٩٨٥، ص١٩.

١٧ زهير حطب وعباس مكي. **الطفرة والشباب**، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٠ ط١، ص٩٦.

١٨ بيرلسون. **القارئ في الرأي العام و الاتصال**، ماكميلان، ١٩٦٧، ص ٢٦٣.

١٩ زهير حطب وعباس مكي، مصدر سابق، ص١٤٦.

٢٠ عبد الباسط محمد. **أصول البحث الاجتماعي**، لجنة البيان، ١٩٦٦، ص١٥٧ ـ ص١٦٩.

٢١ محمد حسين(سمير). **تحليل المضمون**، عالم الكتب، القاهرة، مصر ١٩٨٣، ص ٢٢.

٢٢ محمد حسين (سمير). **تحليل المضمون**، عالم الكتب، القاهرة، مصر ١٩٨٣، ص ٢٢.

٢٣ أحمد علي كنعان وعبد الله المجيدل، **مجلة المستقبل العربي**، العدد ٢٤١ آذار ١٩٩٩، ص ٤٨.

٢٤ الدول العربية وأخطبوط البطالة (تقرير)، **البيان الإماراتية**، ٢٠٠٣/٥/٢٩.

٢٥ التقرير الاقتصادي العربي الموحد، السكان، أيلول ٢٠٠٢. (تقرير سنوي يصدر بالتعاون بين صندوق النقد العربي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وجامعة الدول العربية ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك). معظم الإحصائيات الواردة أخذت من التقرير الاقتصادي العربي الموحد للعام ٢٠٠٢.

٢٦ د. نبيل علي، "العرب وعصر المعلومات"، **سلسلة عالم المعرفة**، عدد ١٨٤، نيسان ١٩٩٤، ص ٣٨٧.

٢٧ تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي (صدر من هذا التقرير جزءان؛ الأول عام، والثاني خاص بمناقشة مشكلة التعليم والمعرفة).

٢٨ **السفير**، ١٩٩٩/٠٩/٩. "التقرير الاقتصادي الموحد للعام"، ١٩٩٨، ص ٢٢٣.

٢٩ المصدر السابق العام ٢٠٠٢، ص ١٢.

٣٠ د. زهير حطاب ود. عباس مكي ، مصدر سابق، ص ٨١.

٣١ التقرير الاقتصادي العربي للعام ٢٠٠٢، صندوق النقد العربي في أبو ظبي.

٣٢ د. نادر فرجاني (باحث ومحرر تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢)، مركز المشكاة، من موقع المركز على الانترنيت. www.almeshka.com.

٣٣ تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢.

٣٤ التقرير السنوي الأول للمنظمة العربية لحرية الصحافة، نيسان٢٠٠١.

٣٥ د. هشام شرابي. المصدر السابق، ص ٢٢.

٣٦ المصدر السابق نفسه.

٣٧ تقرير التنمية الإنسانية للعام ٢٠٠٢.

٣٨ تقرير التنمية الإنسانية للعام ٢٠٠٢.

٣٩ المصدر السابق نفسه.

٤٠ تقرير التنمية الإنسانية للعام ٢٠٠٢.

٤١ نايف كريم، "الأسرة في جو المتغيرات الحديثة"، **السفير**، ٢٠٠٢/٠٥/١٣.

٤٢ هشام شرابي، المصدر السابق، ص٢٣.

٤٣ إبراهيم محمود، "خريجو المدارس المختلطة أكثر ارتياحاً في التعامل مع زميلاتهم"، الحياة. ١٧ تموز، ٢٠٠٣.

٤٤ تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢.

٤٥ إبراهيم محمود. **شباب اليمن يتجهون إلى الزواج العرفي**، ١ تموز ٢٠٠٣.

٤٦ د. حليم بركات، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢١.

٤٧ د. زكي حنكوش، "أزمة الشباب العربي بين التغير والإرهاب"، **مجلة الفكر العربي**، عدد ٨٠، بيروت ١٩٩٥، ص ٤٦.

٤٨ د. حليم بركات، المصدر السابق .٩٢٢.

٤٩ د. زكي حنكوش، "أزمة الشباب العربي بين التغير والإرهاب"، **مجلة الفكر العربي**، عدد ٨٠، بيروت ١٩٩٥، ص ٤٩.

٥٠ د. سليم نعامة، **سيكولوجيا الانحراف**، مكتبة الخدمات الطباعية، دمشق، ط١ ١٩٨٥، ص ٢٦.

٥١ د. أحمد عزات راجح، **أصول علم النفس**، دار القلم بيروت، ص ٩٣.

٥٢ رضا المثناني، **الاستجواب .. منطلقات نظرية**، ص ٢٠.

٥٣ المصدر السابق نفسه، ص ٢١.

٥٤ د. محمود أدهم ، **المقال الصحافي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص٥٤.

٥٥ عبد العزيز شرف، **فن المقال الصحافي**، مصر، ص ٧٢.

المراجـــع:

- أدهم، محمود. **المقال الصحافي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤.
- **برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي**، "تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣"، (صدر من هذا التقرير جزأين: الأول، عام، والثاني خاص بمناقشة مشكلة التعليم والمعرفة).
- **البيان الإماراتية**. "الدول العربية وأخطبوط البطالة" (تقرير)، ٢٠٠٣/٥/٢٩.
- بيرلسون، "القارئ في الرأي العام والاتصال"، **ماكميلان**، ١٩٦٧ .
- حافظ، محمد علي. **مستقبل الشباب العربي**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.
- حطب، زهير، وعباس مكي. **الطفرة والشباب**، معهد الإنماء العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٠.
- حنكوش، زكي. "أزمة الشباب العربي بين التغير والإرهاب"، **مجلة الفكر العربي**، عدد ٨٠، بيروت ١٩٩٥.
- مقابلة شخصية مع بيسان الشيخ، محررة في قسم ملحق الشباب في مقر الصحيفة في بيروت.
- راجح، أحمد عزات. **أصول علم النفس**، دار القلم بيروت، (بدون تاريخ).
- الساعاتي، سامية. **الشباب العربي والتغير الاجتماعي**، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣.
- **السفير** ١٩٩٩/٠٩/٩. ورد في التقرير العربي الاقتصادي الموحد للعام ١٩٩٨.
- سلوم، توفيق (ترجمة). **المعجم الفلسفي المختصر** ـ دار التقدم، الاتحاد السوفييتي، ١٩٨٦.
- سمير، محمد حسين. **تحليل المضمون**، عالم الكتب، القاهرة، مصر ١٩٨٣.
- شرف، عبد العزيز. **فن المقال الصحافي**، مصر، (بدون تاريخ).
- شرابي، هشام. **البنية البطركية .. بحث في المجتمع العربي المعاصر**. دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
- شيللر، هربرت. **المتلاعبون بالعقول**، عالم المعرفة الكويتية، ط١، نوفمبر ١٩٨٦.
- **صندوق النقد العربي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وجامعة الدول العربية ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول(أوابك)**. التقرير الاقتصادي العربي الموحد، السكان، سبتمبر ٢٠٠٢.

- طاش، عبد القادر. "الإعلام والشباب... أفق مسدود ودور مفقود"، **صحيفة الوطن السعودية**، ٢٠٠٣/٧/١٨.
- العالم، محمود أمين. "الفكر العربي المعاصر بين الأصولية والعلمانية"، **سلسلة كتاب قضايا فكرية**، القاهرة، ع١٣ و١٤، أكتوبر ١٩٩٣.
- عبد الرحمن، عواطف. "الإعلام... البعد الغائب في تقرير التنمية الإنسانية"، **الحياة**، ٢٠٠٣/٠٣/١٠.
- علي، نبيل. "العرب وعصر المعلومات"، **سلسلة عالم المعرفة**، عدد ١٨٤، نيسان ١٩٩٤.
- فرجاني، نادر (باحث ومحرر). **تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢**.
- فوق العادة، سموحي. **معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩.
- كريم، نايف. "الأسرة في جو المتغيرات الحديثة"، **السفير**، ٢٠٠٢/٠٥/١٣.
- كنعان، أحمد. وعبد الله المجيدل. **مجلة المستقبل العربي** - العدد ٢٤١، مارس ١٩٩٩.
- **اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال**. "أصوات متعددة وعالم واحد" العام ١٩٨١.
- المثاني، رضا. **الاستجواب- منطلقات نظرية**، (بدون تاريخ).
- محمد، عبد الباسط. **أصول البحث الاجتماعي**، لجنة البيان، ١٩٦٦.
- محمود، إبراهيم. "خريجو المدارس المختلطة أكثر ارتياحا في التعامل مع زميلاتهم" **الحياة**. ١٧ تموز ٢٠٠٣.
- **مركز المشكاة**، من موقع المركز على الانترنيت. www.almeshka.com
- موقع صحيفة الحياة على شبكة الإنترنت. www.daralhayat.com
- نعامة، سليم. **سيكولوجيا الانحراف**، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، ١٩٨٥.

منشورات مواطن

سلسلة مبادئ الديمقراطية

ما هي المواطنة؟
فصل السلطات
سيادة القانون
مبدأ الانتخابات وتطبيقاته
حرية التعبير
عملية التشريع
المحاسبة والمساءلة
الحريات المدنية
التعددية والتسامح
الثقافة السياسية
العمل النقابي
الاعلام والديمقراطية

سلسلة ركائز الديمقراطية

التربية والديمقراطية
رجا بهلول

حالات الطوارئ وضمانات حقوق الانسان
رزق شقير

الدولة والديمقراطية
جميل هلال

الديمقراطية وحقوق المرأة بين النظرية والتطبيق
منار شوربجي

سيادة القانون
اسامة حلبي

حقوق الانسان السياسية والممارسة الديمقراطية
فاتح عزام

الديمقراطية والعدالة الاجتماعية
حليم بركات

سلسلة مداخلات واوراق نقدية

واقع التعليم الجامعي الفلسطيني: رؤية نقدية
ناجح شاهين

الدستور الذي نريد لفلسطين
وليم نصار

طروحات عن النهضة المعاقة

عزمي بشارة

ديك المنارة

زكريا محمد

لئلا يفقد المعنى (مقالات من سنة الانتفاضة الاولى)

عزمي بشارة

في قضايا الثقافة الفلسطينية

زكريا محمد

ما بعد الاجتياح :في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية

عزمي بشارة

المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين

وليد سالم

الحركة الطلابية الفلسطينية ومهمات المرحلة تجارب وآراء

تحرير مجدي المالكي

الحركة النسائية الفلسطينية اشكاليات التحول الديمقراطي واستراتيجيات مستقبلية

وقائع مؤتمر مواطن ٩٩

اليسار الفلسطيني: هزيمة الديمقراطية في فلسطين

علي جرادات

الخطاب السياسي المتبلور ودراسات اخرى

عزمي بشارة

أزمة الحزب السياسي الفلسطيني

وقائع مؤتمر مواطن ٩٥

المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في فلسطين

زياد ابو عمرو واخرون

الديمقراطية الفلسطينية

موسى بديري واخرون

المؤسسات الوطنية، الانتخابات والسلطة

اسامة حلبي واخرون

الصحافة الفلسطينية بين الحاضر والمستقبل

ربى الحصري واخرون

سلسلة اوراق بحثية

دراسات إعلامية ٢

تحرير: سميح شبيب

دراسات إعلامية

تحرير: سميح شبيب

الثقافة السياسية الفلسطينية

باسم الزبيدي

العيش بكرامة في ظل الاقتصاد العالمي

ملتون فيسك

الصحافة الفلسطينية المقروءة في الشتات ١٩٦٥-١٩٩٤

سميح شبيب

التحول المدني وبذور الانتماء للدولة في المجتمع العربي والاسلامي

خليل عثامنة

المساواة في التعليم اللامنهجي للطلبة والطالبات في فلسطين

خول الشخشير

التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الاسيرة

خالد الهندي

التحولات الديمقراطية في الاردن

طالب عوض

النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين

محمد خالد الازعر

البنية القانونية والتحول الديمقراطي في فلسطين

علي الجرباوي

سلسلة دراسات وأبحاث

الجبل ضد البحر

سليم تماري

من يهودية الدولة حتى شارون

عـزمي بشـارة

التربية الديمقراطية: تعلم وتعليم الديمقراطية من خلال الحالات

ماهـر الحشـوة

حركة معلمي المدارس الحكومية في الضفة الغربية ١٩٦٧-٢٠٠٠

عمر عساف

اسطورة التنمية في فلسطين الدعم السياسي والمراوغة المستديمة
خليل نخلة
جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨-١٩٤٨
فيصل حوراني
القطاع العام ضمن الاقتصاد الفلسطيني
نضال صبري
هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز
ساري حنفي
تكوين النخبة الفلسطينية
جميل هلال
الحركة الطلابية الفلسطينية الممارسة والفاعلية
عماد غياظة
دولة الدين، دولة الدنيا: حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية
رجا بهلول
النساء الفلسطينيات والانتخابات، دراسة تحليلية
نادر عزت سعيد
التحرر، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في العالم الثالث
وقائع مؤتمر مواطن ٩٧
المرأة وأسس الديمقراطية
رجا بهلول
النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية
جميل هلال
ما بعد اوسلو: حقائق جديدة
تحرير: جورج جقمان
ما بعد الأزمة: التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية، وآفاق العمل
وقائع مؤتمر مواطن ٩٨
اشكالية تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي
وقائع مؤتمر مواطن ٩٦
العطب والدلالة في الثقافة والانسداد الديمقراطي
محمد حافظ يعقوب
رجال الاعمال الفلسطينيون في الشتات والكيان الفلسطيني
ساري حنفي
مساهمة في نقد المجتمع المدني
عزمي بشارة

حول الخيار الديمقراطي
دراسات نقدية

سلسلة التجربة الفلسطينية

أحلام بالحرية
عائشة عودة
الجري الى الهزيمة
فيصل حوراني
أوراق شاهد على حرب
زهير الجزائري
البحث عن الدولة
ممدوح نوفل

سلسلة تقارير دورية

دراسة تحليلية حول أثر النظام الانتخابي على تركيبة المجلس التشريعي القادم
أحمد مجدلاني، طالب عوض
نحو نظام انتخابي لدولة فلسطين الديمقراطية
جميل هلال،عزمي الشعيبي وآخرون
الاعمال التشريعية الصادرة عن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية
سناء عبيدات

سلسلة أوراق بحثية

هذا الكتاب

تتزايد الحاجة لمعرفة اهتمام الجمهور بتأثيرات وسائل الإعلام؛ ذلك أنها تتوزع على عناوين مختلفة. ومع هذا التزايد والتنوع، تبرز أهمية الدراسات الإعلامية، وهي على أية حال حديثة العهد في بلادنا.

بدأنا خطوتنا الأولى في العام الماضي، عبر نشر كتاب دراسات إعلامية (١) وقد لاقى نشر هذا الكتاب ترحيباً في دوائر ومعاهد الإعلام خاصة، والأوساط الإعلامية عامة، وهذا ما شجعنا عملياً على نشر هذا الكتاب الذي يتضمن ثلاثة أبحاث، وهي متنوعة في اهتماماتها، وآثرنا اختيارها على أساس علمي، بحيث تتوافر فيها شروط أكاديمية واضحة تتعلق في تحليل المضمون، واستخدام الأدوات اللازمة في التحليل.

كما آثرنا عند تحريرها وإعدادها للنشر، والحفاظ عليها دون اختصارات واسعة، إلا ما اقتضته اشتراطات التحرير والنشر.

نأمل أن يشكل نشر هذا الكتاب، تعزيزاً للهدف الذي توخيناه، وهو باختصار، تعميق مفهوم البحوث الإعلامية في فلسطين، وأن يشكل مساهمة واضحة المعالم في منهجها، وهو أمر ملح في بلادنا.

مواطن
المؤسسة الفلسطينية
لدراسة الديمقراطية

ISBN 9950-312-19-1